

٥

الْعَقِيدَةُ فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

اليَوْمِ مِنَ الْآخِرَةِ

١

الْجَنَّةُ وَالنَّارُ

الدكتور عيسى بن علي الماسر



دار النفائس

للمطبوعات والنشر - الأردن

الْعَقِيدَةُ فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ السُّنَّةِ ⑤

الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ



الْجَنَّةُ وَالنَّارُ

تأليف

الدكتور سليمان الأشقر



دار الفائق

مكتبة وتوزيع الأردن

٢٥٤ و ٢٤١

عمر

عمر سليمان الأشقر

اليوم الآخر . الجنة والنار . عمر سليمان الأشقر

ط ٤ . عمان : (د . ن) ١٩٩١

(٢٧٨) ص

ر . أ ٧٢٦ / ١٠ / ١٩٩٠

١ - الإسلام . عقيدة . أ - العنوان

تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة السابعة

١٤١٨م - ١٩٩٨م



دار النفائس

للنشر والتوزيع

الأردن - عمان - العبدلي - مقابل جوهرة القدس

هاتف : ٤٠ ٣٩ ٦٩ - فاكس : ٤١ ٣٩ ٦٩ - ص. ب. : ٢١١٥١١

إن دار النفائس للنشر والتوزيع - الأردن هي صاحبة الحق وحلما في طباعة مؤلفات الدكتور عمر سليمان الأشقر ولا صحة لما تزعمه بعض دور النشر من حصولها على إذن من المؤلف بطباعة مؤلفاته ، وعليه فلا يجوز لأي جهة أن تطبع أو تترجم أو تصور كتب المؤلف المذكور أو جزءاً منها ، وسوف نقوم بالإجراءات القانونية المتبعة للحفاظ على حقوقنا

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الجنة والنار ، وخلق لكل واحدة منها أهلا وأصحابا ، وجعل الجنة دار أوليائه ، والنار دار أعدائه . والصلاة والسلام على خاتم رسله ، وأشرف خلقه الذي جاء إلى الجنة داعيا ، وفي نعيمها مرغبا ، ومن النار وعذابها مخوفا وعذرا ومرهبا .

وأصلي وأسلم على آل الرسول وصحبه وتابعيهم بإحسان الذين أعدوا للأمر عدته ، وأخذوا له أهبتة ، فأسهروا ليلهم يصلون ، ويستغفرون ، ويتاجون الله ، ويرتلون كتابه ، وأظمؤوا نهارهم تقربا إلى الله بالصيام لأنهم علموا أن الأمر جد ، ولا نجاة من النار ، ولا فوز بالجنة إلا بالتشمير عن مساعد الجدد ، وبعد :

فهذا هو القسم الثالث من أقسام اليوم الآخر ، وهو حديث عن الجنة والنار .

وقد جعلنا هذا القسم في بايين .

الباب الأول حديث عن النار ، وقد تم هذا الباب في عشرة فصول ، يسبقها تمهيد .

أما التمهيد فهو تعريف بالنار .

والفصل الأول عقدناه للتدليل على عقيدة أهل السنة والجماعة في أن الجنة والنار مخلوقتان ورددت فيه على من زعم خلاف ذلك من أهل الفرق .

والفصل الثاني حديث عن خزنة النار ، وهم الملائكة القائمون على النار ، وبيان عددهم وعظم خلقهم .

والفصل الثالث وصف للنار ، وفيه حديث عن مكانها ، وسعتها ، ودركاتها ، وأبوابها ، ووقودها ، وشدة حرها ، وكلامها ، وصفة خلقها ، وتأثيرها على الدنيا وأهلها .

والفصل الرابع سقناه للتدليل على أنها خالدة لا تبيد ، ورددنا فيه على الذين زعموا أنها تفتى وتبيد .

وفي الفصل الرابع حديث عن أهل النار وهم فريقان : فريق خالد فيها ، وهم الكفرة المشركون ، وفريق غير خالد وهم عصاة الموحدين . وقد تحدثنا عن كلا الفريقين ، وذكرنا شيئاً من جرائمهم التي استحقوا بها النار .

وفي الفصل السادس حديث عن كثرة أهل النار ، وسقنا النصوص الدالة على كثرة الهالكين ، وقلة الناجين ، والسر في ذلك . وفي هذا الفصل مبحث للحديث عن النساء وأنهن أكثر أهل النار ، وبيان السبب في كونهن كذلك .

وفي الفصل السابع بيان لعظم أهل النار وضخامة خلقهم .

والفصل الثامن مخصص للحديث عن طعام أهل النار وشرابهم .

والفصل التاسع فصل طويل مسوق للحدث عن عذاب أهل النار ، وقد سقت فيه صوراً من عذابهم ، كما بينت أن أهل النار متفاوتون في عذابهم في النار ، ثم ذكرت شيئاً من أنواع العذاب الذي أعده الله لهم ، ومنه الصهر ، واللفح ، والسحب ، وتسويد الوجوه ، وانضاج الجلود ، واندلاق الأمعاء ، وإطلاق النار على أفئدتهم ، كما سقت النصوص المبينة لقيودهم وأغلالهم وسلاسلهم ومطارقهم التي يعذبون بها .

والفصل العاشر والأخير عقده لبيان السبل التي يتقي بها العباد نار الله .

وباب الثاني عقده للحديث عن الجنة ، وفيه سبعة فصول ، يسبقها تمهيد . أما التمهيد فللتعريف بالجنة .

والفصل الأول عقده لدخول الجنة ، بينت فيه مشهد دخول المؤمنين الجنة ، وشفاعة الرسول ﷺ للمؤمنين في دخولها ، وكيف يدخلها المؤمنون بعد تهذيبهم وتنقيتهم ، وتحدثت فيه عن أول المؤمنين دخولاً الجنة ، وعن السبعين ألفاً من هذه الأمة الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، وصفتهم وعن سبق فقراء المهاجرين أغنياءهم إلى الجنة ، وعقدت مبحثاً طويلاً لبيان أن عصاة الموحدين الذين دخلوا النار يخرجون منها برحمة أرحم الراحمين وشفاعة الشفاعين ، وبينت مذهب أهل السنة من هذه الشفاعة ، ورددت على الذين أنكروها وردوها ، وختمت هذا الفصل بمبحثين : الأول عن آخر من يدخل الجنة ، والثاني عن دخل الجنة قبل يوم القيامة .

والفصل الثاني سقته للتدليل على أن الجنة خالدة وأهلها فيها خالدون ، وللرد على من زعم خلاف ذلك .

والفصل الثالث في صفة الجنة ، وقد تحدثنا فيه عن عظم نعيمها ، وأبوابها ، ودرجاتها ، وترتيبها ، وأنهارها ، وعيونها ، وقصورها ، ونورها ، وريحها ، وأشجارها ، وثمارها ، وريحانها ، ودوابها .

والفصل الرابع حديث عن أهل الجنة والأعمال التي استحقوا بها الجنة ، وكيف يرث أهل الجنة نصيب أهل النار في الجنة ، وبيان أن الضعفاء في الجنة أكثر من الأغنياء ، وأن الرجال أكثر فيها من النساء ، وحققت القول في مسألة دخول أطفال المؤمنين وأطفال المشركين الجنة ، ومن المباحث الذي تضمنها هذا الفصل ذكر سادة أهل الجنة كهولاً وشباناً ونساء ، وذكر العشرة المبشرين بالجنة ، وذكر

أسماء بعض من نص على أنه في الجنة ، وختمت هذا الفصل بذكر أن الجنة ليست ثمنًا للعمل ، بل العمل سبب لدخول الجنة ، ونيل الجنة إنما هو برحمة الله وفضله .

والفصل الخامس حديث عن صفة أهل الجنة ونعيمهم فيها .

وأطول فصول هذا الباب الفصل السادس الذي عقدته للحديث عن نعيم أهل الجنة ، وبينت فيه فضل نعيم الجنة على متاع الدنيا . وتحدثت فيه عن تمتع أهل الجنة بأنواع الطعام والشراب ، كما تحدثت عن فرشهم وخدمهم وسوقهم وآنية طعامهم وشرابهم ، وعن اللباس الذي يلبسونه ، والأمانى التي يتمنونها ، فتتحقق على صورة عجيبة غريبة ، ليس لها في الدنيا نظير .

وعقدت مبحثًا في هذا الفصل للحديث عن أزواج المؤمنين في الجنة ، سواء كن من الحور العين أم أزواجهن من نساء الدنيا .

وبينت في هذا الفصل أن أعظم ما يعطاه المؤمنون في الجنة رضوان الله عز وجل ، ولذة النظر إلى وجهه الكريم ، ومن النعيم في دار النعيم تسبيح المولى وتقديسه وتكبيره .

والفصل السابع والأخير فيه حديث عما جرى من محاجة بين الجنة والنار وحكم الله بينهما .

أسأل الله تعالى أن يوفقنا للعمل بطاعته ، وأن ينجينا من النار بمهنة وكرمه ، وأن يدخلنا الجنة برحمته وفضله ، إنه سميع مجيب قريب ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد .

عمر سليمان الأشقر

الكويت

١٩ من رمضان ١٤٠٦

١٩٨٦/٥/٢٧

البَابُ الْأَوَّلُ

النَّارُ

تمهيد: تعريف وبيان

النار هي الدار التي أعدها الله للكافرين به ، المتمردين على شرعه ، المكذبين لرسله ، وهي عذابه الذي يعذب فيه أعداءه ، وسجنه الذي يسجن فيه المجرمين .

وهي الخزي الأكبر ، والخسران العظيم ، الذي لا خزي فوقه ، ولا خسران أعظم منه ، ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (١) ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ أَنْخَزِي الْعَظِيمُ ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (٣) .

وكيف لا تكون النار كما وصفنا وفيها من العذاب والآلام والأحزان ما تعجز عن تسطيره أقلامنا ، وعن وصفه ألسنتنا ، وهي مع ذلك خالدة وأهلها فيها خالدون ، ولذلك فإن الحق أطال في ذم مقام أهل النار في النار ﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ (٤) ، ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَقَابٍ ﴾ ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسَأَلُهَا دُونَهَا قِيَمًا ﴾ (٥) .

(١) سورة آل عمران : ١٩٢ .

(٢) سورة التوبة : ٦٣ .

(٣) سورة الزمر : ١٥ .

(٤) سورة الفرقان : ٦٦ .

(٥) سورة ص : ٥٥-٥٦ .

الفصل الأول

الجنة والنار مخلوقتان

قال الطحاوي في العقيدة السلفية التي تنسب إليه المعروفة بالعقيدة الطحاوية : « الجنة والنار مخلوقتان ، لا تفنيان أبدا ولا تبيدان ، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق ، وخلق لهما أهلاً ، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه ، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه ، وكل يعمل لما قد فرغ له ، وصائر إلى ما خلق له ، والخير والشر مقدران على العباد » .

وقال محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية في شرحه لهذا النص :

« أما قوله : « إن الجنة والنار مخلوقتان » ، فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، ولم يزل أهل السنة على ذلك ، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية ، فأنكرت ذلك ، وقالت : بل ينشئها الله يوم القيامة . وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله ، وأنه ينبغي أن يفعل كذا ، ولا ينبغي له أن يفعل كذا . وقاسوه على خلقه في أفعالهم ، فهم مشبهة في الأفعال ، ودخل التجهم فيهم ، فصاروا مع ذلك معطلة . وقالوا : خلق الجنة قبل الجزاء عبث ، لأنها تصير معطلة مدداً متطاولة . فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى ، وحرفوا النصوص عن مواضعها ، وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم » .

ثم ساق الأدلة من الكتاب والسنة التي تدل على أنها مخلوقتان ، « فمن نصوص الكتاب: قوله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١) ، ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾^(٢) ، وعن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾^(٣) ، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾^(٤) لِلطَّغْيَانِ مَغَابًا^(٥) . وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَ هَاجَةِ الْمَأْوَىٰ﴾^(٦) . وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى ، ورأى عندها جنة المأوى . كما في « الصحيحين » ، من حديث أنس رضي الله عنه ، في قصة الإسراء ، وفي آخره : « ثم انطلق بي جبرائيل ، حتى أتى سدرة المنتهى ، فغشيها ألوان لا أدري ماهي ، قال : ثم دخلت الجنة ، فإذا هي جنابذ اللؤلؤ ، وإذا تراها المسك » .

وفي « الصحيحين » من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة » . وتقدم حديث البراء بن عازب^(٦) ، وفيه : « ينادي مناد من السماء : أن صدق عبدي ، فأفرشوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها » . وتقدم حديث أنس بمعنى حديث البراء .

وفي « صحيح مسلم » ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ ، فذكرت الحديث ، وفيه : وقال رسول الله ﷺ :

(١) سورة آل عمران : ١٣٣ .

(٢) سورة الحديد : ٢١ .

(٣) سورة آل عمران : ١٣١ .

(٤) سورة النبا : ٢١ - ٢٢ .

(٥) سورة النجم : ١٣ - ١٥ .

(٦) تقدم في كتاب : « القيامة الكبرى »

« رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم به ، حتى لقد رأيتني آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتموني تقدّمت . ولقد رأيت النار يَحْطِم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت » .

وفي « الصحيحين » ، واللفظ للبخاري ، عن عبدالله بن عباس ، قال : انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ ، فذكر الحديث ، وفيه : فقالوا : يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ، ثم رأيناك تكعكت ؟ فقال : « إني رأيت الجنة ، وتناولت عنقوداً ، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار ، فلم أر منظراً كالיום قط أفظع ، ورأيت أكثر أهلها النساء » ، قالوا : بم ، يا رسول الله ؟ قال : « بكفرهن » ، قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : « يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأت منك شيئاً ، قالت : ما رأيت خيراً قط » .

وفي « صحيح مسلم » من حديث أنس : « وأيم الذي نفسي بيده ، لو رأيتم ما رأيت ، لضحكتم قليلاً وبكيتم كثيراً » . قالوا : وما رأيت يا رسول الله ؟ قال . « رأيت الجنة والنار » .

وفي « الموطأ والسنن » ، من حديث كعب بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما نسمة المؤمن طيرٌ تعلق في شجر الجنة ، حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة »^(١) . وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة .

وفي « صحيح مسلم والسنن والمسند » ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لما خلق الله الجنة والنار ، أرسل جبرائيل إلى

(١) قال محقق الطحاوية : صحيح .

الجنة ، فقال : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها ، فرجع فقال : وعزتك ، لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فأمر بالجنة ، فحُفَّت بالمكارة ، فقال : ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها . قال : فنظر إليها ، ثم رجع فقال : وعزتك ، لقد خشيت أن لا يدخلها أحد .

قال : ثم أرسله إلى النار ، قال : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، قال : فنظر إليها ، فإذا هي يركب بعضها بعضاً ، ثم رجع فقال : وعزتك ، لا يدخلها أحد سمع بها ، فأمر بها فحفت بالشهوات ، ثم قال : اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها ، فذهب فنظر إليها ، فرجع فقال : وعزتك ، لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها . ونظائر ذلك في السنة كثيرة^(١) .

وقد عقد البخاري في صحيحه باباً قال فيه : « باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة^(٢) » وساق في هذا الباب أحاديث كثيرة تدل على أن الجنة مخلوقة ، منها الحديث الذي ينص على أن الله يُري الميت عندما يوضع في قبره مقعده من الجنة والنار ، وحديث إطلاع الرسول ﷺ على الجنة والنار ، وحديث رؤية الرسول ﷺ لقصر عمر بن الخطاب في الجنة ، وغير ذلك من الأحاديث ، وقد كان ابن حجر مصيباً عندما قال : « وأصرح مما ذكره البخاري في ذلك ما أخرجه أحمد وأبو داود بإسناد قوي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لما خلق الله الجنة ، قال لجبريل : اذهب فانظر إليها »^(٣) .

(١) شرح الطحاوية : ٤٧٦ - ٤٧٨ .

(٢) في كتاب بدء الخلق ، انظر فتح الباري : (٣١٧/٦) .

(٣) فتح الباري : (٣٢٠/٦) .

شبهة من قال النار لم تخلق بعد

وقد ناقش شارح الطحاوية شبهة الذين قالوا : لم تخلق النار بعد ورد عليها فقال :

« وأما شبهة من قال أنها لم تخلق بعد ، وهي : أنها لو كانت مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تنفي يوم القيامة وأن يهلك كل من فيها ويموت ، لقوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾^(١) و﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾^(٢) ، وقد روى الترمذي في جامعه ، من حديث ابن مسعود رضي الله عنها ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لقيت إبراهيم ليلة أسري بي ، فقال : يا محمد ، أقرئ أمتك مني السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر »^(٣) . قال : هذا حديث حسن غريب . وفيه أيضاً من حديث أبي الزبير ، عن جابر ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : « من قال سبحان الله ويحمده ، غرست له نخلة في الجنة »^(٤) ، قال : هذا حديث حسن صحيح .

قالوا : فلو كانت مخلوقة مفروغاً منها لم تكن قيعاناً ، ولم يكن لهذا الغراس معنى . قالوا : وكذا قوله تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت : ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾^(٥) .

فالجواب : إنكم إن أردتم بقولكم إنها الآن معدومة بمنزلة النفخ في الصور

(١) سورة القصص : ٨٨ .

(٢) سورة آل عمران : ١٨٥ .

(٣) قال الشيخ ناصر في تعليقه على شرح الطحاوية ص : ١٠٦ وهو مخرج في الصحيحين .

(٤) وقال أيضاً في هذا الحديث : صحيح ، وهو مخرج في المصدر السابق : ٦٤ .

(٥) سورة التحريم : ١١ .

وقيام الناس من القبور ، فهذا باطل ، يردّه ما تقدم من الأدلة وأمثالها مما لم يذكر ، وإن أردتم أنها لم يكمل خلق جميع ما أعد الله فيها لأهلها ، وأنها لا يزال الله يُحدث فيها شيئاً بعد شيء ، وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أموراً أخرى - فهذا حق لا يمكن رده ، وأدلتكم هذه إنما تدل على هذا القدر .

وأما احتجاجكم بقوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾^(١) ، فأتيتم من سوء فهمكم معنى الآية ، واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن - نظير احتجاج إخوانكم على فنائهما وخرابهما وموت أهلها !! فلم توفقوا أنتم ولا إخوانكم لفهم معنى الآية ، وإنما وفق لذلك أئمة الإسلام . فمن كلامهم : أن المراد « كل شيء » مما كتب الله عليه الفناء والهلاك « هالك » ، والجنة والنار خلقنا للبقاء لا للفناء ، وكذلك العرش ، فإنه سقف الجنة .

وقيل : المراد إلا ملكه . وقيل : إلا ما أريد به وجهه . وقيل : إن الله تعالى أنزل : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾^(٢) ، فقالت الملائكة : هلك أهل الأرض ، وطمعوا في البقاء ، فأخبر تعالى عن أهل السماء والأرض أنهم يموتون ، فقال : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾^(٣) لأنه حي لا يموت ، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت . وإنما قالوا ذلك توفيقاً بينها وبين النصوص المحكمة ، الدالة على بقاء الجنة ، وعلى بقاء النار أيضاً ، على ما يذكر عن قريب ، إن شاء الله تعالى^(٤) .

(١) سورة القصص : ٨٨ .

(٢) سورة الرحمن : ٢٦ .

(٣) سورة القصص : ٨٨ .

(٤) شرح الطحاوية : ص ٤٧٩ ، وراجع في هذا الموضوع « يقظة أولى الاعتبار لصديق حسن خان ص : ٣٧ ، وعقيدة السفاريني : (٢ / ٢٣٠) .

الفصل الثاني

غزوة النصارى

يقوم على النار ملائكة ، خلقهم عظيم ، وبأسهم شديد ، لا يعصون الله الذي خلقهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، كما قال تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًى أَنْفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (١) .

وعدتهم تسعة عشر ملكا ، كما قال تعالى : ﴿ سَأَصْلِيهِ سَفَرٌ ﴾ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَفَرٌ ﴿ لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ ﴾ (٣) لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ (٤) ، وقد فتن الكفار بهذا العدد ، فقد ظنوا أنه يمكن التغلب على هذا العدد القليل ، وغاب عنهم أن الواحد من هؤلاء يملك من القوة ما يواجه به البشر جميعا ، ولذلك عقب الحق على ما سبق بقوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَحْمَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (٥) .

قال ابن رجب : « والمشهور بين السلف والخلف أن الفتنة إنما جاءت من

(١) سورة التحريم : ٦ .

(٢) سورة المدثر : ٢٦ - ٣٠ .

(٣) سورة المدثر : ٣١ .

حيث ذكر عدد الملائكة الذين اغتر الكفار بقلتهم، وظنوا أنهم يمكنهم مدافعتهم وممانعتهم ، ولم يعلموا أن كل واحد من الملائكة لا يمكن البشر كلهم مقاومته ^(١) . وهؤلاء الملائكة هم الذين سماهم الله « بخزنة جهنم » في قوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ ^(٢) .

(١) التخويف من النار : ص ١٧٤ .

(٢) سورة غافر : ٤٩ .

الفصل الثالث

صفة النار

المبحث الأول

مكان النار

اختلف العلماء في موقع النار الآن ؛ فقال بعضهم : هي في الأرض السفلى ، وقال آخرون : هي في السماء ، وقال آخرون بالتوقف في ذلك . وهو الصواب ، لعدم ورود نص صريح صحيح يحدد موقعها ، ومن الذين توقفوا في هذا ، الحافظ السيوطي قال : « وَتَقَفُ عن النار ، أي تَقُولُ فيها بالتوقف ، أي محلها ، حيث لا يعلمه إلا الله ، فلم يثبت عندي حديث أعتمده في ذلك »^(١) .

وقال الشيخ ولي الله الدهلوي في عقيدته : « ولم يصرح نص في تعيين مكانها (أي الجنة والنار) ، بل حيث شاء الله تعالى ، إذ لا احاطة لنا بخلق الله وعوالمه »^(٢) ، وقال صديق حسن خان عقب إيراد لقول الدهلوي هذا : « أقول : وهذا القول أرجح الأقوال وأحوطها إن شاء الله تعالى »^(٣) .

(١) بقظة أولى الاعتبار ، لصديق حسن خان : ص ٤٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٧ .

(٣) المصدر السابق .

المبحث الثاني سعة النار وبُعْد قعرها

النار شاسعة واسعة ، بعيد قعرها ، مترامية أطرافها ، يدلنا على هذا أمور :

الأول : الذين يدخلون النار أعداد لا تحصى ، ومع كثرة عددهم فإن خلق الواحد فيهم يضحخم حتى يكون ضرره في النار مثل جبل أحد ، وما بين منكييه مسيرة ثلاثة أيام ، ومع ذلك فإنها تستوعب هذه الأعداد الهائلة التي وجدت على امتداد الحياة الدنيا من الكفرة المجرمين على عظم خلقهم ، ويبقى فيها متسع لغيرهم وقد أخبرنا الله بهذه الحقيقة في سورة ق فقال : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِلْجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ (١) . إن النار تشبه الطاحونة التي ينحدر إليها ألوف وألوف من أطنان الحبوب فتدور بذلك كله لا تكل ولا تمل ، وينتهي الحب والطاحونة تدور انتظارا للمزيد . وقد جاء في حديث احتجاج الجنة والنار أن الله يقول للنار : « إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء ، ولكل واحدة منها ملؤها ، فأما النار ، فلا تمتلئ حتى يضع رجله - وفي رواية حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله - فتقول : قط قط ، فهناك تمتلئ ، ويؤزى بعضها إلى بعض ، ولا يظلم الله من خلقه أحداً » رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (٢) .

وعن أنس عن النبي ﷺ قال : « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول : هل من

(١) سورة ق : ٣٠ .

(٢) جامع الأصول : (١٠/٥٤٤) .

مزيد ، حتى يضع رب العزة فيها قدمه ، فينزوي بعضها إلى بعض ، فتقول :
قط ، قط ، بعزتك وكرمك « متفق عليه ^(١) .

الثاني : يدل على بعد قعرها أيضا أن الحجر إذا ألقي من أعلاها احتاج إلى
آماد طويلة حتى يبلغ قعرها ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ،
قال : كنا مع رسول الله ﷺ ، إذ سمع وَجَّةً ^(٢) ، فقال النبي ﷺ « تدرون
ما هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين
خريفا ، فهو يهوي في النار إلى الآن » ^(٣) .

وروى الحاكم عن أبي هريرة ، والطبراني عن معاذ وأبي أمامة عن النبي ﷺ
قال : « لو أن حجرا مثل سبع خلفات ، ألقي من شفير جهنم هوى فيها سبعين
خريفا لا يبلغ قعرها » ^(٤) .

الثالث : كثرة العدد الذي يأتي بالنار من الملائكة في يوم القيامة ، فقد
وصف الرسول ﷺ مجيء النار في يوم القيامة ، الذي يقول الله فيه : ﴿وَجَاءَ
يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ ^(٥) ، فقال : « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل
زمام سبعون ألف ملك » . رواه مسلم عن عبدالله بن مسعود ^(٦) . ولك أن تتخيل
عظم هذا المخلوق الرهيب الذي احتاج إلى هذا العدد الهائل من الملائكة الأشداء
الأقوياء الذين لا يعلم مدى قوتهم إلا الله تبارك وتعالى .

(١) مشكاة المصابيح : (١٠٩/٣) .

(٢) أي سقطة .

(٣) رواه مسلم ، كتاب الجنة ، باب في شدة حر النار ، (٢١٨٤/٤) ، ورقمه (٢٨٤٤) .

(٤) صحيح الجامع الصغير : (٥٨/٥) ، ورقمه ٥١٢٤ ، وإسناده صحيح .

(٥) سورة الفجر : ٢٣

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيم أهلها ، باب في شدة حر جهنم (٢١٨٤/٤) ، ورقم

الحديث : ٢٨٤٢

الرابع : وما يدل على هول النار وكبرها أن مخلوقين عظيمين كالشمس والقمر يكونان ثورين مكورين في النار ، ففي « مشكل الآثار » للطحاوي عن سلمة بن عبد الرحمن قال : حدثنا أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : « الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة » . ورواه البيهقي في كتاب « البعث والنشور » وكذا البزار والإسماعيلي والخطابي ، بإسناد صحيح ، على شرط البخاري ، وقد أخرجه في صحيحه مختصرا بلفظ : « الشمس والقمر مكوران في النار » (١) .

(١) أورد الشيخ ناصر الحديث في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٢/١) . ورقم الحديث : ١٢٤ ، وقد نقلنا تحقيقه للحديث مختصرا .

المبحث الثالث درجات النار

النار متفاوتة في شدة حرّها ، وما أعده الله من العذاب لأهلها ، فليست درجة واحدة وقد قال الحق تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْتَفِيقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾^(١) . والعرب تطلق : « الدرك » على كل ما تسافل ، كما تطلق : « الدرج » على كل ما تعالي ، فيقال : للجنة درجات وللنار دركات ، وكلما ذهب النار سفلا كلما علا حرّها واشتد لهيبها^(٢) ، والمنافقون لهم النصيب الأوفر من العذاب ، ولذلك كانوا في الدرك الأسفل من النار .

وقد تسمى النار درجات أيضا ، ففي سورة الأنعام ذكر الله أهل الجنة والنار ، ثم قال : ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مَّا عَمِلُوا ﴾^(٣) ، وقال : ﴿ أَقْبَنَ اتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كُنْ بَاءَ يَسْخَطُ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمَ وَيُنْسُ الْمَصِيرُ ﴾^(٤) هم درجت عند الله . . .^(٥) ، قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم : « درجات الجنة تذهب علوا ، ودرجات النار تذهب سفلا »^(٥) . وقد ورد عن بعض السلف أن عصاة الموحدين ممن يدخلون النار يكونون في الدرك الأعلى ، ويكون في الدرك الثاني اليهود ، وفي الدرك الثالث النصارى ، وفي الدرك الرابع الصابئون ، وفي الخامس المجوس ،

(١) سورة النساء : ١٤٥ .

(٢) راجع تذكرة القرطبي : ص ٣٨٢ ، والتخويف من النار ، لابن رجب : ص ٥٠ .

(٣) سورة الأنعام : ١٣٢ .

(٤) سورة آل عمران : ١٦٢ - ١٦٣ .

(٥) التخويف من النار ، لابن رجب : ص ٥٠ .

وفي السادس مشركو العرب ، وفي السابع المنافقون^(١) . ووقع في بعض الكتب تسمية هذه الدرجات : فالأول جهنم ، والثاني لظى ، والثالث الحطمة ، والرابع السعير ، والخامس سقر ، والسادس الجحيم ، والسابع الهاوية .

ولم يصح تقسيم الناس في النار وفق هذا التقسيم ، كما لم يصح تسمية درجات النار على النحو الذي ذكره ، والصحيح أن كل واحد من هذه الأسماء التي ذكرها : جهنم ، لظى ، الحطمة . . الخ اسم علم للنار كلها ، وليس لجزء من النار دون جزء ، وصح أن الناس متفاوتون على قدر كفرهم وذنوبهم .

(١) إذا كان هذا التقسيم اجتهادي بحسب فقهاء للتصوص الدالة على شدة جرم الفرق المختلفة فإن هذا الترتيب الذي ذكره يحتاج إلى إعادة نظر ، فالمجوس عباد النيران ليسوا بأقل جرما من مشركي العرب ، والأولى أن نسكت فيها سكنت عنه النصوص .

المبحث الرابع أبواب النار

أخبر الحق أن للنار سبعة أبواب كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿ (١) . قال ابن كثير في تفسير الآية : « أي قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه لا محيد لهم عنه ، أجازنا الله منها ، وكل يدخل من باب بحسب عمله ، ويستقر في ذلك بحسب عمله » ، ونقل عن علي بن أبي طالب قوله وهو يخطب : « إن أبواب جهنم هكذا - قال أبو هارون - أطباقا بعضها فوق بعض » ونقل عنه أيضا قوله : « أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض ، فيمتلئ الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث ، حتى تمتلئ كلها » (٢) .

وعندما يرد الكفار النار تفتح أبوابها ، ثم يدخلونها خالدين ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٣) ، وبعد هذا الإقرار يقال لهم : ﴿ أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٤) ، وهذه الأبواب تغلق على المجرمين ، فلا مطمع لهم في الخروج منها بعد ذلك ، كما قال تعالى :

(١) سورة الحجر : ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) تفسير ابن كثير : (١٦٢/٤) .

(٣) سورة الزمر : ٧١ .

(٤) سورة الزمر : ٧٢ .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاقِبَتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾ .

قال ابن عباس : (مؤصدة) مغلقة الأبواب ، وقال مجاهد : أصد الباب بلغة قريش ، أي أغلقه (٢١) .

وقال الحق في سورة الهمة : ﴿وَيَبْلُغْ لِكُلِّ مُمَرَّةٍ لُمَزَقٌ﴾ (١) الَّذِي جَمَعَ مَا لَا وَعَدَّهُ يُحْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٢) كَلَّا لَبِئْسَ الَّذِينَ فِي الْخُطْمَةِ (٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ (٤) نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ (٥) الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْقِ (٦) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ (٧) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٨) (٩) .

فأخبر الحق أن أبوابها مغلقة عليهم ، وقال ابن عباس : (في عمد ممددة) يعني الأبواب هي الممددة ، وقال قتادة في قراءة ابن مسعود : إنها عليهم مؤصدة بعمد ممددة (٤) ، وقال عطية : هي عمد من حديد ، وقال مقاتل : أطبقت الأبواب عليهم ، ثم شددت بأوتاد من حديد ، حتى يرجع عليهم غمها وحرها ، وعلى هذا فقوله : (ممددة) صفة للعمد ، يعني أن العمدة التي أوثقت بها الأبواب ممددة مطولة ، والممدود الطويل أرسخ وأثبت من القصير (٥) .

وقد تفتح أبواب النار وتغلق قبل يوم القيامة ، فقد أخبر المصطفى أن أبواب النار تغلق في شهر رمضان ، فعن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين ومردة الجن » (٦) .

(١) سورة البلد : ١٩ - ٢٠ .

(٢) تفسير ابن كثير : (٢٩٨/٧) .

(٣) سورة الهمة : ١ - ٩ .

(٤) تفسير ابن كثير : (٣٦٨/٧) .

(٥) التخويف من النار ، لابن رجب ص : ٦١ .

(٦) التخويف من النار : ص ٦٦ .

وخرج الترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وأغلقت أبواب النار ، فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة ، فلم يغلق منها باب » (١) .

(١) التخويف من النار : ص ٦٦ .

المبحث الخامس وقود النار

الأحجار والفجرة الكفار وقود النار ، كما قال الحق : ﴿ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾^(١) ، وقال : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾^(٢) .

والمراد بالناس الذين توقد النار بهم الكفرة المشركون ، وأما نوع الحجارة التي تكون للنار وقودا فالله أعلم بحقيقتها ، وقد ذهب بعض السلف إلى أن هذه الحجارة من كبريت ، قال عبدالله بن مسعود : هي حجارة من كبريت ، خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين ، رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والحاكم في المستدرک . وقال بهذا القول ابن عباس ومجاهد وابن جريج^(٣) .

وإذا كان القول بهذا مأخوذاً من الرسول ﷺ فنأخذ به ، ولا نجادل فيه ، وإن كان أمراً اجتهداياً مبنيّاً على العلم بطبائع الحجارة وخصائصها فهذا قول غير مسلم ، فإن من الحجارة ما يفوق حجارة الكبريت قوة واشتعالا . والأوائل رأوا أن حجارة الكبريت لها خصائص ليست لغيرها من الحجارة فقالوا إنها مادة وقود النار ، يقول ابن رجب : « وأكثر المفسرين على أن المراد بالحجارة حجارة الكبريت

(١) سورة التحريم : ٦ .

(٢) سورة البقرة : ٢٤ .

(٣) تفسير ابن كثير : (١٠٧/١) .

توقد بها النار . ويقال : إن فيها خمسة أنواع من العذاب ليس في غيرها : سرعة الإيقاد ، وتنن الرائحة ، وكثرة الدخان ، وشدة الالتصاق بالأبدان ، وقوة حرّها إذا حيت «(١)» . وقد يوجد الله من أنواع الحجارة ما يفوق ما في الكبريت من خصائص ، ونحن نجزم أن ما في الآخرة مغاير لما في الدنيا .

وما توقد به النار الآلهة التي كانت تعبد من دون الله ﴿ إِنكُرْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴾ ﴿ لَوْ كَانَ هَتُولَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢) .

وحصبها : وقودها وحطبها ، وقال الجوهرى : « كل ما أوقدت به النار أو هيئتها فقد حصبته » ، وقال أبو عبيدة : « كل ما قذفته في النار فقد حصبته به » (٣) .

(١) التخويف من النار لابن رجب : ص ١٠٧ .

(٢) سورة الأنبياء : ٩٨ - ٩٩ .

(٣) يقظة أولى الاعتبار : ص ٦١ .

المبحث السادس شدة حرّهما وعظّم دخانها وشرارها

قال الله تعالى : ﴿وَأَصْحَابُ النَّارِ أَمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۖ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ۖ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۖ﴾ (١) ، وقد تضمنت هذه الآية ذكر ما يتبرّد به الناس في الدنيا من الكرب والحر وهو ثلاثة : الماء والهواء والظل ، وذكرت الآية أن هذه لا تغني عن أهل النار شيئاً ، فهواء جهنم : السموم ، وهو الريح الحارة الشديدة الحر ، وماؤها الحميم الذي قد اشتدّ حرّه ، وظلها اليعموم وهو قَطْعُ دخانها (٢) .

وكما هوّل في هذه الآية أمر أصحاب الشمال أهل النار ، هوّل في آية أخرى أمر النار فقال : ﴿وَأَمَّا مَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ نَّارُ حَامِيَةٍ ۖ﴾ (٣) .

والظل الذي أشارت إليه الآية ﴿وَضِلٌّ مِّنْ يَحْمُومٍ﴾ (٤) ، هو ظل دخان النار ، والظل يشعر عادة بالنداء والبرودة ، كما أن النفس تحب وتستريح إليه ، أمّا هذا الظل فإنه ليس بارد المدخل ولا بكريم المنظر ، إنه ظل من يعموم .

وقد حدثنا القرآن عن هذا الظل الذي هو دخان جهنم الذي يعلو النار ،

(١) سورة الواقعة : ٤١ - ٤٤ .

(٢) التخويف من النار : ص ٨٥ .

(٣) سورة القارة : ٨ - ١١ .

(٤) سورة الواقعة : ٤١ .

فقال : ﴿ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ۖ لَا ظَلِيلٌ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِّ ۚ ﴾ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جُمُلَتْ صَفْرٌ ﴿٣٣﴾ (١). فالآية تقرر أن الدخان الذي يتصاعد من هذه النار لضخامته ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، وهو يلقي ظلالاً ولكنها غير ظليلة ، ولا تقي من اللمب المشتعل ، أما شرار هذه النار المتطاير منها فإنه يشبه الحصون الضخمة ، كما يشبه هذا الشرار الجمالة الصفر أي الإبل السود .

وقال الحق مبينا قوة هذه النار ، ومدى تأثيرها في المعذبين : ﴿ سَأَصْلِيهِ سَعَرَ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَعَرٌ ۚ لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ ۚ لَوَاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۚ ﴾ (٣٤)، إنها تأكل كل شيء ، وتدمر كل شيء ، لا تبقي ولا تذر ، تحرق الجلود ، وتصل إلى العظام وتصهر مافي البطون ، وتطلع على الأفئدة .

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أن « نارنا جزء من سبعين جزءا من نار جهنم » ، قيل : يا رسول الله إن كانت لكافية ، قال : « فضلت عليها بتسعة وستين جزءا ، كلهن مثل حرها » . رواه البخاري ومسلم ، واللفظ للبخاري ، وفي لفظ مسلم : « ناركم التي يوقد ابن آدم . . » (٣) .

وهذه النار لا يخبو أوارها مع تطاول الزمان ، ومروور الأيام ﴿ فَذُوقُوا فَلَنْ نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ (٤) ، ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ (٥) ، ولذلك لا يجد الكفار طعم الراحة ، ولا يخفف عنهم العذاب مهما طال العذاب ، ﴿ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (٦) . والنار تسعر كل يوم كما في الحديث عند

(١) سورة المرسلات : ٣٠ - ٣٣ .

(٢) سورة المدثر : ٢٧ - ٣٠ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة النار ، فتح الباري : (٦/ ٢٣٠) ، ورواه مسلم في كتاب الجنة ، باب شدة حر النار : (٤/ ٢١٨٤) .

(٤) سورة النبأ : ٣٠ .

(٥) سورة الإسراء : ٩٧ .

(٦) سورة البقرة : ٨٦ .

مسلم عن عمرو بن عبس عن النبي ﷺ قال : « صل صلاة الصبح ، ثم أقصر عن الصلاة ، حتى تطلع الشمس ، وترتفع فإنها تطلع بين قرني شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار ، ثم صل فإن الصلاة مشهودة حتى يستقل الظل بالرمح ، ثم أقصر عن الصلاة فإنه حينئذ تسجر جهنم ، فإذا أقبل الفياء فصل » .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة ، فإن شدة الحر من فيح جهنم » .

وَتُسْعَرُ النَّارُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ عِنْدَمَا تَسْتَقْبِلُ أَهْلَهَا ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١﴾ ومعنى سَعَّرَتْ : أوقدت ، وأحميت .

(١) سورة التكويد : ١٢ - ١٣

النار تتكلم وتبصر

الذي يقرأ النصوص من الكتاب والسنة التي تصف النار يجدها مخلوقا
ببصر ، ويتكلم ، ويشتهي ، ففي الكتاب العزيز أن النار ترى أهلها وهم قادمون
عليها من بعيد ، فعند ذلك تطلق الأصوات المرعبة الدالة على مدى حنقها وغيظها
على هؤلاء المجرمين ، قال تعالى : ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا
وَزَفِيرًا ۖ ﴾ (١) . وروى ابن جرير عن ابن عباس قال : « إن الرجل ليجر إلى النار ،
فتنزوي وينقبض بعضها إلى بعض ، فيقول الرحمن : مالك ؟ فتقول : إنه يستجير
مني ، فيقول : أرسلوا عبدي . وإن الرجل ليجر إلى النار فيقول : يا رب ما كان
هذا ظني بك ، فيقول الله : ما كان ظنك ؟ فيقول : أن تسعني رحمتك ، فيقول :
أرسلوا عبدي . وإن الرجل ليجر إلى النار ، فتشهوq إليه النار شهوق البغلة إلى
البعير ، وتزفر زفرة أخرى لا تبقى أحدا إلا أخافته » (٢) .

وقد خرج الإمام أحمد والترمذي من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يخرج يوم القيامة عنق من النار ، لها عينان تبصران ، وأذنان تسمعان ، ولسان ينطق ، تقول : إني وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله إلها آخر ، وبالمصورين » وصححه الترمذي (٣) .

(١) سورة الفرقان : ١٢ .

(٢) ساق ابن كثير هذا الحديث في « النهاية » (٢/٢١) وقال : « وإسناده صحيح » .

(٣) التخويف من النار ، ص ١٧٩ . وانظر جامع الأصول : (٥١٨/١٠) ، وقال المحقق : إسناده حسن ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .

المَحْثُ الثَّامِنُ رُؤْيَا ابْنِ عَمْرِو بْنِ النَّارِ

وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن ابن عمر قال : رأيت في المنام أنه جاءني ملكان في يد كل واحد منها مقمعة من حديد ، ثم لقيني ملك في يده مقمعة من حديد ، قالوا : لن تُرْع . نعم الرجل أنت . لو كنت تكثر الصلاة من الليل ، فانطلقوا بي حتى وقفوا بي على شفير جهنم ، فإذا هي مطوية كطي البئر ، لها قرون كقرون البئر ، بين كل قرنين ملك بيده مقمعة حديد ، وإذا فيها رجال معلقون بالسلاسل رؤوسهم أسفلهم ، وعرفت رجالا من قريش ، فانصرفوا بي عن ذات اليمين ، فقصصتها على حفصة ، فقصصتها حفصة على رسول الله ﷺ ، فقال : « إن عبد الله رجل صالح »^(١) .

(١) التخويف من النار ، لابن رجب : ص ٥١ .

المبحث التاسع هل يرى أحد النارق قبل يوم القيامة ميكانا

الذي نعلمه أن رسولنا صلوات الله وسلامه عليه قد رأى النار كما رأى الجنة في حياته ، ففي الصحيحين عن عبد الله بن عباس في صلاة الخسوف أن الرسول ﷺ قال : « إني رأيت الجنة ، فتناولت منها عنقودا ، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أر كالיום منظرا قط أفظع ، ورأيت أكثر أهلها النساء » (١) .

وفي صحيح البخاري عن أساء أن الرسول ﷺ قال : « قد دنت مني الجنة ، حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها ، ودنت مني النار حتى قلت : أي رب وأنا معهم ؟ فإذا امرأة تخذشها هرة . قلت : ما شأن هذه ؟ قالوا : حبستها حتى ماتت جوعا ، لا هي أطعمتها ولا أرسلتها تأكل من خشاش الأرض » (٢) .

وفي مسند أحمد عن المغيرة بن شعبة عن رسول الله ﷺ : « إن النار أدنيت مني حتى نفخت حرّها عن وجهي ، فرأيت فيها صاحب المحجن ، والذي بحر البحيرة وصاحب حمير ، وصاحبة الهرة » (٣) .

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إنه

(١) مشكاة المصابيح : (٤٧٠/١) .

(٢) صحيح الجامع : (١٣٣/٤) ، ورقم الحديث : ٤٢٤٧ .

(٣) صحيح الجامع : (١٧١/٢) ، ورقمه : ١٩٦٨ .

عرضت عليّ الجنة والنار ، فقربت مني الجنة ، حتى لقد تناولت منها قطفا ، قصرت يدي عنه ، وعرضت عليّ النار فجعلت أتأخر رهبة أن تغشاني ، ورأيت امرأة حميرية سوداء طويلة ، تعذب في هرة لها ربطتها ، فلم تطعمها ، ولم تسقها ، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض ، ورأيت فيها أبا ثمامة عمر بن مالك يجر قُصبة من النار»^(١) .

وبعد أن يموت العباد تعرض عليهم في البرزخ مقاعدهم في الجنة إن كانوا مؤمنين ، ومقاعدهم في النار إن كانوا كافرين ، وقد بينا ذلك في الحديث عن البرزخ .

(١) صحيح الجامع : (٢/٢٩٨) ، ورقمه : ٢٣٩٤ .

المبحث العاشر تأثير النار على الدنيا وأهلها

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « اشتكت النار إلى ربها ، فقالت ربّ أكل بعضي بعضا ، فأذن لها بنفسين : نفس في الشتاء ونفس في الصيف ، فأشدُّ ما تجدون من الحر ، وأشدُّ ما تجدون من الزمهرير » .

وروى البخاري أيضا عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «أبردوا بالصلاة ، فإن شدة الحر من فيح جهنم»^(١) .

(١) انظر هذين الحديثين في صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة النار وأنها مخلوقة ، فتح الباري : (٣٣٠/٦) ، وعزاهما في جامع الأصول : (٥١٧/١٠) إلى البخاري ومسلم والترمذي .

الفصل الرابع

النار خالدة لا تبديد

النار خالدة لا تفتى ولا تبديد ، كما قال الطحاوي في عقيدته : « والجنة والنار مخلوقتان ، لا تغنيان ولا تبيدان »^(١) ، ونقل ابن حزم اتفاق الأمة على ذلك ، فقد جاء في كتابه « الملل والنحل » قوله : « اتفقت فرق الأمة كلها على أن لا فناء للجنة ولا لنعيمها ، ولا للنار ولا لعذابها ، إلا الجهم بن صفوان »^(٢) . وجاء في كتابه « مراتب الإجماع » قوله : « . . . وأن النار حق ، وأنها دار عذاب لا تفتى ، ولا يفتى أهلها بلا نهاية »^(٣) . والنصوص الدالة على خلود النار كثيرة جداً ، وسيأتي ذكر الكثير منها في تضاعيف البحث ، وحسبك أن الله سماها « دار الخلد » .

هذا مذهب أهل السنة والجماعة أن النار خالدة لا تبديد ، وأهلها فيها خالدون ، ولا يخرج منها إلا عصاة الموحدين ، أما الكفرة والمشركون فهم فيها خالدون .

(١) شرح الطحاوية : ص ٤٧٦ .

(٢) الملل والنحل ، لابن حزم : (٨٣/٤) .

(٣) مراتب الإجماع : ١٧٣ .

القائلون بفناء النار

والمخالفون لمذهب أهل الحق في هذه المسألة سبع فرق:

١ - الجهمية القائلون بفناء النار وفناء الجنة أيضا ، وقد حكى الإمام أحمد في آخر كتاب « الرد على الزنادقة » مذهب الجهمية بأن النار والجنة تفتيان ، ورد عليهم ذاكرا النصوص الدالة على عدم فنائهما .

٢ - الخوارج والمعتزلة يقولون بخلود كل من يدخل النار ، ولو كانوا من أهل التوحيد ، وسرّ هذا القول أن الخوارج يكفرون المسلمين بالذنوب ، فكل من ارتكب ذنبا ، فإنه كافر خالد مخلد في نار جهنم ، والمعتزلة يرون أن من ارتكب ذنبا فهو في منزلة بين المنزلتين ، فلا هو مؤمن ولا كافر ، ويجرون عليه أحكام الإسلام في الدنيا ، ولكنه في الآخرة مخلد في نار جهنم ، وقد سقنا كثيرا من النصوص الدالة على أن أهل التوحيد يخرجون من النار .

٣ - اليهود الذين يزعمون أنهم يعذبون في النار وقتا محدودا ، ثم يخلفهم غيرهم فيها ، وقد أكذبهم الله في زعمهم ، ورد عليهم مقاتلهم ﴿ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) يَلَنْ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿ (٢)

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّبَهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَقْتَرُونَ ﴿ (٤)

(١) سورة البقرة : (٨٠ - ٨١) .

(٢) سورة آل عمران : ٢٣ - ٢٤ .

ونقل ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس أنه قال في تفسير آية البقرة : « قال أعداء الله اليهود : لن يدخلنا الله النار إلا تحلة القسم ، الأيام التي أصبنا فيها العجل : أربعين يوما ، فإذا انقضت عنا تلك الأيام ، انقطع عنا العذاب » .

وذكر ابن جرير عن السدي قوله : « قالت اليهود : إن الله يدخلنا النار أربعين ليلة ، حتى إذا أكلت النار خطايانا ، نادى مناد : أخرجوا كل مختون من ولد بني إسرائيل ، فلذلك أمرنا أن نختن ، قالوا : فلا يدعون منا في النار أحدا إلا أخرجوه » (١) .

وذكر أيضا عن ابن عباس قال : « ذكر أن اليهود وجدوا في التوراة مكتوبا : إن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهي إلى شجرة الزقوم ثابتة في أصل الجحيم ، وكان ابن عباس يقول : إن الجحيم سقر ، وفيها شجرة الزقوم ، فزعم أعداء الله أنه خلا العدد الذي وجدوا في كتابهم أياما معدودة » .

قال ابن جرير : « وإنما يعني بذلك المسير الذي ينتهي في أصل الجحيم ، فقالوا : إذا خلا العدد انتهى الأجل ، فلا عذاب وتذهب جهنم وتهلك ، فذلك قوله : ﴿ لَنْ نَمْسَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ » (٢) . يعنون بذلك الأجل ، فقال ابن عباس : « لما اقتحموا من باب جهنم ساروا في العذاب ، حتى انتهوا إلى شجرة الزقوم آخر يوم من الأيام المعدودة ، قال لهم خزان سقر : زعمتم أنكم لن تمسكم النار إلا أياما معدودة ، فقد خلا العدد ، وأنتم في الأبد ، فأخذ بهم في التصعود في جهنم يرهقون » (٣) .

(١) تفسير ابن جرير : (٣٨١/١) .

(٢) سورة البقرة : ٨٠ .

(٣) تفسير ابن جرير : (٣٨١/١) .

٣ - قول إمام الإتحادية ابن عربي الطائفي ، فإنه زعم أن أهلها يعذبون فيها مدة ، ثم تنقلب طبائعهم نارية يتلذذون بالنار لموافقتها لطبائعهم ، قال ابن حجر في الفتح : « وهذا قول بعض من ينسب إلى التصوف من الزنادقة »^(١) .

٥ - قول من زعم أن أهلها يخرجون منها ، وتبقى على حالها خالدة لا تبعد .

٦ - قول أبي هذيل العلاف من أئمة المعتزلة الذهاب إلى أن حياة أهل النار تفتى ، ويصيرون جمادا لا يتحركون ، ولا يحسون بألم ، قال بذلك لأنه يقول بامتناع حوادث لا نهاية لها ، فخالف الأدلة الصريحة القطعية الثبوت بمقاييس عقلية باطلة .

٧ - قول من قال : إن الله يخرج منها من يشاء ، كما ورد في الأحاديث ، ثم يبقها شيئا ، ثم يفنيها ، فإنه جعل لها أمدا تنتهي إليه^(٢) .

والقول الأخير مال إليه البحر العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وغفر له ، كما ذهب إليه تلميذه العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى .

وقد تتابع العلماء في التأليف لبيان خطأ هذا المذهب، يقول ابن حجر العسقلاني بعد حكايته لهذا القول : « وقد مال بعض المتأخرين إلى هذا القول ، ونصره بعدة أوجه من جهة النظر ، وهو مذهب رديء مردود على قائله ، وقد أطنب السبكي الكبير في بيان وهائه فأجاد »^(٣) ، وهذا الكتاب الذي أشار إليه هو

(١) فتح الباري : (٤٢١/١١) .

(٢) راجع في هذا المبحث المصادر التالية : شرح الطحاوية : ص ٤٨٣ ، شرح عقيدة السفاريني

(٢/٢٣٤) ، بقظة أولى الاعتبار لصديق حسن خان : ص ٤١ ، فتح الباري : (٤٢١/١١) .

(٣) فتح الباري : (٤٢٢/١١) .

« الاعتبار ببقاء الجنة والنار » لتقي الدين علي بن عبد الباقي السبكي الشافعي المتوفى سنة ٧٥٦ .

وقال صديق حسن خان : « وقد ألف العلامة الشيخ مرعي الكرمي الحنبلي رسالة سماها : « توفيق الفريقين على خلود أهل الدارين » ، وفي الباب رسالة للسيد الإمام محمد بن إسماعيل الأمير ، ورسالة للقاضي العلامة المجتهد محمد بن علي الشوكاني ، حاصلهما بقاء الجنة والنار وخلود أهلها فيهما » (١) .
وهنا أمور نحب بيانها :

الأول : أن هذا القول قول باطل وإن ذهب إليه علّمان من أعلام الإسلام ، فقد علّمنا شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم أن حب الحق ينبغي أن يكون مقدما على حب الرجال . وأدلة بطلانه النصوص الكثيرة الدالة على خلود النار ، وهي نصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة ، وقد ذكرنا قول من نقل الإجماع على خلود النار .

الثاني : أنه لا يجوز بحال من الأحوال ذم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم بسبب هذه المقالة ، فقد كفرهما قوم ، وفسقهما قوم بسبب ذلك ، وكل هذا ليس بصواب ، فإنهما مجتهدان مأجوران مثابان ، ولو علما الحق في خلاف قولهما لاتبعاه ، ودعوى أن المخالف في مثل هذا يكفر قائمة يُوصل القائلين بهذا إلى تكفير أئمة هذه الأمة الذين لا يُمارى في إمامتهم ، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يذهب إلى أن المسافر إذا لم يجد الماء لا يتيمم ولا يصلي ، وقد اتفقت الأمة على خلاف هذا ، والإمام مالك كان يرى أن « بسم الله الرحمن الرحيم » ليست آية

(١) يقظة أولى الاعتبار ، لصديق حسن خان : ص ٤٢ ، ورسالة الصنعاني طبعها المكتب الإسلامي ببيروت ، وقد حققها وكتب لها مقدمة ضافية الشيخ ناصر الدين الألباني فأجاد .

من كتاب الله ، وقد أجمعت الأمة على أن ما بين الدفتين قرآن ، وقال أقوام بعدم زيادة الإيمان ونقصانه مع كونه مثبت بالكتاب والسنة صريح فيهما ، والإجماع منعقد عليه .

الثالث : ينبغي أن ننبه أن لابن تيمية وابن القيم قولاً بعدم فناء النار ، جاء في مجموع فتاوي شيخ الإسلام قوله في إجابة سؤال : « وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك ، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين ، كالجهنم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم ، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله ، وسنة رسوله ، وجماع سلف الأمة وأئمتها » (١) .

وإذا كان الأمر كذلك ، أي لهما قولان ، فلا يجوز أن نجزم بأن القول بفناء النار هو قولها ما لم يعلم أنه القول الأخير ، وإذا لم يعلم القول الأخير فالأولى التوقف في نسبة أحد المذهبين إليهما .

الرابع : الأدلة التي احتج بها شيخ الإسلام وابن القيم على فناء النار ، بعضها غير صحيح ، والصحيح منها غير صريح ، بل يمكن حمله على غير فناء النار ، بل على فناء النار التي يكون فيها عصاة الموحدين . وقد ناقش الصنعاني في رسالته التي يرد فيها على ابن تيمية وابن القيم هذه الأدلة ، وبين عدم نهوضها على ما ذهب إليه . وهذه الرسالة هي المسماة « برفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار » (٢) .

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : (٣٠٧/١٨) .

(٢) طبعها المكتب الإسلامي ببيروت .

ومن الذين تعرضوا لهذه المسألة القرطبي في « التذكرة » ، فقد ساق النصوص الدالة على خلود الجنة والنار ، والمخبرة بأن الموت يذبح بين الجنة والنار ثم يقال : « يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت » ثم قال : « هذه الأحاديث مع صحتها في خلود أهل الدارين فيها ، لا إلى غاية ولا إلى أمد ، مقيمين على الدوام والسرمد من غير موت ولا حياة ولا راحة ولا نجاة »^(١) . ثم تعرض للرد على الذين قالوا بقاء النار ، وبين أن الذي يفنى إنما هو النار التي يدخلها عصاة الموحدين ، قال : « فمن قال : إنهم يخرجون منها ، وأن النار تبقى خالية بجمليتها خاوية على عروشها ، وأنها تفنى وتزول ، فهو خارج عن مقتضى المعقول ، ومخالف لما جاء به الرسول ، وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول .. وإنما تخل جهنم وهي الطبقة العليا التي فيها العصاة من أهل التوحيد ، وهي التي ينبت على شفيرها الجرجير »^(٢) ، قال فضل بن صالح المعافري : كنا عند مالك بن أنس ذات يوم ، فقال لنا انصرفوا ، فلما كان العشي رجعنا إليه ، فقال : إنما قلت لكم انصرفوا ، لأنه جاءني رجل يستأذن عليّ زعم أنه قدم من الشام في مسألة فقال : يا أبا عبد الله ما تقول في أكل الجرجير ؟ فإنه يتحدث عنه أنه ينبت على شفير جهنم ؟ فقلت له : لا بأس به^(٣) . فقال : أستودعك الله وأقرأ عليك السلام ، ذكره الخطيب أبو بكر أحمد رحمه الله ، وذكر أبو بكر البزار ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : يأتي على النار زمان تحفق الرياح أبوابها ، ليس فيها أحد ، يعني من الموحدين ، هكذا رواه

(١) التذكرة للقرطبي : ص ٤٣٦ .

(٢) هذا القول لا يصح فيه خبر ثابت ، وكان قائله أراد منه خمود النار التي يكون فيها عصاة الموحدين حتى ينبت النبات على حوافها .

(٣) هذه القصة إن كانت صحيحة فقد تكلف هذا السائل في سفره لتبين أمر هو في غاية الوضوح .

موقوفا من قول عبد الله بن عمرو ، وليس فيه ذكر النبي ﷺ ، ومثله لا يقال من
جهة الرأي ، فهو مرفوع ^(١) .

(١) التذكرة للمقرطبي : ص ٤٣٧ .

الفصل الخامس

أهل النيران وجرائمهم

المبحث الأول أهل النار الخالدون فيها

المطلب الأول التعريف بهم

أهل النار الخالدون فيها الذين لا يرحلون ولا يبيدون - هم الكفرة والمشركون . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلَ اللَّهِ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ^(٢) ، وقال : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ ^(٣) ، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ

(١) سورة الأعراف : ٣٦ .

(٢) سورة الأنبياء : ٩٩ .

(٣) سورة الزخرف : ٧٤ .

عَذَابَهَا ﴿١﴾ . وقال : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿٢﴾ ! وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٣﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ ﴿٣﴾ .

وقال : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مِنْ يُعَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿٤﴾ ، وقال : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ ﴿٥﴾ .

ولما كانوا خالدين فيها فقد وصف الحق عذاب النار بأنه مقيم ، أي لا ينقطع ، كما أضافه إلى الخلد ، قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ ﴿٦﴾ ، وقال : ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ ﴿٧﴾ .

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ ، قال : « يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقوم مؤذن بينهم : يا أهل النار لا موت ، ويا أهل الجنة لا موت ، خلود » ﴿٨﴾ . وروي عن أبي هريرة قال : قال

(١) سورة فاطر : ٣٦ .

(٢) سورة البقرة : ٣٩ .

(٣) سورة البقرة : ١٦٠ - ١٦١ .

(٤) سورة التوبة : ٦٣ .

(٥) سور التوبة : ١٧ .

(٦) سورة المائدة : ٣٧ .

(٧) سورة يونس : ٥٢ .

(٨) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب ، فتح الباري :

(٤٠٦/١١) .

رسول الله ﷺ : « يقال لأهل الجنة : يا أهل الجنة لا موت ، ولأهل النار : يا أهل النار خلود لا موت »^(١) .

وهذا يقال بعد ذبح الموت كما في حديث ابن عمر عند البخاري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار ، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم يذبح ، ثم ينادي منادي : يا أهل الجنة لا موت ، يا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم »^(٢) .

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « يُجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة ، هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ، ويقولون : نعم هذا الموت . قال : ويقال : يا أهل النار ، هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشرئبون وينظرون ، ويقولون : نعم ، هذا الموت ، قال فيؤمر به فيذبح . قال : ثم قال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت » . قال : ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٣)^(٤) .

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري يرفعه قال : « إذا كان يوم القيامة أتى بالموت كالكبش الأملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيذبح وهم ينظرون ، فلو أن أحدا مات فرحاً لمات أهل الجنة ، ولو أن أحدا مات حزناً لمات أهل النار » قال : حديث حسن صحيح^(٥) .

(١) المصدر السابق .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق : باب صفة الجنة والنار، فتح الباري : (٤١٥/١١) .

(٣) سورة مريم : ٣٩ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها : (٢١٨٨/٤) .

(٥) التذكرة للقرطبي : ص ٤٣٦ .

المطلب الثاني النار مسكن الكفرة المشركين

لما كان الكفرة المشركون خالدين في النار فإن النار تعتبر بالنسبة لهم سكناً وماوى ، كما أن الجنة مسكن المؤمنين ، ﴿ وَمَا لَهُمْ فِي النَّارِ وَلَا فِي سَمَوَاتٍ مَّا أُوتُوا مِنَ الْغَنِيِّ ﴾ (١) ، ﴿ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ فِي النَّارِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٢) ، ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (٣) . وهي ماواهم تتولى أمرهم ﴿ مَا وَنُكَرُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ ﴾ (٤) .

وهي بثست المسكن والمثوى ، ﴿ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ إِلِهَادُ ﴾ (٥) ، ﴿ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَثَابٍ ﴾ ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنُفْسُ إِلِهَادُ ﴾ (٦) .

المطلب الثالث الدعاة إلى النار

أصحاب المبادئ الضالة ، والمذاهب الباطلة المخالفون لشرع الله ، والدعاة المؤمنون بباطلهم هم دعاة النار ، ﴿ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ (٧) ،

(١) سورة آل عمران : ١٥١ .

(٢) سورة يونس : ٨ .

(٣) سورة العنكبوت : ٦٨ .

(٤) سورة الحديد : ١٥ .

(٥) سورة البقرة : ٢٠٦ .

(٦) سورة ص : ٥٥ - ٥٦ .

(٧) سورة البقرة : ٢٢١ .

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ ^(١) ، ومن هؤلاء الشيطان ﴿ أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ ^(٢) ، ﴿ إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنَ الْمُضِلِّينَ ﴾ ^(٣) . وهؤلاء الذين يدعون إلى النار في الدنيا يقودون أقوامهم وأتباعهم إلى النار في الآخرة ، ففرعون مثلاً ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ﴾ ^(٤) . وكل قادة الشر الذين يدعون إلى عقائد ومبادئ مخالفة للإسلام هم دعاة إلى النار ، لأن الطريق الوحيد الذي ينجي من النار ويدخل الجنة هو طريق الإيمان ﴿ وَيَنْقُومُ مَالِي أَدْعَاكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴾ ^(٥) ، كانوا يدعونه إلى فرعون وكفره وشركه ، وهو يدعوهم إلى الله وتوحيده والإيمان به ، ولما كان الكفار دعاة إلى النار حرم الله على المؤمنين الزواج من المشركات ، كما حرم على المؤمنات الزواج من المشركين ، ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأُمَّةٌ مِّنْهُ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٦) .

المطلب الرابع

أعظم جرائم الخالدين في النار

لقد أطلال القرآن في تبيان جرائم الخالدين الذين استحقوا بها الخلود في النيران ، ونحن نذكر هنا أهمها :

(١) سورة القصص : ٤١ .

(٢) سورة لقمان : ٢١ .

(٣) سورة فاطر : ٦ .

(٤) سورة هود : ٩٨ .

(٥) سورة غافر : ٤١ .

(٦) سورة البقرة : ٢٢١ .

١ - الكفر والشرك . فقد أخبرنا الحق تبارك وتعالى أن الذين كفروا ينادون عندما

يكونون في النار ، فيقال لهم : إن مقت الله لكم أعظم من مقتكم أنفسكم بسبب كفركم بالإيمان ، ثم بين أن خلودهم في النار إنما هو بسبب كفرهم وشركهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ (١) قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَلْفِينَ وَآخِثِينَ أَتُنتَبِهِنَ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَلَمْ يَشْرِكْ بِهِ تَأْمِنُوا فَالْحِزْبُ اللَّهِ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ (٣) .

وحدثنا الحق تبارك وتعالى أن خزنة النار يسألون الكفار عند ورودهم النار قائلين ﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ ؟ (٤) فيكون الجواب : أنهم استحقوا النار بسبب تكذيبهم المرسلين ، وما جاؤوا به ﴿ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾ (٥) .

وقال في المكذبين بالكتاب : ﴿ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴾ (٦) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴾ (٧) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴾ (٨) وقال في المكذبين بالكتاب المشركين بالله ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أُرْسِلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٩) إِذَا الْأَغْصَانُ فِيْ اعْتَنَقِهِمْ وَالسَّلْسَلُ يُسْحَبُونَ ﴾ (١٠) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ (١١) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ (١٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنْ بَلْ لَرَكُنْ تَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْعًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٣) ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ (١٤) أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (١٥) .

(١) سورة غافر : ١٠ .

(٢) سورة غافر : ٥٠ .

(٣) سورة الملك : ٩ .

(٤) سورة طه : ١٠٠ - ١٠١ .

(٥) سورة غافر : ٧٠ .

وقال في الكفرة المشركين المسوين آلهتهم برب العالمين ﴿فَكَبِّبُوا فِيهَا﴾^(١) وَأَلْغَاوْنَ^(٢) وَجُنُودَ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ^(٣) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ^(٤) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ^(٥) إِذْ تُسَوِّمُكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٦) ﴿١﴾ .

وقال في حق المكذبين بيوم الدين ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾^(٧) وقال : ﴿وإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَوَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْأَنَّا لِنَبْخُلُكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٨) . وقال : ﴿مَّا وَنِهُمُ جَهَنَّمَ كَلَّمَ خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾^(٩) ذَلِكَ جَزَاءُهم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِعَائِدَتِنَا وَقَالُوا أَوْأَنَّا كُنَّا عَظَمًا وَرَفْنَا أَوْأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾^(١٠) .

٢ - عدم القيام بالتكاليف الشرعية مع التكذيب بيوم الدين وترك الإلتزام بالضوابط الشرعية ، فقد أخبرنا الحق تبارك وتعالى أن أهل الجنة يسألون أهل النار قائلين ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾^(١١) ، فيجيبون قائلين : ﴿لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ﴾^(١٢) وَلَمْ نَكُ نَطْعِمِ الْمَسْكِينِ^(١٣) وَكُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ^(١٤) وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ^(١٥) حَتَّى آتَيْنَا الْيَقِينَ﴾^(١٦) .

٣ - طاعة رؤساء الضلال وزعماء الكفر فيما قرروه من مبادئ الضلال وخطوات الكفر التي تصد عن دين الله ومتابعة المرسلين . قال تعالى في هؤلاء : ﴿وَقَبِضْنَا لَهُمْ قُرُونًا فَرَينُوا لَهُمْ مَآبِينَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ

(١) سورة الشعراء : ٩٤ - ٩٨ .

(٢) سورة الفرقان : ١١ .

(٣) سورة الرعد : ٥ .

(٤) سورة الإسراء : ٩٧ - ٩٨ .

(٥) سورة المدثر : ٤٢ .

(٦) سور المدثر : ٤٣ - ٤٧ .

الْقَوْلِ فِي أُمِّهِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْعَدُونَ ﴿٢٨﴾

وعندما يحل الكفار في النار ، وتقلب وجوههم فيها يتندمون لعدم طاعتهم الله ورسوله ، وطاعتهم السادة الكبراء ﴿٢٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٢٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٧﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٢٩﴾ .

٤ - النفاق : وعد الله المنافقين النار ، وهو وعد قطعه على نفسه لا يخلفه ﴿٢٥﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَاتِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَّ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيمٌ ﴿٢٨﴾ وأخبرنا أن موقع المنافقين في النار هو دركاتهما السفلى ، وهي أشدها حرًا ، وأكثرها إيلا ما ﴿٢٩﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴿٤٠﴾ .

٥ - الكبير : وهذه صفة يتصف بها عامة أهل النار ، قال تعالى : ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ .

وقد عقد مسلم في صحيحه بابا عنون له بقوله : « باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء » ، وذكر فيه احتجاج الجنة والنار وما قالنا وما قال الله

(١) سورة فصلت : ٢٥ .

(٢) سورة الأحزاب : ٦٤ - ٦٧ .

(٣) سورة التوبة : ٦٨ .

(٤) سورة النساء : ١٤٥ .

(٥) سورة الأعراف : ٣٦ .

لها ، وساق فيه حديث أبي هريرة يرفعه إلى الرسول ﷺ ، وفيه أن النار قالت : « يدخلني الجبارون والمتكبرون » وفي رواية قالت : « أوثرت بالمتكبرين والجبارين » . وقال الله لها : « أنت عذابي أعذب بك من أشياء » (١) .

وفي صحيح البخاري ومسلم وسنن الترمذي عن حارثة بن وهب ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف ، لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار ، كل عتل جواظ مستكبر » (٢) وفي رواية لمسلم « كل جواظ زنيم متكبر » (٣) ، ومصدق هذا في كتاب الله تبارك وتعالى : ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٦﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (٦) .

المطلب الخامس جملة الجرائم التي تدخل النار

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ما عمل أهل النار ، وما عمل أهل الجنة ؟ فأجاب : عمل أهل النار : الإشراك بالله تعالى ، والتكذيب

-
- (١) صحيح مسلم : (٢١٨٦/٤) ورقم الحديث : ٢٨٤٦ .
(٢) جامع الأصول : (٥٤٧/١٠) ورقم الحديث : ٨١١١ .
(٣) انظر الحديث ورواياته في « صحيح مسلم » كتاب الجنة « باب النار يدخلها الجبارون » : (٢١٩٠/٤) ورقمه ٢٨٥٣ ، والعتل : الغليظ الجافي الذي لا يتقاد للخير ، والزنيم : الدعي الملتصق بالقوم وليس منهم ، أو هو اللئيم في أخلاق الناس ، والجواظ : الذي جمع ومنع .
(٤) سورة الزمر : ٦٠ .
(٥) سورة الاحقاف : ٢٠ .
(٦) سورة النازعات : ٣٧ .

لِلرَّسْلِ ، وَالْكَفْرِ ، وَالْحَسَدِ ، وَالْكَذْبِ ، وَالْخِيَانَةِ ، وَالظُّلْمِ ، وَالْفَوَاحِشِ ،
وَالْغَدْرِ ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ ، وَالْجَبْنِ عَنِ الْجِهَادِ ، وَالْبَخْلِ ، وَاخْتِلَافِ السِّرِّ
وَالْعِلَانِيَةِ ، وَالْيَأْسِ مِنْ رُوحِ اللَّهِ ، وَالْأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ ، وَالْجَزَعِ عِنْدَ الْمَصَائِبِ ،
وَالْفَخْرِ وَالْبَطْرِ عِنْدَ النِّعَمِ ، وَتَرْكِ فَرَائِضِ اللَّهِ ، وَاعْتِدَاءِ حُدُودِهِ ، وَانْتِهَاكِ
حُرْمَاتِهِ ، وَخَوْفِ الْمَخْلُوقِ دُونَ الْخَالِقِ ، وَالْعَمَلِ رِيَاءً وَسَمْعِهِ ، وَخِلَافَةِ الْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ ، أَيْ اعْتِقَادًا وَعَمَلًا ، وَطَاعَةِ الْمَخْلُوقِ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ ، وَالتَّعَصُّبِ
لِلْبَاطِلِ ، وَاسْتِهْزَاءِ بآيَاتِ اللَّهِ ، وَجَحْدِ الْحَقِّ ، وَالْكَتْمَانِ لِمَا يَجِبُ إِظْهَارُهُ مِنْ عِلْمٍ
وَشَهَادَةٍ ، وَالسَّحَرِ ، وَعُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ ، وَقَتْلِ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ،
وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالرِّبَا ، وَالْفِرَارِ مِنَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفِ الْمُحَصَّنَاتِ الْغَافِلَاتِ
الْمُؤْمِنَاتِ ^(١) .

وقد ذكر الرسول ﷺ جماع الذنوب التي تدخل النار ، ففي صحيح مسلم
عن عياض بن حمار أن رسول الله ﷺ قال في خطبة له طويلة : « وأهل النار
خمسة : الضعيف الذي لا زَبَرَ له ^(٢) ، الذين هم فيكم تبعاً لا يتبعون أهلاً ولا
مالاً ، والخائن الذي لا يخفى له طمع ^(٣) ، وإن دقَّ إلّا خائنة ، ورجل لا يصبح ولا
يمسي إلّا وهو يخادعك عن أهلك ومالك . وذكر البخل ، والكذب
والشنظير ^(٤) ، الفحاش ^(٥) » .

(١) يقظة أولى الاعتبار ، ص ٢٢٢ .

(٢) أي لا عقل له يمنعه عما لا ينبغي ، وقيل : هو الذي لا مال له .

(٣) أي لا يظهر له .

(٤) هو الفحاش كما هو مفسر في الحديث .

(٥) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل

النار : (٢١٩٧/٤) . ورقمه : ٢٨٦٥ .

المطلب السادس أشخاص بأعيانهم في النار

الكفار والمشركون في النار لا شك في ذلك ، وقد أخبرنا القرآن الكريم ، كما أخبرنا الرسول ﷺ أن أشخاصاً بأعيانهم في النار ، فمن هؤلاء فرعون موسى ، ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾^(١) . ومنهم امرأة نوح وامرأة لوط ، ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾^(٢) . ومنهم أبو لهب وامرأته ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا إِذَا تَلَهَّبَ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾^(٣) ومنهم عمرو بن عامر الخزاعي ، فقد رآه الرسول ﷺ يجر أمعاءه في النار^(٤) ومنهم الذي قتل عمار وسلَّبه ، ففي معجم الطبراني بإسناد صحيح عن عمرو بن العاص وعن ابنه عن النبي ﷺ ، قال : « قاتل عمار وسالبه في النار »^(٥) .

(١) سورة هود : ٩٨ .

(٢) سورة التحريم : ١٠ .

(٣) سورة تبت : ١ - ٥ .

(٤) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وأحمد ، وقد ذكرنا نص الحديث في موضع آخر .

(٥) صحيح الجامع : (٤/ ١١٠) ، ورقمه : ٤١٧٠ .

المطلب السابع كفرة الجن في النار

كفرة الجن يدخلون النار كما يدخلها كفرة الإنس ، فالجن مكلفون كالإنس ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١) .

وفي يوم القيامة يحشر الجن والإنس على حد سواء ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾^(٢) ، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا﴾^(٣) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًا^(٤) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًا^(٥) ثُمَّ يُقَالُ لِلْكَافِرَةِ مِنْهُمْ : ﴿أَدْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾^(٦) وعند ذلك يكذبون في النار ﴿فَكَبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾^(٧) وَجُنُودُ إبْلِيسَ أَجْمَعُونَ^(٨) ، وبذلك تتم كلمة الله القاضية بعمل النار من كفرة الجن والإنس ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٩) ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾^(١٠) .

(١) سورة الذاريات : ٥٦ .

(٢) سورة الأنعام : ١٢٨ .

(٣) سورة مريم : ٦٨ .

(٤) سورة الأعراف : ٣٨ .

(٥) سورة الشعراء : ٩٤ - ٩٥ .

(٦) سورة هود : ١١٩ .

(٧) سورة فصلت : ٢٥ .

المبحث الشافعي الذين لا يخلدون في النار

المطلب الأول التعريف بهم

الذين يدخلون النار ، ثم يخرجون منها هم أهل التوحيد الذين لم يشركوا بالله شيئاً ، ولكن لهم ذنوب كثيرة فاقت سيئاتهم ، فخفت موازينهم ، فهؤلاء يدخلون النار مددا يعلمها الله تبارك وتعالى ، ثم يخرجون بشفاعة الشافعين ، ويخرج الله برحمته أقواما لم يعملوا خيرا قط .

المطلب الثاني الذنوب المتوعد عليها بالنار

سنذكر هنا بعض الذنوب التي جاءت النصوص مخبرة أن أهلها يعذبون بسببها في النار :

١ - الفرق المخالفة للسنة :

روى أبو داود والدارمي وأحمد والحاكم وغيرهم عن معاوية بن أبي سفيان أنه قال : ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال : « ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، وهي الجماعة » .

وهذا حديث صحيح . قال فيه الحاكم بعد سياقه لأسانيده : « هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح الحديث » . ووافقه الذهبي . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية فيه : « هو حديث صحيح مشهور » . وصححه الشاطبي في « الاعتصام » ، وقد جمع الشيخ ناصر الدين الألباني طرقه وتكلم على أسانيده ، وبين أنه حديث صحيح لا شك في صحته^(١) .

وقد ذهب صديق حسن خان إلى أن الزيادة التي في الحديث وهي « كلها هالكة إلا واحدة » ومثلها « ثنتان وسبعون في النار » زيادة ضعيفة . ونقل تضعيف ذلك عن شيخه الشوكاني ومن قبله عن ابن الوزير ومن قبله عن ابن حزم . وقد استحسّن قول من قال : « إن هذه الزيادة من دسيس الملاحدة ، فإن فيها التنفير عن الإسلام والتخويف من الدخول فيه »^(٢) .

وقد رد الشيخ ناصر الدين الألباني على من ضعف هذه الزيادة من وجهين : الأول : أن النقد العلمي الحديثي قد دل على صحة هذه الزيادة ، فلا عبرة بقول من ضعفها .

الثاني : أن الذين صححوها أكثر وأعلم من ابن حزم ، لا سيما وهو معروف عند أهل العلم بتشدهد بالنقد ، فلا ينبغي أن يحتج به إذا تفرد عند عدم المخالفة ، فكيف إذا خالف .

وأما ابن الوزير فإنه يرد الزيادة من جهة المعنى لا من جهة الإسناد ، وقد تكلم على هذا صديق حسن خان في « يقظة أولى الاعتبار » مبينا أن مقتضى الزيادة أن الذي يدخل الجنة من هذه الأمة قليل ، والنصوص الصحيحة الثابتة تدل على

(١) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ورقم الحديث (٢٠٤) .

(٢) يقظة أولى الاعتبار : ص ٢٠٦ .

أن الداخلين من هذه الأمة الجنة كثير كثير ، يبلغون نصف أهل الجنة^(١) .

والرد على هذا من عدة وجوه :

الأول : ليس معنى انقسام الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة أن يكون أكثر الأمة في النار ، لأن أكثر الأمة عوام لم يدخلوا في تلك الفرق ، والذين افترقوا وقعدوا وأصلوا مخالفين السنة قليل بالنسبة للذين جانبوا ذلك كله .

الثاني : ليس كل من خالف أهل السنة في مسألة من المسائل يعد من الفرق المخالفة للسنة ، بل المراد بهم الذين تبنا أصولاً تصيرهم فرقة مستقلة بنفسها ، تركوا من أجلها كثيراً من نصوص الكتاب والسنة ، كالخوارج والمعتزلة والرافضة . أما الذين يتبنون الكتاب والسنة ولا يحيدون عنها ، فإنهم إذا خالفوا في مسألة من المسائل لا يعدون فرقة من الفرق .

الثالث : الزيادة دلت على أن الفرق في النار ، ولكنها لم توجب لهم الخلود في النار .

ومن المعلوم أن بعض أهل هذه الفرق كفره خالدون في النار ، كفلاة الباطنية الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر كالإسماعيلية والدروز والنصيرية ونحوهم .

ومنهم الذين خالفوا أهل السنة في مسائل كبيرة عظيمة ولكنها لا تصل إلى الكفر ، فهؤلاء ليس لهم وعد مطلق بدخول الجنة ، ولكنهم تحت المشيئة إن شاء الله غفر لهم وإن شاء عذبهم ، وقد تكون لهم أعمال صالحة عظيمة تنجيهم من

(١) انظر كلام الشيخ في « سلسلة الأحاديث الصحيحة » حديث رقم (٢٠٤) . و « يقظة أولى الاعتبار » ص : ٢٠٧ .

النار ، وقد ينجون من النار بشفاعاة الشافعين ، وقد يدخلون النار ويمكثون فيها ما شاء الله أن يمكثوا ، ثم يخرجون منها بشفاعاة الشافعين ورحمة أرحم الراحمين .

٢ - الممتنعون من الهجرة :

لا يجوز للمسلم أن يقيم في ديار الكفر إذا وجدت ديار الإسلام خاصة إذا كان مكثه في ديار الكفر يعرضه للفتنة ، ولم يقبل الله عذر الذين تخلفوا عن الهجرة ، فقد أخبرنا الحق أن الملائكة تَبْكُ هذا الصنف من الناس حال الموت ، ولا تعذرهم عندما يدعون أنهم كانوا مستضعفين في الأرض ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسَعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝١٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿١﴾ ، فلم يعذر الله من هؤلاء إلا المستضعفين الذين لا يجدون حيلة للخروج ، ولا يهتدون إلى الطريق الذي يوصلهم إلى ديار الإسلام .

٣ - الجائرون في الحكم :

أنزل الله الشريعة ليقوم الناس بالقسط ، وأمر الله عباده بالعدل ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾^(٢) ، وفرض على الحكام والقضاة الحكم بالعدل وعدم الجور ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾^(٣) ، وقد تهدد الحق الذين لا يحكمون بالحق بالنار ، فقد روى

(١) سورة النساء : ٩٧ - ٩٨ .

(٢) سورة النحل : ٩٠ .

(٣) سورة النساء : ٥٨ .

بريلة بن الحبيب أن رسول الله ﷺ ، قال : « القضية ثلاثة : واحد في الجنة ، واثنان في النار ، فأما الذي في الجنة : فرجل عرف الحق بوقضى به ، ورجل عرف الحق فجار في الحكم ، فهو في النار ، ورجل قضى للناس على جهل ، فهو في النار » أخرجه أبو داود^(١) .

٤ - الكذب على الرسول الله ﷺ :

عقد ابن الأثير في كتابه الكبير : « جامع الأصول » فصلاً ساق فيه كثيراً من الأحاديث التي تحذر من الكذب على الرسول ﷺ ، فمنها ما رواه البخاري ومسلم والترمذي عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تكذبوا علي ، فإنه من كذب عليّ يلج النار » .

ومنها ما رواه البخاري عن سلمة بن الأكوع قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من تكول عليّ ما لم أقل^(٢) ، فليتبوأ مقعده في النار »^(٣) .

ومنها ما رواه البخاري في صحيحه ، وأبو داود في سننه عن عبد الله بن الزبير عن أبيه الزبير بن العوام ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

ومنها ما رواه البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن كذباً عليّ ليس ككذب على أحد ، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »^(٤) .

(١) جامع الأصول : (١٠٠/١٣٧) ، وقال محقق الكتاب : وهو حديث صحيح .

(٢) تقول عليه : إذا قال عنه ما لم يقله .

(٣) التبوؤ : اتخاذ المنزل ، لأن المباءة المنزل .

(٤) جامع الأصول : (١٠٠/٦١١) ، وقد ساق روايات أخرى فارجع إليه إن أحببت الاطلاع على جميع ما ساقه .

٥ - الكبر :

من الذنوب الكبار الكبر ، فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :
« يقول الله تعالى : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحدا منها
أدخلته النار » وفي رواية « أذقته النار » رواه مسلم .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة أحد في قلبه
مثقال ذرة من كبر » ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ، ونعله
حسنا ، قال : « إن الله جميل يحب الجمال . الكبر : بطر الحق ، وغمط الناس »
رواه مسلم^(١) .

٦ - قاتل النفس بغير حق :

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ
اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾^(٢) ، فلا يجوز في دين الله قتل النفس المسلمة
إلا بإحدى ثلاث كما في الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم عن ابن مسعود أن
رسول الله ﷺ قال : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى
رسول الله ، إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والشيب الزاني ، والتارك لدينه
المفارق للجماعة »^(٣) .

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول
الله ﷺ : « لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما » . قال ابن

(١) انظر هذين الحديثين وأحاديث أخرى في ذم الكبر والترهيب منه في «مشكاة المصابيح»

(٢) (٦٣٤/٣ - ٦٣٥) .

(٣) سورة النساء : ٩٣ .

(٤) تفسير ابن كثير : (٣٥٥/٢) .

عمر : « إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله »^(١) . وقد حذر الرسول صلى الله ﷺ المسلمين أن يقاتل بعضهم بعضا ، وأخبر أن القاتل والمقتول في النار ، فعن أبي بكرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا تواجه المسلمان بسيفيهما ، فالقاتل والمقتول في النار » قال : فقلت ، أو قيل : يارسول الله ، هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : « إنه كان حريصا على قتل صاحبه »^(٢) . ولذا فإن العبد الصالح أبى أن يقاتل أخاه ، خشية أن يكون من أهل النار ، فباء القاتل بإثمه وإثم أخيه ﴿ وَأَنْزِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَنَقِّلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾^(٣) .

٧ - أكلة الربا :

من الذنوب التي توبق صاحبها الربا ، وقد قال الحق في الذين يأكلونه بعد أن بلغهم تحريم الله له : ﴿ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(٤) ، وقال : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٥) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ . وقد عده

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الديات ، باب قول الله تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا ﴾ .

فتح الباري : (١٨٧/١٢) .

(٢) رواه مسلم ، كتاب الفتن ، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما : (٢٢١٣/٤) .

(٣) سورة المائدة : ٢٧ - ٢٩ .

(٤) سورة البقرة : ٢٧٥ .

(٥) سورة آل عمران : ١٣٠ - ١٣١ .

الرسول ﷺ في الحديث المتفق عليه واحداً من سبعة ذنوب توجب صاحبها ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات » .. قالوا : وما هن يا رسول الله ؟ قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربوا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » .

٨ - أكلة أموال الناس بالباطل :

من الظلم العظيم الذي يستحق به صاحبه النار أكل أموال الناس بالباطل ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِمَّنْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٣٦ ﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُوًّا وظُلْمًا فَقَدْ قُصِفَ نَفْسِهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿ ٣٧ ﴾ .

ومن أكل أموال الناس بالباطل أكل أموال اليتامى ظلماً ، وقد خص الحق المواظم بالذكر لضعفهم وسهولة أكل أموالهم ، ولشناعة هذه الجريمة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴾ (٣٦) .

٩ - المصورون :

أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة المصورون الذين يضلّهم خلق الله ، ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أشدُّ الناس عذاباً عند الله المصورون » (٣٧) .

(١) سورة النساء : ٣٨ - ٣٩ .

(٢) سورة النساء : ١٠ .

(٣) مشكاة المصابيح : (٢ / ٥٠٥) .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل مصور في النار ، يجعل له بكل صورة صورها نفسا ، فيعذبه الله في جهنم » متفق عليه^(١) .

وعن عائشة أن الرسول ﷺ قال في النمرقة التي فيها تصاوير : « إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة » ويقال لهم : « أحيوا ما خلقتم » متفق عليه^(٢) .

وعن عائشة أيضا ، عن النبي ﷺ قال : « أشد الناس عذابا الذين يضاهون بخلق الله » متفق عليه^(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى ، فليخلقوا قرّة ، أوليخلقوا حبة ، أو شعيرة » متفق عليه^(٤) .

١٠ - الركود إلى الظالمين :

من الأسباب التي تدخل النار الركود إلى الظالمين أعداء الله وموالاتهم ، ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُ النَّارُ ﴾^(٥) .

(١) مشكلة المصانيع : (٢/٥٠٥) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

(٥) سورة هود : ١١٣ .

١١ - الكاسيات العاريات والذين يجلدون ظهور الناس :

من الأصناف التي تصلى النار الفاسقات المتبرجات اللواتي يفتن عباد الله ، ولا يستقمن على طاعة الله ، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا » أخرجه مسلم ، والبيهقي ، وأحمد^(١) .

قال القرطبي في الذين معهم كأذناب البقر : « وهذه الصفة للسياط مشاهدة عندنا بالمغرب إلى الآن » قال صديق حسن خان معقبا على قول القرطبي : « بل هو مشاهد في كل مكان وزمان ، ويزداد يوما فيوما عند الأمراء والأعيان ، فنعوذ بالله من جميع ما كرهه الله »^(٢) ، أقول : ولازلنا نرى هذا الصنف من الناس في كثير من الديار يجلدون أبشار الناس ، فتبا لهؤلاء وأمثالهم .

والكاسيات العاريات كثيرات في زماننا ، ولعله لم يسبق أن انتشرت فتنتهن كما انتشرت في زماننا ، وهن على النعت الذي وصفه الرسول ﷺ : كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت .

١٢ - الذين يعذبون الحيوان :

روى مسلم في صحيحه عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « عُرِضَتْ عَلَيَّ

(١) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٣١٦/٣) ورقم الحديث : ١٣٢٦ .

(٢) يقظة أولى الاعتبار : ص ١١٣ .

النار ، فرأيت فيها امرأة من بني إسرائيل تُعَذَّب في هرة لها ، ربطتها فلم تُطعمها ، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض ، حتى ماتت جوعاً»^(١) .

إذا كان هذا حال من يعذب هرة ، فكيف من يتفنن في تعذيب العباد ؟
فكيف إذا كان التعذيب للصالحين منهم بسبب إيمانهم وإسلامهم ؟

١٣ - عدم الإخلاص في طلب العلم :

ساق الحافظ المنذري كثيرا من الأحاديث التي ترهب من تعلم العلم لغير الله ، نختار لك بعضاً منها : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من تعلم علماً مما يتنغي به وجه الله تعالى ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة ، يعني ربحها » رواه أبو داود وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري ومسلم .

وعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تَعْلَمُوا العلم لتباهوا به العلماء ، ولا تماروا به السفهاء ، ولا تخيروا به المجالس ، من فعل ذلك فالنار النار » رواه ابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي .

وعن ابن عمر عن رسول الله عليه السلام قال : « من تعلم علماً لغير الله ، أو أراد به غير الله ، فليتبوأ مقعده من النار » . رواه الترمذي وابن ماجه كلاهما عن خالد بن دريك عن ابن عمر ، ولم يسمع منه . ورجال إسنادهما ثقات^(٢) .

(١) مشكاة المصابيح : (٦٨٨/٣) .

(٢) انظر هذه الأحاديث ونحوها في : « الترغيب والترهيب » للحافظ المنذري : (٩١/١) .

١٤ - الذين يشربون في آنية الذهب والفضة :

روى البخاري ومسلم عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال : « الذي يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم » . وفي رواية لمسلم : « إن الذي يأكل ويشرب في آنية الفضة والذهب ... » (١) .

وعن حذيفة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تلبسوا الحرير والديباج ، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا في صحافها ، فإنها لهم في الدنيا ، وهي لكم في الآخرة » متفق عليه (٢) .

١٥ - الذي يقطع السدر الذي يظل الناس :

عن عبدالله بن حبش قال : قال رسول الله ﷺ : « من قطع سدره صوب الله رأسه في النار » رواه أبو داود (٣) .

وروى البيهقي بإسناد صحيح عن عائشة عن رسول الله ﷺ قال : « إن الذين يقطعون السدر يصبون في النار على رؤوسهم صبا » (٤) .

١٦ - جزاء الانتحار :

ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته في يده ، يجأها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها

(١) مشكاة المصابيح : (٤٦٢/٢) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) مشكاة المصابيح : (١٢٥/٣) ، وأورده الشيخ ناصر في « صحيح الجامع » : (٣٤١/٥) ، رقم الحديث : (٦٣٥٣) ، وعزاه إلى أبي داود والضياء في « المختارة » ، وقال : صحيح .

(٤) عزاه في « صحيح الجامع » : (٨٨/٣) إلى البيهقي في « السنن » وقال فيه : صحيح .

أبدلاً ، ومن قتل نفسه بسم ، قسمه في يده ، يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها
أبدلاً ، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها
أبدلاً (١) .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « الذي يخنق نفسه
يخنقها في النار ، والذي يطعنها يطعنها في النار » (٢) .

(١) التخريق من النار ص ١٤٨ .

(٢) صحيح الجامع : (١١٤ / ٥) .

الفصل السادس

كثرة أهل النار

المبحث الأول

النصوص الدالة على ذلك

جاءت النصوص كثيرة وافرة دالة على كثرة من يدخل النار من بني آدم ، وقلة من يدخل الجنة منهم .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٢) . وقال الحق تبارك وتعالى لإبليس ﴿ لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ^(٣) . فكل من كفر فهو من أهل النار على كثرة من كفر من بني آدم .

ويدلك على كثرة الكفرة والمشركين الذين رفضوا دعوة الرسل أن النبي يأتي في يوم القيامة ومعه الرهط ، وهم الجماعة دون العشرة ، والنبي ومعه الرجل

(١) سورة يوسف : ١٠٣ .

(٢) سورة سبأ : ٢٠ .

(٣) سورة ص : ٨٥ .

والرجلان ، بل إن بعض الأنبياء يأتي وحيدا لم يؤمن به أحد ، ففي صحيح مسلم
عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه
الرهيط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد .. » (١) .

وجاءت قصص كثيرة تدل على أنه يدخل في النار من بني آدم تسعمائة
وتسعة وتسعون من كل ألف ، وواحد فقط هو الذي يدخل الجنة .

فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ :
« يقول الله : يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، ثم يقول :
أخرج بعث النار ، قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة
وتسعين ، فذاك حين يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس
سكري وما هم بسكري ، ولكن عذاب الله شديد . فاشتد ذلك عليهم فقالوا : يا
رسول الله ، أين ذلك الرجل ؟ قال : أبشروا ، فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم
رجل . ثم قال : والذي نفسي بيده ، إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة .
قال : فحمدنا الله وكبرنا . ثم قال : والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر
أهل الجنة ، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ، أو
كالرقمة في ذراع الحمير » (٢) .

وروى عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال وهو في بعض أسفاره ، وقد
تفاوت من أصحابه السير رفع بهاتين الآيتين صوته : ﴿يَتْلِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ﴾
﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (٣) يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع

(١) صحيح مسلم : (١٩٨/١) . ورقم الحديث : ٢٢٠ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق ، باب قول الله عز وجل : ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ فتح

الباري : (٣٨٨/١١) .

كُلُّ ذَاتٍ حَلِيٍّ حَلَهَا وَتَرَى النَّاسَ مُسَكَّرِينَ وَمَا هُمْ بِمُسَكَّرِينَ وَلَئِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿١١﴾ « فلما سمع أصحابه ذلك حثوا اللطفي ، وعرفوا أنه عند قول يقول الله ، فلما اذنوا حوله قال : « أتدرون أي يوم ذلك ؟ قال ذلك يوم ينالدي آدم عليه السلام ، فيناديه ربه عز وجل ، فيقول : يا آدم ابعث ببعثا إلى النار . فيقول : يا رب ، وما بعث النار ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد في الجنة »

قال : فأبليس أصحابه ، حتى ما أوضحوا بوضاحتها . فلما رأى ذلك قال : « أبشروا واعملوا ، فواللذي نفس محمد بيده إنكم لنح خليقتين ما كانتا مع شيء قط إلا كثرته : يأجوج ومأجوج ، ومن هلك من بني آدم وبني إبليس » قال : « فسرني عنهم ، ثم قال : « اعملوا وأبشروا ، فواللذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير أو الرقعة في ذراع الدابة » رواه أحمد والترمذي والنسائي في كتاب التفسير في سننها ، وقال الترمذي : حسن صحيح (١١) .

وروى الترمذي في سننه عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال لما نزلت ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًاؤُا رَبِّكُمْ إِنَّا زَلَّزَلْنَا السَّاعَةَ مَتَىٰ لَعَظِيمٌ﴾ ﴿١٢﴾ « قال : نزلت عليه هذه الآية وهو في سفر ، فقال : « أتدرون أي يوم ذلك ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « ذلك يوم يقول الله لأدم : ابعث ببعث النار . قال : يا رب ، وما بعث النار ؟ قال : تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة » ، فأنشأ المسلمون يبيكون ، فقال رسول الله ﷺ : « قاربوا وسندوها » ، فلما لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية ، قال : فيؤخذ العدد من الجاهلية ، فإن

(١١) سورة الحج : ١١ ، ٢٢ ..

(١٢) تفسير ابن كثير : (٤/٦١٠) .. وهو في مسند أحمد (٤/٤٣٥) .

سورة الحج : ١١ ..

تمت ، وإلا كملت من المنافقين وما مثلكم ومثل الأمم إلا كمثل الرقمة في ذراع الدابة ، أو كالشامة في جنب البعير » ، ثم قال : « إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » فكبروا ، ثم قال : ولا أدري أقال : الثلثين أم لا . وكذا رواه الإمام أحمد ، وقال الترمذي فيه : هذا حديث حسن صحيح^(١) .

وقد يقال كيف تجمع بين هذه الأحاديث وبين ما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « أول من يدعى يوم القيامة آدم ، فترأى ذريته ، فيقال : هذا أبوكم آدم ، فيقول : لبيك وسعديك ، فيقول : أخرج بعث جهم من ذريتك ، فيقول : يا رب ، كم أخرج ؟ فيقول : أخرج من كل مائة تسعة وتسعين فقالوا : يا رسول الله ، إذا أخذ منا من كل مائة تسعة وتسعون ، فماذا يبقى منا ؟ قال : إن أمي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود »^(٢) .

والظاهر أن هذه الرواية لا تخالف الروايات الأخرى الصحيحة التي سقناها من قبل ، فإن ذلك العدد باعتبار معين ، وهذا العدد باعتبار آخر . فالأحاديث التي تجعل النسبة تسعمائة وتسعة وتسعين يمكن أن تحمل على جميع ذرية آدم ، وحديث البخاري الذي يجعلها تسعة وتسعين تحمل على جميع ذريته ما عدا يأجوج ومأجوج ، ويقرب هذا الجمع - كما يقول ابن حجر - أن يأجوج ومأجوج ذكروا في حديث أبي سعيد دون حديث أبي هريرة ، ويمكن أن يقال أن الأحاديث الأولى تتعلق بالخلق أجمعين ، فإذا جعلت نسبة مَنْ يدخل النار إلى من يدخل الجنة باعتبار الأمم جميعا تكون النسبة (٩٩٩) ، ويكون حديث البخاري الأخير مبيناً نسبة من يدخل النار من هذه الأمة دون سواها ، قال ابن حجر : « وَيُقَرَّبُ - أي هذا

(١) تفسير ابن كثير : (٦١٠ / ٤) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب الحشر ، فتح الباري : (٣٧٨ / ١١) .

القول - قولهم في حديث أبي هريرة « إذا أخذ منا » ، ثم قال : « ويحتمل أن تقع
القسمة مرتين مرة من جميع الأمم قبل هذه الأمة ، فيكون من كل ألف واحد إلى
الجنة ، ومرة من هذه الأمة ، فيكون من كل ألف عشرة »^(١) .

(١) فتح الباري : (١١ / ٣٩٠) ، وقد ساق أقوالاً أخرى ، فارجع إليه إن أحببت الاطلاع على المزيد .

الْبَيْتُ الشَّافِي السَّرِي كَثْرَةُ أَهْلِ النَّارِ

ليس السبب في هذا هو عدم بلوغ الحق إلى البشر على اختلاف أزمانهم وأمكنهم ، فإن الله لا يؤاخذ العباد إذا لم تبلغهم دعوته ، ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (١) ، ولذلك فإن الله أرسل في كل أمة نذيرا ، ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (٢) .

ولكن السبب وراء ذلك يعود إلى قلة الذين استجابوا للرسول وكثرة الذين كفروا بهم وكثير من الذين استجابوا لم يكن إيمانهم خالصا نقيا .
وقد تعرض ابن رجب في كتابه « التخويف من النار » إلى السبب في قلة أهل الجنة ، وكثرة أهل النار فقال :

« فهذه الأحاديث ومثلها تدل على أن أكثر بني آدم من أهل النار ، وتدل أيضا على أن أتباع الرسل قليل بالنسبة إلى غيرهم ، وغير أتباع الرسل كلهم في النار إلا من لم تبلغه الدعوة أو لم يتمكن من فهمها على ما جاء فيه من الاختلاف ، والمنسبون إلى أتباع الرسل كثير منهم من تمسك بدين منسوخ ، وكتاب مبطل ، وهم أيضا من أهل النار كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ فَأَلَّئِنَّا مَوْعِدُهُ ﴾ (٣) .

(١) سورة الإسراء : ١٥ .

(٢) سورة فاطر : ٢٤ .

(٣) سورة هود : ١٧ .

وأما المنتسبون إلى الكتاب المحكم والشريعة المؤيدة والدين الحق فكثير منهم من أهل النار أيضاً ، وهم المنافقون الذين هم في الدرك الأسفل من النار ، وأما المنتسبون إليه ظاهراً وباطناً فكثير منهم فتن بالشبهات ، وهم أهل البدع والضلال ، وقد وردت الأحاديث على أن هذه الأمة ستفرق على بضع وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة ، وكثير منها أيضاً فتن بالشهوات المحرمة المتوعد عليها بالنار - وإن لم يقتض ذلك الخلود فيها - فلم ينج من الوعيد بالنار ، ولم يستحق الوعد المطلق بالجنة من هذه الأمة إلا فرقة واحدة ، وهو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ظاهراً وباطناً وسلم من فتنة الشهوات والشبهات ، وهؤلاء قليل جدا لاسيما في الأزمان المتأخرة ^(١) .

ولعل السبب الأعظم هو اتباع الشهوات ، ذلك أن حب الشهوات مغروس في أعماق النفس الإنسانية ﴿رَبِّ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ^(٢) ، وكثير من الناس يريد الوصول إلى هذه الشهوات عن الطريق التي تهواها نفسه ويحبها قلبه ، ولا يراعي في ذلك شرع الله المنزل ، أضف إلى هذا تمسك الأبناء بميراث الآباء المناقض لشرع الله ﴿مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِتُمْ آيَةً وَإِنَّا عَلَىٰ تَأْتِيرِهِمْ يَقُولُونَ إِنَّا لَا نَحْسِبُكَ إِلَّا مَثَلًا ذَمِيمًا قُلْ أُولَئِكَ مُتَعَدِّينَ أَلْحِقَ الْفَاسِقَ أَهْلَهُمْ إِنَّ جَزَاءَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ^(٣) ، وأرسلهم به كفرون ^(٤) .

(١) التخويف من النار ، لابن رجب ، ص ٣١٤ .

(٢) سورة آل عمران : ١٤ .

(٣) سورة الزخرف : ٢٣ - ٢٤ .

وإلف ما كان عليه الآباء وتقديسه داء ابتليت به الأمم ، لا يقل أثره عن الشهوات المغروسة في أعماق الإنسان ، إن لم يكن هو شهوة في ذاته .

وقد روى الترمذي وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لما خلق الله النار ، قال لجبريل : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ثم جاء ، فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها ، فحفها بالشهوات ، فقال : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، فلما رجع ، قال : وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها » . أخرجه الترمذي وأبو داود ، وزاد النسائي : بعد قوله : « اذهب فانظر إليها » ، « وإلى ما أعددت لأهلها فيها »^(١) .

وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « حجبت النار بالشهوات ، وحجبت الجنة بالمكاره » . أخرجه البخاري ومسلم ، ولمسلم « حفت » بدل : « حجبت »^(٢) .

قال صديق حسن خان : « والمراد بالشهوات مرادات النفوس ومستلذاتها وأهويتها »^(٣) ، وقال القرطبي : « الشهوات كل ما يوافق النفس ويلائمها ، وتدعو إليه ، ويوافقها ، وأصل الحفاف الدائر بالشيء المحيط به ، الذي لا يتوصل إليه إلا بعد أن يتخطى »^(٤) .

(١) جامع الأصول : (٥٢٠/١٠) ، ورقمه : ٨٠٦٨ ، وقال المحقق : قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٢) المصدر السابق : (٥٢٠/١٠) ، ورقمه : ٨٠٦٩ .

(٣) بقظة أولى الاعتبار : ص ٢٢٠ .

(٤) المصدر السابق .

المبحث الثالث أكثر من يدخل النار النساء

أكثر من يدخل النار من عصاة الموحدين النساء ، كما في الصحيحين عن ابن عباس عن النبي ﷺ ، أنه قال في خطبة الكسوف « رأيت النار ورأيت أكثر أهلها النساء » .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال : « يا معشر النساء تصدقن ، فإني رأيتكن أكثر أهل النار » فقلن : ولم ذلك يا رسول الله ؟ قال : « تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير » .

وفي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد : « وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء » .

وفي صحيح مسلم عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال : « إن أقل ساكني الجنة النساء » .

وهذا لا ينافي أن كل واحد من أهل الجنة له أكثر من زوجة ، فإن المراد بالنساء اللواتي هن أكثر النار من كان منهن من ذرية آدم ، أما زوجات أهل الجنة الكثيرات فهن من الحور العين .

« وإنما كان النساء أقل ساكني الجنة لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى عاجل زينة الدنيا ، لنقصان عقولهن أن تنفذ بصائرهما إلى الأخرى ، فيضعفن عن عمل الآخرة والتأهب لها ، وليلهن إلى الدنيا والترزين لها ، ومع ذلك هن أقوى أسباب

الدنيا التي تصرف الرجال عن الآخرة ، لما فيهن من الهوى والليل لمن ، فأكثرهن معرضات عن الآخرة بأنفسهن صارفات عنها لغيرهن ، سرعات الانخداع لداعيتهن من المعرضين عن الدين ، عسرات الاستجابة لمن يدعوهم إلى الأخرى ، وأعمالها من المتقين ^(١) ، ومع ذلك ففيهن صالحات كثير ، يقمن حدود الله ، ويلتزم من شريعته ويطعن الله ورسوله ، ويدخل منهن الجنة خلق كثير ، وفيهن من يسبقن كثيرا من الرجال بإيمانهن وأعمالهن الصالحة .

(١) التذكرة للقرطبي :: (١/٣٦٩) .

الفصل السابع

عظيم خلق أهل النار

يدخل أهل الجحيم النار على صورة ضخمة هائلة لا يقدر قدرها إلا الذي خلقهم ، ففي الحديث الذي يرفعه أبو هريرة إلى رسول الله ﷺ قال : « ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب السريع » رواه مسلم^(١) . وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « خرس الكافر ، أوتاب الكافر ، مثل أحد ، وغلظ جلده مسيرة ثلاث »^(٢) .

وقال زيد بن أرقم : « إن الرجل من أهل النار ليعظم للنار ، حتى يكون الضرس من أضراسه كأحد » . رواه أحمد وهو مرفوع ، ولكن زيدا لم يصرح برفعه^(٣) .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن غلظ جلد الكافر اثنان

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب يدخلها الجبارون : (٢٦٩٠/٤) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون : (٣١٨٩/٤) ، وعزه في سلسلة

الأحاديث الصحيحة (١٣٣/٤) إلى مسلم والترمذي والحاكم وابن حبان وأحمد .

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٣٧/٤) ، وقال فيه : إسناده صحيح على شرط مسلم .

وأربعون ذراعاً ، وإن ضرسه مثل أحد ، وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة » ، رواه الترمذي^(١) .

وروى أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد ، وعرض جلده سبعون ذراعاً ، وعضده مثل البيضاء ، وفخذه مثل ورقان ، ومقعده من النار ما بيني وبين الربرة » أخرجه الحاكم وأحمد^(٢) .

وهذا التعظيم لجسد الكافر ليزداد عذابه وآلامه ، يقول النووي في شرحه لأحاديث مسلم في هذا الباب : « هذا كله لكونه أبلغ في آلامه ، وكل هذا مقدور الله تعالى يجب الإيمان به لإخبار الصادق به »^(٣) . وقال ابن كثير معلقاً على ما أورده من هذه الأحاديث : « ليكون ذلك أنكى في تعذيبهم ، وأعظم في تعييبهم ولهييبهم ، كما قال شديد العقاب : ﴿ لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ »^(٤) .

(١) مشكاة المصابيح : (١٠٣/٣) ، وقال محقق المشكاة : « رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح ، قلت : وسنده صحيح » .

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٤/٣) ، ونسب إلى الحاكم والذهبي تصحيح الحديث ووافقهما على ذلك على ضعف في أحد رواة الحديث وهو ابن إسحق ، وقد ساق المؤلف كثيراً من المتابعات والشواهد للحديث . والبيضاء اسم جبل . أويحيى بها المدينة المعروفة بالمغرب .

(٣) شرح النووي على مسلم : (١٨٦/١٧) .

(٤) النهاية لابن كثير : (١٣٩/٢) .

الفصل الثامن

طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم

طعام أهل النار الضريع والزقوم ، وشرابهم الحميم والغسلين والغساق ، قال تعالى : ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ۖ لَا يَسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ (١) ، والضريع شوك بأرض الحجاز يقال له الشبرق . وعن ابن عباس : الشبرق : نبت ذو شوك لا طيء بالأرض ، فإذا هاج سمي ضريعا . وقال قتادة : من أضرع الطعام وأبشعه (٢) . وهذا الطعام الذي يأكله أهل النار لا يفيدهم ، فلا يجدون له لذة ، ولا تنتفع به أجسادهم ، فأكلهم له نوع من أنواع العذاب .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ۖ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۖ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۖ لَا خَيْرَ تَزُلَا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۖ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ۖ إِنَّا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۖ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا كُونَ مِنْهَا فَأَكُونُوا مِنْهَا الْبُطُونُ

(١) سورة الغاشية : ٦ - ٧ .

(٢) التخويف من النار لابن رجب : ص ١١٥ .

(٣) سورة الدخان : ٤٣ - ٤٦ .

﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَكُمْ عَلَيْهَا ثَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ مَّرْجِعُهُمْ إِلَى الْحَمِيمِ ﴿٦٨﴾ .

وقال في موضع آخر : ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ لَا كُؤُونَ
مِنَ النَّجَسِ مِّنْ زُفُورٍ ﴿٧٠﴾ قَالُوا مَنَّا الْبُطُونُ ﴿٧١﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٧٢﴾
فَشَرِبُوا شَرِبَ الْحَمِيمِ ﴿٧٣﴾ هَذَا تَرْجُمَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٧٤﴾ .

ويؤخذ من هذه الآيات أن هذه الشجرة شجرة خبيثة ، جذورها تضرب في
قعر النار ، وفروعها تمتد في أرجائها ، وثمر هذه الشجرة قبيح المنظر ولذلك شبهه
برؤوس الشياطين ، وقد استقر في النفوس قبح رؤوسهم وإن كانوا لا يرونهم ،
ومع خبث هذه الشجرة وخبث طلعتها ، إلا أن أهل النار يلقي عليهم الجوع بحيث
لا يجدون مفرا من الأكل منها إلى درجة ملء البطون فإذا امتلأت بطونهم أخذت تعطي
في أجوافهم كما يغلي دردي الزيت ، فيجدون لذلك آلاما مبرحة ، فإذا بلغت الحال
بهم هذا المبلغ اندفعوا إلى الحميم وهو الماء الحار الذي تنال حرقه ، فشربوا منه
كشرب الإبل التي تشرب وتشرب ولا تروى لمرض أصابها ، وعند ذلك يقطع
الحميم أمعاءهم ﴿وَسَقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ ﴿٧٥﴾ . هذه هي ضيافتهم في
ذلك اليوم العظيم ، أعادنا الله من حال أهل النار بمنه وكرمه .

وإذا أكل أهل النار هذا الطعام الخبيث من الضريع والزقوم غصوا به لقبحه
وخبثه وفساده ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ ﴿٧٦﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿٧٧﴾ ،
والطعام ذو الغصة هو الذي يغص به آكله ، إذ يقف في حلقه .

(١) سورة الصافات : ٦٢ .

(٢) سورة الواقعة : ٥٨ .

(٣) سورة محمد : ١٥ .

(٤) سورة الزمل : ١٢ .

وقد صور لنا الرسول ﷺ شناعة الزقوم وقطاعته ، فقال : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا ، لأفسدت على أهل الأرض معاليهم ، فكيف عن يكون طعامه » رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح ^(١) .

ومن طعام أهل النار الغسلين ، قال تعالى : ﴿ قَلِيلٌ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ^(٢) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ ^(٣) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِفُونَ ^(٤) ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ هَذَا فَلْيَذُقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ^(٥) وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ^(٦) ﴾ .

والغسلين والغساق بمعنى واحد ، وهو ما سأل من جلود أهل النار من القيح والصديد ، وقيل ما يسيل من فروج النساء الزواني ومن تنن لحوم الكفرة وجلودهم ، وقال القرطبي : هو عصارة أهل النار ^(٧) .

وقد أخبر الحق أن الغسلين واحد من أنواع كثيرة تشبه هذا النوع في قطاعته وشناعته .

أما شرايهم فهو الحميم ، قال تعالى : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ^(٨) ﴾ ، وقال : ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ حَرَتْهُمْ تَقَفًّا ^(٩) ﴾ ، وقال : ﴿ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ^(١٠) يَجْعَرُهُ وَلَا يَكَادُ يَسِيفُهُ ^(١١) ﴾ ، وقال : ﴿ هَذَا فَلْيَذُقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ^(١٢) ﴾ .

(١) مشكلة المصابيح : (١٠٥/٣) ، وراوي الحديث هو ابن عباس .

(٢) سورة الحاقة : ٣٥ - ٣٧ .

(٣) سورة ص : ٥٨ .

(٤) نقطة أولى الاعتبار ، ص : ٨٦ .

(٥) سورة محمد : ١٥ .

(٦) سورة الكهف : ٢٩ .

(٧) سورة إبراهيم : ١٦ - ١٧ .

(٨) سورة ص : ٥٧ .

وقد ذكرت هذه الآيات أربعة أنواع من شراب أهل النار :

الأول : الحميم ، وهو الماء الحار الذي تنهى حرّه ، كما قال تعالى : ﴿يَطْوِفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ إِنْ﴾^(١) ، والآن : هو الذي انتهى حره ، وقال : ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَيْنِيَّةٍ﴾^(٢) ، وهي التي انتهى حرها فليس بعدها حر .

النوع الثاني : الغساق ، وقد مضى الحديث عنه ، فإنه يذكر في مأكول أهل النار ومشروبهم .

النوع الثالث : الصديد ، وهو ما يسيل من لحم الكافر وجلده ، وفي صحيح مسلم عن جابر عن النبي ﷺ ، قال : « إن على الله عهدا لمن شرب المسكرات ليسقيه طينة الخبال . قالوا : يا رسول الله ، وما طينة الخبال ؟ قال : عرق أهل النار ، أو عصارة أهل النار » .

الرابع : المهل . وفي حديث أبي سعيد الخدري عند أحمد والترمذي عن النبي ﷺ في قوله : « كعكر الزيت ، فإذا قرب وجهه سقطت فروة وجهه فيه » .

وقال ابن عباس : في تفسير المهل : « غليظ كدردي الزيت »

أكلهم النار

من أصحاب الذنوب من يطعمه الله جمر جهنم جزاء وفاقا ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِهَتِهِمْ ظُلْمًا إِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾^(٣) .

(١) سورة الرحمن : ٤٤ .

(٢) سورة الغاشية : ٥ .

(٣) سورة النساء : ١٠ .

وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَسْتُرُونَ بِهِ مِمَّا قَلِيلًا أَوْلَيْكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ ﴾ (١) .

أما لباس أهل النار فقد أخبرنا الحق تبارك وتعالى أنه يُفَصَّلُ لأهل النار حلل من النار ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَلَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقَ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ (٢) . وكان إبراهيم التيمي إذا تلا هذه الآية يقول : سبحان من خلق من النار ثيابا (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۖ سَرَابِلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ (٤) . والقطران : هو النحاس المذاب . وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري عن النبي ﷺ قال : « النائحة إذا لم تتب قبل موتها ، تقام يوم القيامة ، وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » . وخرجه ابن ماجة ولفظه : « النائحة إذا ماتت ولم تتب قطع الله لها ثيابا من قطران ودرعا من جرب » .

(١) سورة البقرة : ١٧٤ .

(٢) سورة الحج : ١٩ .

(٣) التخويف من النار : ص ١٢٦ .

(٤) سورة إبراهيم : ٤٩ .

الفصل التاسع

عذاب أهل النار

التي حث الأولاد

شدة ما يكابده أهل النار من عذاب

النار عذابها شديد ، وفيها من الأهوال والوان العذاب ما يجعل الإنسان يذل في سبيل الخلاص منها نفائس الأموال ، وإن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو أقتلوا به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من نصيرين (١) ، وقال الحق في هذا المعنى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقِيلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢) .

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى

(١) سورة آل عمران : ٩١ .

(٢) سورة المائدة : ٣٦ .

بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة ، فيصبغ في النار صبغة ، ثم يقال : يا ابن آدم ، هل رأيت خيرا قط ؟ هل مرّ بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ^(١) .

إنها لحظات قليلة تنسي أكثر الكفار نعيمها كل أوقات السعادة والهناء . وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة : لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به ؟ فيقول : نعم . فيقول : أردت منك أهون من هذا ، وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئا ، فأبيت إلا أن تشرك بي » ^(٢) .

إن شدة النار وهولها تفقد الإنسان صوابه ، وتجعله يجود بكل أحبابه لينجو من النار ، وأنى له النجاة : ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِهِ بِبَنِيهِ﴾ ^(١) وَصَلْبَتِهِ وَأَخِيهِ ^(٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُقْوِيهِ ^(٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ^(٤) كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْظَرُ ^(٥) نَزَاعًا لِلشَّوَى ^(٦) .

وهذا العذاب الهائل المتواصل يجعل حياة هؤلاء المجرمين في تنغيص دائم ، وألم مستمر .

(١) رواه مسلم ، مشكاة المصابيح : (١٠٢/٣) .

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، فتح الباري : (٤١٦/١١) وانظر مشكاة

المصابيح : (١٠٢/٣) .

(٣) سورة المارج : ١١ .

المبحث الثاني

صور من عذابهم

المطلب الأول

تفاوت عذاب أهل النار

لما كانت النار دركات بعضها أشد عذابا وهولا من بعض كان أهلها متفاوتون في العذاب ، ففي الحديث الذي يرويه مسلم وأحمد عن سمرة ، عن النبي ﷺ ، قال في أهل النار : « إن منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه إلى حجزته ، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته » وفي رواية إلى عنقه ^(١) .

وقد حدثنا الرسول ﷺ عن أخف أهل النار عذابا ، ففي صحيح البخاري عن النعمان بن بشير قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه » . وفي رواية أخرى في صحيح البخاري أيضا عن النعمان بن بشير : « إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل على أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي الرجل في القمقم » ^(٢) .

(١) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب شدة حرّ النار ، (٢١٨٥/٤) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه : كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، فتح الباري : (٤١٧/١١) ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان : (١٩٦/١) ، ورقمه ٣٦٣ ، واللفظ للبخاري .

وفي رواية عن النعمان بن بشير عند مسلم : « إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكتان من نار . يغلي منهما دماغه ، كما يغلي المرجل ، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً ، وإنه لأهونهم عذاباً »^(١) .

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال : « إن أدنى أهل النار عذاباً يتعجل نعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه »^(٢) .

وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ ، وذكر عنده عمه أبو طالب ، فقال : « لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه ، يغلي منه أم دماغه »^(٣) .

وقد جاءت النصوص القرآنية مصدقة لتفاوت أصحاب النار في العذاب كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾^(٤) وقوله : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾^(٥) وقوله : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾^(٦)

يقول القرطبي في هذا الموضوع : « هذا الباب يدل على أن كفر من كفر فقط ، ليس ككفر من طغى وكفر وتمرد وعصى ، ولا شك أن الكفار في عذاب

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان : (١/١٩٦) ، ورقم الحديث : (٣٦٤) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان : (١/١٩٥) ، ورقم الحديث : (٣٦١) .

(٣) رواه البخاري في كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، فتح الباري : (١١/٤١٧) ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ، باب شفاعة النبي ﷺ ، (١/١٩٥) ، حديث رقم (٣٦٠) ،

وساق فيه عدة أحاديث أخرى .

(٤) سورة النساء : ١٤٥ .

(٥) سورة غافر : ٤٦ .

(٦) سورة النحل : ٨٨ .

جهنم متفاوتون ، كما قد علم من الكتاب والسنة ، ولأنا نعلم على القطع والثبات أنه ليس عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين وفتك فيهم وأفسد في الأرض وكفر ، مساويا لعذاب من كفر فقط وأحسن للأنبياء والمسلمين ، ألا ترى أبا طالب كيف أخرجه النبي ﷺ إلى ضحضاح لنصرته إياه ، وذبه عنه وإحسانه إليه ؟ وحديث مسلم عن سمرة يصح أن يكون في الكفار بدليل حديث أبي طالب ، ويصح أن يكون فيمن يعذب من الموحدين» (١) .

وقال ابن رجب : « واعلم أن تفاوت أهل النار في العذاب هو بحسب تفاوت أعمالهم التي أدخلوا بها النار » ثم ساق الأدلة الدالة على ذلك ، وساق قول ابن عباس : « ليس عقاب من تغلظ كفره وأفسد في الأرض ، ودعا إلى الكفر كمن ليس كذلك » ، ثم قال ابن رجب « وكذلك تفاوت عذاب عصاة الموحدين في النار بحسب أعمالهم ، فليس عقوبة أهل الكبائر كعقوبة أصحاب الصغائر ، وقد يخفف عن بعضهم بحسنات أخر له أو بما شاء الله من الأسباب ، ولهذا يموت بعضهم في النار » (٢) .

المطلب الثاني

إنضاج الجلود

إن نار الجبار تحرق جلود أهل النار ، والجلد موضع الإحساس بآلم الاحتراق ، ولذلك فإن الله يبذل لهم جلودا أخرى غير تلك التي احترقت ، لتحترق من جديد ، وهكذا دواليك ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاقِبَتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ

(١) التذكرة للقرطبي : ص ٤٠٩ .

(٢) التخويف من النار : ص ١٤٢ - ١٤٣ .

نَارًا كُلَّمَا نَفِضَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١﴾ .

المطلب الثالث

الصهر

من ألوان العذاب صب الحميم فوق رؤوسهم ، والحميم هو ذلك الماء الذي انتهى حره ، فلشدة حره تذوب أمعاؤهم وما حوته بطونهم ﴿ فَأَلَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ (١) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَأَبْجُلُودُهُمْ ﴿٢﴾ .

أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ ، قال : « إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه ، حتى يمرق من قدميه ، وهو الصهر ، ثم يعود كما كان » ، وقال : حسن غريب صحيح (٣) .

المطلب الرابع

اللفح

أكرم ما في الإنسان وجهه ، ولذلك نهانا الرسول ﷺ عن ضرب الوجه ، ومن إهانة الله لأهل النار أنهم يحشرون في يوم القيامة على وجوههم عميا وصما وبكيا ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا وَصَمًا مَا وَلَّهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا

(١) سورة النساء : ٥٦ .

(٢) سورة الحج : ١٩ .

(٣) التخويف من النار لابن رجب : ١٤٥ ، جامع الأصول : (١٠/٥٤٠)

خَبَتْ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا ﴿١﴾ ، ويلقون في النار على وجوههم : ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢﴾ ، ثم إن النار تلتفح وجوههم وتغشاها أبدا لا يجدون حائلا يحول بينهم وبينها ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ﴿٣﴾ ، ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ ﴿٤﴾ ، ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرٍ وَتَغْشَى وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ ﴿٥﴾ ، ﴿أَقْنِ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ﴿٦﴾ وانظر إلى هذا المنظر الذي تقشعر لهوله الأبدان : ﴿يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ ﴿٧﴾ ، أرأيت كيف يقلب وجوههم في النار ، والسماك في المقل ، كذلك تقلب وجوههم في النار ، نعوذ بالله من عذاب أهل النار .

المطلب الخامس السحب

ومن أنواع العذاب الأليم سحب الكفار في النار على وجوههم ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسَعِيرٍ﴾ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ ﴿٤٨﴾ ، ويزيد من آلامهم حال سحبهم في النار أنهم مقيدون بالقيود والأغلال

-
- (١) سورة الإسراء : ٩٧ .
 - (٢) سورة النمل : ٩٠ .
 - (٣) سورة الأنبياء : ٣٩ .
 - (٤) سورة المؤمنون : ١٠٤ .
 - (٥) سورة إبراهيم : ٥٠ .
 - (٦) سورة الزمر : ٢٤ .
 - (٧) سورة الأحزاب : ٦٦ .
 - (٨) سورة القمر : ٤٧ - ٤٨ .

والسلاسل ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٠) إِذِ الْأَغْلَلُ فِيَ أَعْنَقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ
 ﴿ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ (٧١) ، قال قتادة : يسحبون مرة في النار
 وفي الحميم مرة (٧٢) .

المطلب السادس

تسويد الوجوه

يسود الله في الدار الآخرة وجوه أهل النار ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
 وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
 تَكْفُرُونَ ﴾ (٣) . وهو سواد شديد، كأنما حلت ظلمة الليل في وجوههم ﴿ وَالَّذِينَ
 كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَيَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ غَاصِمٍ كَأَنَّمَا
 أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ ﴾ (٤) .

المطلب السابع

إحاطة النار بالكفار

أهل النار هم الكفار الذين أحاطت بهم ذنوبهم ومعاصيهم ، فلم تبق لهم
 حسنة ، كما قال تعالى في الرد على اليهود الذين قالوا : لن تمسنا النار إلا أياما
 معدودة ، ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ

(١) سورة غافر : ٧٠ - ٧٢ .

(٢) التخييف من النار ، لابن رجب : ص ١٤٧ .

(٣) سورة آل عمران : ١٠٦ .

(٤) سورة يونس : ٢٧ .

فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾ ، ولا يكون المرء كذلك إلا إذا كان كافرا مشركا ، يقول صديق حسن خان : « المراد بالسيئة هنا الجنس ، ولا بد أن يكون سببها محيطا به من جميع جوانبه ، فلا تبقى له حسنة ، وسدت عليها مسالك النجاة ، والخلود في النار هو للكفار والمشركين ، فيتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك ، وبهذا يبطل تشبث المعتزلة والخوارج لما ثبت في السنة متواترا من خروج عصاة الموحدين من النار » (٢)

ولما كانت الخطايا والذنوب تحيط بالكافر إحاطة السوار بالمعصم ، فإنجزاء من جنس العمل ، ولذا فإن النار تحيط بالكفار من كل جهة ، كما قال تعالى : ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ ﴾ (٣). والمهاد ما يكون من تحتهم ، والغواش جمع غاشية ، وهي التي تغشاهم من فوقهم ، والمراد أن النيران تحيط بهم من فوقهم ومن تحتهم ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ (٤) ، وقال في موضع آخر : ﴿ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ (٥) ، وقد صرح بالإحاطة في موضع آخر : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (٦) .

وقد فسر بعض السلف المهاد بالفرش ، والغواش باللحف (٧) .

وتأتي الإحاطة من ناحية أخرى ، ذلك أن للنار سورا يحيط بالكفار ، فلا

(١) سورة البقرة : ٨١ .

(٢) بقظة أولى الاعتبار : ص ٦٧ .

(٣) سورة الأعراف : ٤١ .

(٤) سورة العنكبوت : ٥٥ .

(٥) سورة الزمر : ١٦ .

(٦) سورة التوبة : ٤٩ .

(٧) تفسير ابن كثير : (١٦٨/٣) .

يستطيع الكفار مغادرتها أو الخروج منها ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾^(١)

وسرادق النار سورها وحائطها الذي يحيط بها .

المطلب الثامن اطلاع النار على الأفئدة

ذكرنا أن أهل النار يضخم خلقهم في النار شيئا عظيما ، ومع ذلك فإن النار تدخل في أجسادهم حتى تصل إلى أعماق شيء فيهم ، ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾^(٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾^(٣) لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ^(٤) ، قال بعض السلف في قوله : ﴿لَا تَبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ ، قال : « تأكل العظم واللحم والمخ ولا تذر على ذلك »^(٥) .

وقال الحق تبارك وتعالى : ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾^(٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿نَارُ اللَّهِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفِئَةِ﴾^(٧) ، قال محمد بن كعب القرظي : « تأكله النار إلى فؤاده ، فإذا بلغت فؤاده أنشئ خلقه ، وعن ثابت البناني أنه قرأ هذه الآية ، ثم قال : تحرقهم النار إلى الأفئدة وهم أحياء لقد بلغ منهم العذاب ، ثم يبكي »^(٨) .

(١) سورة الكهف : ٢٩ .

(٢) سورة المدثر : ٢٦ - ٣٠ .

(٣) التخويف من النار ، لابن رجب : ١٤٦ .

(٤) سورة الحمزة : ٤ - ٧ .

(٥) التخويف من النار ، لابن رجب : ١٤٦ .

المطلب التاسع اندلاق الأمعاء في النار

في الصحيحين عن أسامة بن زيد عن النبي ﷺ قال : « يجاء بالرجل يوم القيامة ، فيلقى في النار ، فتندلق أفتابه في النار ، فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه ، فيجتمع أهل النار عليه ، فيقولون : أي فلان ، ما شأنك ، أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتية ، وأناكم عن المنكر وآتية »^(١) . ثم هو يدور ويسعى حولها كما يدور الحمار برحاه .

ومن الذين يجرون أمعاءهم في النار عمرو بن لحي ، وهو أول من غير دين العرب ، وقد رآه الرسول ﷺ يجرُّ قصبه في النار ، ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجرُّ قصبه في النار ، وكان أول من سيب السوائب »^(٢) .

المطلب العاشر قيود أهل النار وأغلاهم وسلاسلهم ومطارقهم

أعدَّ الله لأهل النار في النار سلاسل وأغلالا وقيودا ومطارق ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾^(٣) ، ﴿ إِنَّا لَدَيْنَا أَنْكَالٌ وَجَحِيمٌ ﴾^(٤) وَطَعَامًا ذَا

(١) متفق عليه ، مشكاة المصابيح : (٦٤٢/٢) ، حديث رقم : ٥١٣٩ .

(٢) مشكاة المصابيح : (٦٨٨/٣) ، تسيب السوائب : تشريع سنة عمرو للعرب أحل فيه ما حرم الله تعالى ، فقد حرم أنواعا من الأنعام بأسباب لم ينزل الله بها من سلطان ، كان يمنع ذبح تلك الحيوانات وحلبها والركوب عليها .

(٣) سورة الإنسان : ٤ .

غَصَّةٌ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ ، والأغلال توضع في الأعناق ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢﴾ ، ﴿إِذَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ ﴿٣﴾ ، والأنكال : القيود ، سميت أنكالا لأن الله يعذبهم وينكل بهم بها ، ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا . . .﴾ ﴿٤﴾ ، والسلاسل نوع آخر من ألوان العذاب التي يقيد بها المجرمون كما يقيد المجرمون في الدنيا ، وانظر إلى هذه الصورة التي أخبرنا بها الكتاب الكريم ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ ﴿٥﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٦﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٧﴾ .

وأعد الله لأهل النار مقامع من حديد ، وهي المطارق التي تهوي على المجرمين وهم يحاولون الخروج من النار ، فإذا بها تطوح بهم مرة أخرى إلى سواء الجحيم ، ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ ﴿٨﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ .

(١) سورة المزمل : ١٢ - ١٣ .

(٢) سورة سبأ : ٣٣ .

(٣) سورة غافر : ٧١ .

(٤) سورة المزمل : ١٢ .

(٥) سورة الحاقة : ٣٠ - ٣٢ .

(٦) سورة الحج : ٢١ - ٢٢ .

المطلب الحادي عشر قرن معبوداتهم وشياطينهم بهم في النار

كان الكفار والمشركون يعظمون الآلهة التي يعبدونها من دون الله ، ويدافعون عنها ، ويذبلون في سبيل ذلك النفس والمال ، وفي يوم القيامة يدخل الحق تلك الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله النار إهانة لعابديها وإذلالا لهم ، ليعلموا أنهم كانوا ضالين ، يعبدون مالا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً ﴿ إِنَّا نَكْذِبُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴾ (١) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلَهِ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿ (١) .

يقول ابن رجب : « لما عبد الكفار الآلهة من دون الله ، واعتقدوا أنها تشفع لهم عند الله ، وتقربهم إليه ، عوقبوا بأن جعلت معهم في النار إهانة لهم وإذلالا ، ونكاية لهم وإبلاغا في حسرتهم وندامتهم ، فإن الإنسان إذا قرن في العذاب بمن كان سبب عذابه كان أشدَّ في ألمه وحسرتة » (٢) .

ومن أجل ذلك يقذف في يوم القيامة بالشمس والقمر في النار ، ليكونا مما توقد به النار ، تبكيتهما للظالمين الذين كانوا يعبدونها من دون الله ، ففي الحديث : « الشمس والقمر مكوران في النار » (٣) .

يقول القرطبي : « وإنما يجمعان في جهنم ، لأنها قد عبدا من دون الله ، لا

(١) سورة الأنبياء : ٩٨ - ٩٩ .

(٢) التخويف من النار : ص ١٠٥ .

(٣) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » ، والبخاري والإسماعيلي والخطابي ، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٣٢/١) .

تكون النار عذاباً لهما ، لأنها جمد ، وإنما يفعل ذلك بهما زيادة في تبيكيت الكافرين وحسرتهم ، هكذا قال بعض أهل العلم^(١) .

ولهذا المعنى يقرن الكفار بشياطينهم ليكون أشد لعذابهم : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۖ ﴾^(٢) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهُتَدُونَ ۖ ﴾^(٣) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ۚ ﴾^(٤) وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتَ أَنَّكَ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۖ ﴾^(٥) .

المطلب الثاني عشر

حسرتهم وندمهم ودعاؤهم

عندما يرى الكفار النار يندمون أشد الندم ، ولات ساعة مندم ﴿ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾^(١) ، وعندما يطلع الكافر على صحيفة أعماله ، فيرى كفره وشركه الذي يؤهله للخلود في النار ، فإنه يدعو بالثبور والهلاك ، ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابًا مِّنْ أَوَّلِهِ ظَهَرَتْ لَهُ ﴾^(٢) فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۖ ﴾^(٣) وَيَصَلِّي سَعِيرًا ۖ ﴾^(٤) . ويتكرر دعاؤهم بالويل والهلاك عندما يلقون في النار ، ويصلون حرها ﴿ وَإِذَا الْقَوَا مِّنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُّقْرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ۖ ﴾^(٥) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ۖ ﴾^(٦) . وهناك يعلو صراخهم ويشتد عويلهم ، ويدعون ربهم آمليين أن يخرجهم من النار ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا

(١) التذكرة للقرطبي : ص ٣٩٢ .

(٢) سورة الزخرف : ٣٦ - ٣٩ .

(٣) سورة يونس : ٥٤ .

(٤) سورة الانشقاق : ١٠ - ١٢ .

(٥) سورة الفرقان : ١٣ - ١٤ .

أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴿١﴾ ، وهم يعترفون في ذلك الوقت بضلالهم وكفرهم وقلة عقولهم ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ ﴿٢﴾ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٣﴾ ، ﴿ قَالَُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَفْتِنِْنَا وَأَحْيَيْنَا أَفْتِنِْنَا فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ ﴿٤﴾ .

ولكن طلبهم يرفض بشدة ، ويجابون بما تستحق أن تجاب به الأنعام ﴿ قَالَُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾ ﴿٥﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿٦﴾ قَالَ آخِضُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ ﴿٧﴾ .

لقد حق عليهم القول ، وصاروا إلى المصير الذي لا ينفع معه دعاء ولا يقبل فيه رجاء ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسَ أُرُؤِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ ﴿٨﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿٩﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا . إِنَّا نَسِينَكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٠﴾ .

ويتوجه أهل النار بعد ذلك بالنداء إلى خزنة النار ، يطلبون منهم أن يشفعوا لهم كي يخفف الله عنهم شيئاً مما يعانونه ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْيَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴾ ﴿١١﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ نَائِمًا رَسُولُكُمْ بِالْبَيْتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ ﴿١٢﴾ .

(١) سورة فاطر : ٣٧ .

(٢) سورة الملك : ١٠ .

(٣) سورة غافر : ١٠ .

(٤) سورة المؤمنون : ١٠٦ - ١٠٨ .

(٥) سورة السجدة : ١٢ - ١٤ .

(٦) سورة غافر : ٤٩ - ٥٠ .

وعند ذلك يسألون الشفاعة كي يهلكهم ربهم ﴿ وَنَادَا يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ ﴾ (١) .

إنه الرفض لكل ما يطلبون ، لا خروج من النار ، ولا تخفيف من عذابها ، ولا إهلاك ، بل هو العذاب الأبدي السرمدي الدائم ، ويقال لهم آن ذاك : ﴿ فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

هناك يشتد نحيبهم ، وتفيض دموعهم ، ويطول بكاءهم ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٣) ، إنهم سيكون حتى تنقطع الدموع ، ثم سيكون دما ، وتؤثر دموعهم في وجوههم كما يؤثر السيل في الصخر ، ففي مستدرك الحاكم عن عبدالله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال : « إن أهل النار سيكون ، حتى لو أجريت السفن في دموعهم ، لجرت ، وإنهم ليكون الدم - يعني - مكان الدمع » . وعن أنس بن مالك مرفوعا بلفظ : « يرسل البكاء على أهل النار فيكون حتى تنقطع الدموع ، ثم سيكون الدم حتى تصير في وجوههم كهيئة الأخدود ، لو أرسلت فيه السفن لجرت » (٤) ، لقد خسر هؤلاء الظالمون أنفسهم وأهلهم عندما استحبوا الكفر على الإيمان ، واستمع إلى عويلهم وهم يرددون حال العذاب ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيِّنَنَّا اللَّهُ أَلَعَنَّا اللَّهَ

(١) سورة الزخرف : ٧٧ .

(٢) سورة الطور : ١٦ .

(٣) سورة التوبة : ٨٢ .

(٤) أورد الشيخ ناصر الحديثين في سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٢٤٥/٤) حديث رقم ١٦٧٩ ، وعزا الحديث الأول منها إلى الحاكم في مستدركه ، وقد قال فيه الحاكم : « حديث صحيح الإسناد » . ووافقه الذهبي قال الشيخ ناصر : وحقه أن يزيد : على شرط الشيخين « فإن رجاله كلهم من رجالها ، وذكر أن أحد رجاله وهو أبو النعمان ويلقب (بعمار) كان قد اختلط ، وساق الشيخ ناصر الحديث الثاني شاهدا للأول ، وعزاه إلى ابن ماجة وابن أبي الدنيا ، ويزيد . الرقاس أحد رواة ضعيف ، وباقي رجاله رجال الشيخين .

وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِنَا مِنْهُمُ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿١﴾ .

وتأمل قوله تعالى يصف حالهم ، ونعوذ بالله من حالهم : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ ﴿٦٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَنَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴿٦٧﴾ ، قال الزجاج : الزفير من شدة الأنين وهو المرتفع جداً . وقيل الزفير : ترديد النفس في الصدر من شدة الخوف حتى تنتفخ منه الأضلاع ، والشهيق النفس الطويل الممتد ، أو ردُّ النفس إلى الصدر ، والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه .

وقال الليث : الزفير أن يملاً الرجل صدره حال كونه في الغم الشديد من النفس ويخرجه ، والشهيق أن يخرج ذلك النفس ﴿٣﴾ .

(١) سورة الأحزاب : ٦٦ .

(٢) سورة هود : ١٠٦ .

(٣) يقظة أولى الاعتبار ، لصديق حسن خان ص ٧٢ .

الفصل العاشر

كيفية تقي الإنسان النار

لما كان الكفر هو السبب في الخلود في النار فإن النجاة من النار تكون بالإيمان والعمل الصالح ، ولذا فإن المسلمين يتوسلون إلى ربهم بإيمانهم كي يخلصهم من النار ، ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامِنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١) ، ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢) ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (٣) ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مِنَ الْآبْرَارِ ﴾ (٤) ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴾ (٥) .

وقد فصلت النصوص هذا الموضوع فبينت الأعمال التي تقي النار ، فمن ذلك محبة الله ، ففي مستدرك الحاكم ومسنند أحمد عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « والله لا يلقي الله حبيبه في النار » (٦) ، والصيام جنة من النار ، ففي مسند أحمد ، والبيهقي في شعب الإيمان بإسناد حسن عن جابر بن عبد الله عن

(١) سورة آل عمران : ١٦ .

(٢) سورة آل عمران : ١٩١ - ١٩٤ .

(٣) حديث صحيح ، انظر صحيح الجامع ١٠٤/٦ ، ورقم الحديث : (١٠٤/٦) .

النبي ﷺ قال : « قال الله تعالى : الصيام جنة يستجن بها من النار »^(١) ، وعند البيهقي في الشعب من حديث عثمان بن أبي العاص عن النبي ﷺ : « الصوم جنة من عذاب الله » ورواه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وإسناده صحيح^(٢) ، أما إذا كان الصوم في حال جهاد الأعداء فذاك الفوز العظيم ، فعن أبي سعيد الخدري ، أن رسول الله ﷺ قال : « من صام يوماً في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً » ، رواه أحمد ، والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي^(٣) .

ومما ينجي من النار مخافة الله ، والجهاد في سبيل الله ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾^(٤) ، وروى الترمذي والنسائي في سننها عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ، ولا يجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم »^(٥) ، وفي صحيح البخاري عن أبي عبيس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله ، فتمسه النار »^(٦) ، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبداً »^(٧) .

ومما يقي العبد من النار استجارة العبد بالله من النار ، ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾^(٨) ، وفي مسند أحمد وسنن ابن ماجه وصحيح ابن حبان ومستدرک ومقاماً^(٩) ،

(١) صحيح الجامع : (١١٤/٤) .

(٢) صحيح الجامع : (٢٦٤/٣) .

(٣) صحيح الجامع : (٣١٠/٥) .

(٤) سورة الرحمن : ٤٦ .

(٥) مشكاة المصابيح : (٣٥٦/٢) ، حديث رقم : ٣٨٢٨ ، وقال المحقق : في إسناده : صحيح .

(٦) مشكاة المصابيح : (٣٤٩/٢) ، ورقمه : ٣٧٩٤ .

(٧) مشكاة المصابيح : (٣٤٩/٢) ، ورقمه : ٣٧٩٥ .

(٨) سورة الفرقان : ٦٥ .

الحاكم بإسناد صحيح عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « ما سأل أحد الله الجنة ثلاثا ، إلا قالت الجنة : اللهم أدخله الجنة ، ولا استجار رجل مسلم الله من النار ثلاثا ، إلا قالت النار : اللهم أجره مني »^(١) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في ذكر الملائكة الذين يلمسون مجالس الذكر وفيه : أن الله عز وجل يسألهم وهو أعلم بهم ، فيقول : « فمم يتعوذون ؟ فيقولون : من النار ، فيقول : وهل رأوها ؟ فيقولون : لا والله يا رب ما رأوها ، فيقول كيف لو رأوها ؟ فيقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا ، وأشد مخافة ، فيقول : فأشهدكم أني قد غفرت لهم »^(٢) .

(١) صحيح الجامع : (١٤٥/٥) ، ورقمه : ٥٥٠٦ .

(٢) صحيح الجامع : (٢٣٣/٢) ، ورقمه : ٢١٦٩ ، وعزاه إلى البخاري ومسلم وأحمد .

البَابُ الثَّانِي

الْمَجْنُونَةُ

تمهيد: تعريف وبيان

الجنة هي الجزاء العظيم ، والثواب الجزيل ، الذي أعده الله لأوليائه وأهل طاعته ، وهي نعيم كامل لا يشوبه نقص ، ولا يعكر صفوه كدر ، وما حدثنا الله به عنها ، وما أخبرنا به الرسول ﷺ يحير العقل ويذهله ، لأن تصور عظمة ذلك النعيم يعجز العقل عن إدراكه واستيعابه .

استمع إلى قوله تبارك وتعالى في الحديث القدسي « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » ثم قال الرسول ﷺ : اقروا إن شئتم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (١) (٢) .

وتظهر عظمة النعيم بمقارنته بمتاع الدنيا ، فإن متاع الدنيا بجانب نعيم الآخرة تافه حقير ، لا يساوي شيئاً . ففي صحيح البخاري عن سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول الله ﷺ : « موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها » (٣) .

ولذا كان دخول الجنة والنجاة من النار في حكم الله وتقديره هو الفلاح العظيم ، والفوز الكبير ، والنجاة العظمى قال تعالى : ﴿ قَن زُحْرَحَ عَنِ النَّارِ

(١) سورة السجدة : ١٧ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة في كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة النار . فتح الباري : (٣١٨/٦) . ورقم الحديث : ٣٢٤٤ .

(٣) فتح الباري : (٣١٩/٦) . والنووي على مسلم : (١٦٦/١٧)

وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴿١﴾ وَقَالَ : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢) وَقَالَ أَيْضًا : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٣) .

(١) سورة آل عمران : ١٨٥ .

(٢) سورة التوبة : ٧٢

(٣) سورة النساء : ١٣

الفصل الأول

دخول الجنة

لا شك أن سعادة المؤمنين لا تعادلها سعادة عندما يساقون معززين مكرمين زمرا زمرا إلى جنات النعيم ، حتى إذا ما وصلوا إليها فتحت أبوابها ، واستقبلتهم الملائكة الكرام يهتفونهم بسلامة الوصول ، بعدما عانوه من الكربات ، وشاهدوه من الأهوال ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (١) ، أي طابت أعمالكم وأقوالكم وعقائدكم ، فأصبحت نفوسكم زاكية ، وقلوبكم طاهرة ، فبذلك استحققتهم الجنات .

(١) سورة الزمر : ٧٢

المَبَحْثُ الْأَوَّلُ الشفاعة في دخول الجنة

ثبت في الأحاديث الصحيحة أن المؤمنين عندما يطول عليهم الموقف في يوم الجزاء يطلبون من الأنبياء أن يستفتحوا لهم باب الجنة ، فكلهم يتمنع ويتأبى ، ويقول : لست لها حتى يبلغ الأمر نبينا محمداً ﷺ فَيُشَفِّعُ في ذلك ، فَيُشَفِّعُ ، ففي صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله تبارك وتعالى الناس ، فيقوم المؤمنون ، حتى تزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم ، فيقولون : يا أبانا ، استفتح لنا الجنة ، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم ، لست بصاحب ذلك . . . »^(١) الحديث . وذكر فيه تدافع الأنبياء لها ، حتى يأتون محمداً ﷺ ، فيؤذن لهم .

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة : (٤/١٨٦) ، ورقمه : ١٩٥

المَبَحْثُ الثَّانِي تهذيبُ المؤمنين وتفتيمُهم قبل الدخول

بعد أن يجتاز المؤمنون الصراط يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار ، ثم يهذبون وينقون ، وذلك بأن يقتص لبعضهم من بعض إذا كانت بينهم مظالم في الدنيا ، حتى إذا دخلوا الجنة كانوا أطهارا أبرارا ، ليس لأحد عند الآخر مظلمة ، ولا يطلب بعضهم بعضا بشيء .

روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يخلص المؤمنون من النار ، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هُذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة ، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدي بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا » (١) .

وقد سبق أن ذكرنا في « أحاديث الشفاعة » في « القيامة » أن رسولنا ﷺ هو أول من يستفتح الجنة بعد أن يأبى أبو البشر آدم وأولو العزم من الرسل التعرض لهذه المهمة .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب القصاص يوم القيامة ، فتح الباري : (٣٩٥ / ١١) .

المبحث الثالث الأول في دخول الجنة

أول البشر دخولا الجنة على الإطلاق هو رسولنا محمد ﷺ ، وأول الأمم دخولا الجنة أمته ، وأول من يدخل الجنة من هذه الأمة أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

وقد ساق ابن كثير الأحاديث الواردة في ذلك^(١) فمن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أول من يقرع باب الجنة » .
وروى مسلم عن أنس أيضا ، قال : قال رسول الله ﷺ : « آتي باب الجنة فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك »

وثبت في الصحيحين وسنن النسائي ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، قال : « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، نحن أول الناس دخولا الجنة » .

وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، قال : « أتاني جبريل ، فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي » فقال أبو بكر : يا رسول الله ، وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه ، فقال رسول الله ﷺ : « أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي » .

(١) النهاية لابن كثير : (٢/٢١٣)

المبحث الرابع الذين يدخلون الجنة بغير حساب

أول زمرة تدخل من هذه الأمة الجنة هم القمم الشاخنة في الإيمان والتقوى والعمل الصالح والاستقامة على الدين الحق يدخلون الجنة صفا واحدا ، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، صورهم على صورة القمر ليلة البدر .

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون فيها ، ولا يمتخطون ، ولا يتغوطون ، أنيتهم فيها الذهب ، أمشاطهم من الذهب والفضة ، ومجامرهم الألوة ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب رجل واحد ، يسبحون الله بكرة وعشيا » (١) .

وروى البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ليدخلن الجنة من أمي سبعون ألفا أو سبعمائة ألف - لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر » (٢) .

وقد صح أن الله أعطى رسوله ﷺ مع كل واحد من السبعين هؤلاء سبعين ألفا ، ففي مسند أحمد بإسناد صحيح عن أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة ، فتح الباري : (٣١٨/٦) ، ورواه مسلم والترمذي وغيرهما .

(٢) المصدر السابق ، فتح الباري : (٣١٩/٦) .

ﷺ قال : « أعطيت سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب ، وجوهمهم كالقمر ليلة البدر ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، فاستزدت ربي عز وجل ، فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً »^(١) وفي مسند أحمد وسنن الترمذي وصحيح ابن حبان عن أبي أمامة بإسناد صحيح أن رسول الله ﷺ قال : « وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بلا حساب عليهم ولا عذاب ، مع كل ألف سبعون ، وثلاث حثيات من حثيات ربي »^(٢) . فذكر في هذا الحديث زيادة ثلاث حثيات .

وقد وصف الرسول ﷺ السبعين ألفاً الأوائل وبَيَّنَّ علاماتهم ، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ : « عرضت عليَّ الأمم ، فأخذ النبي يمر معه الأمة ، والنبي يمر معه النفر ، والنبي يمر معه العشرة ، والنبي يمر معه الخمسة ، والنبي يمرُّ وحده ، فنظرت فإذا سواد كثير ، قلت : يا جبريل ، هؤلاء أمتي ؟ قال : لا ، ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سواد كثير . قال : هؤلاء أمتك ، وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب ، قلت : ولم ؟ قال : كانوا لا يكتون ، ولا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون ، فقام إليه عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم . قال : اللهم اجعله منهم . ثم قام إليه رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم . قال : سبقك بها عكاشة »^(٣) .

ولعل هؤلاء هم الذين سماهم الحق بالمقربين ، وهم السابقون ،

(١) صحيح الجامع : (٣٥٠/١) ، ورقمه : ١٠٦٨

(٢) صحيح الجامع : (١٠٨/٦) . ورقمة : ٦٩٨٨

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، فتح الباري : (٤٠٥/١١) .

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾^(١) ،
وهؤلاء ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ
الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾^(٢) .

(١) سورة الواقعة : ١٠ - ١٢

(٢) سورة الواقعة : ١٣ - ١٤

المبحث الخامس الفقراء يسبقون الأغنياء إلى الجنة

روى مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً »^(١) .

وروى الترمذي عن أبي سعيد ، وأحمد والترمذي وابن حبان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام »^(٢) .

وقد بين الرسول ﷺ في موضع آخر أن هؤلاء لم يكن عندهم شيء يحاسبون عليه ، هذا مع جهادهم وفضلهم ، أخرج الحاكم في مستدركه عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أتعلم أول زمرة تدخل الجنة من أمتي ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، فقال : فقراء المهاجرين ، يأتون يوم القيامة إلى باب الجنة ، ويستفتحون ، فيقول لهم الخزنة : أوقد حوسبتم ؟ فيقولون : بأي شيء نحاسب ، وإنما كانت أسيافنا على عواتقنا في سبيل الله حتى متنا على ذلك ؟ قال : فيفتح لهم ، فيقولون فيه أربعين عاماً قبل أن يدخلها الناس »^(٣)

(١) مشكاة المصابيح : (٦٦٣/٢) ، ورقمه : ٥٢٣٥

(٢) صحيح الجامع : (٩٠/٤) ورقمه : ٤١٠٤

(٣) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٥٣٢/٢) ، ورقمه : ٨٥٣ ، وقد قال الشيخ ناصر فيه : أخرجه الحاكم ؛ وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، أقول (الشيخ ناصر) : إنما هو على شرط مسلم فقط .

وفي صحيح البخاري عن أسامة بن زيد عن النبي ﷺ قال : « قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين ، وأصحاب الجُدِّ محبوسون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار »^(١) وأصحاب الجُدِّ هم الأغنياء من المسلمين .

وقد وقع في الأحاديث السابقة أن الفقراء يسبقون الأغنياء بأربعين خريفاً ، وجاء في حديث آخر بخمسائة عام ، ووجه التوفيق بين الحديثين أن الفقراء يختلفو الحال ، وكذلك الأغنياء - كما يقول القرطبي -^(٢) فالفقراء متفاوتون في قوة إيمانهم وتقدمهم ، والأغنياء كذلك ، فإذا كان الحساب باعتبار أول الفقراء دخولا الجنة وآخر الأغنياء دخولا الجنة فتكون المدة خمسمائة عام ، أما إذا نظرت إلى آخر الفقراء دخولا الجنة وأول الأغنياء دخولا الجنة فتكون المدة أربعين خريفاً ، باعتبار أول الفقراء وآخر الأغنياء والله أعلم »^(٣) .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، فتح الباري : (٢/ ٣٤٥) .

(٢) التذكرة ، للقرطبي : ص ٤٧٠

(٣) النهاية لابن كثير : (٢/ ٣٤٥)

المبحث السادس أول ثلاثة يدخلون الجنة

روى الترمذي بإسناد حسن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : عرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة : شهيد ، وعفيف متعفف ، وعبد أحسن عبادة الله ونصح مواليه ^(١) .

(١) جامع الأصول : (٥٣٥/١٠) ، وعزاه محقق الجامع إلى أحمد في مسنده ، والحاكم في مستدركه ، والبيهقي في السنن .

المبحث السابع دخول عيشة المؤمنين الجنة

المطلب الأول إخراجهم من النار وإدخالهم الجنة بالشفاعة

روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أما أهل النار الذين هم أهلها ؛ فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن^(١) ناس أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال : بخطاياهم) فأماتهم إماتة ، حتى إذا كانوا فجها ، أذن بالشفاعة ، فجيء بهم ضباطر ضباطر^(٢) ، فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل^(٣) .

ولمسلم من حديث جابر بن عبد الله يرفعه إلى رسول الله ﷺ : « إن قوما يخرجون من النار يحترقون فيها ، إلا دارات وجوههم ، حتى يدخلون الجنة^(٤) »
وهؤلاء الذين يخرجون من النار ويدخلون الجنة يسميهم أهل الجنة

(١) لكن هنا مخففة مهمة لا تعمل .

(٢) جماعات جماعات .

(٣) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ، (١٧٢/١) .

(٤) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة ، (١٧٨/١) . ودارات وجوههم : ما يحيط بالوجه من جوانبه .

بالجهنمين ، ففي صحيح البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ ، فيدخلون الجنة ، يسمون الجهنمين »^(١) .

وفي الصحيح أيضا عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « يخرج^(٢) من النار بالشفاعة كأنهم الشعارير ، قلت : وما الشعارير ؟ قال : الضغابيس »^(٣) .

وروى البخاري عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : « يخرج قوم من النار بعدما مسهم منها سَفْعٌ ، فيدخلون الجنة ، فيسميهم أهل الجنة : الجهنمين »^(٤) .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة الطويل في وصف الآخرة : « حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد ، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ، ممن أراد الله أن يرجمه ، ممن يقول : لا إله إلا الله ، فيعرفونهم في النار ، يعرفونهم بأثر السجود ، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود ، حَرَّمَ الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار وقد امتحشوا^(٥) ، فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبتون منه ، كما تنبت الحبة في حميل السيل »^(٦) .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، فتح الباري : (٤١٨/١١) ولهم ذكر في حديث جابر عند مسلم : (١٧٩/١) .

(٢) أي قوم .

(٣) رواه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، فتح الباري : (٤١٦/١١) والشعارير : قثاء صغار ، والضغبوس : نبت يخرج قدر شبر في دقة الأصبع لا ورق له ، وفيه حموضة . والمقصود (وصفهم باليباض والدقة) .

(٤) المصدر السابق ، فتح الباري : (٤١٦/١١) .

(٥) احترقوا .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الرؤية : (٢٩٩/١) حديث رقم : (١٨٢)

وقد ورد في أكثر من حديث أن الله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار أو نصف دينار أو مثقال ذرة من إيمان ، بل يخرج أقواما لم يعملوا خيرا قط ، ففي حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « يدخل الله أهل الجنة الجنة ، يدخل من يشاء برحمته ، ويدخل أهل النار النار ، ثم يقول : « انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه . . . » (١) .

وفي حديث جابر بن عبد الله في ورود النار : « ثم تحل الشفاعة ، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير مثقال شعيرة ، فيجعلون بفناء الجنة ، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء ، حتى ينبتوا نبات الشيء في حميل السيل . ويذهب حرقه (٢) ثم يسأل حتى يجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها » (٣) .

وفي حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : « يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه ما يزن بره ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة » (٤) . والأحاديث في هذا كثيرة .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين : (١٧٢/١)

(٢) حرقه : معناه أثر النار ، والضمير في « حرقه » يعود على المخرجين .

(٣) صحيح مسلم ، باب أدنى أهل الجنة منزلة : (١٧٨/١)

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة : (١٨٢/١)

المطلب الثاني

موقف الفرق من الشفاعة

أنكرت الخوارج والمعتزلة^(١) شفاعة الشافعين في أهل الكبائر والذين أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها ، والذين دخلوها أن يخرجوا منها ، قال القرطبي : « وهذه الشفاعة أنكرتها المبتدعة الخوارج والمعتزلة ، فمنعتها على أصولهم الفاسدة وهي الاستحقاق العقلي المبني على التحسين والتقييح »^(٢) .

وهذه المقالة المضادة للأحاديث الصحيحة المتواترة برزت والصحابة أحياء ، روى مسلم في صحيحه عن يزيد الفقير، قال : « كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج ، فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد الحج ، ثم نخرج على الناس ، قال فمررنا على المدينة ، فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم ، جالس إلى سارية ، عن رسول الله ﷺ ، قال : فإذا هو ذكر الجهنميين ، قال : فقلت له : يا صاحب رسول الله ، ما هذا الذي تحدثون به والله يقول : ﴿ إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ ﴾^(٣) ، و ﴿ كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾^(٤) ؟ فما هذا الذي تقولون ؟ قال : فقال : أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم . قال : فهل سمعت بمقام محمد عليه السلام (يعني الذي يبعثه الله فيه) ؟ قلت : نعم ، قال : فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج قال : ثم نعت وضع الصراط ومرر الناس عليه ، قال : وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك ، قال : غير أنه قد زعم أن قوما

(١) الخوارج فرقة خرجت بعد معركة صفين كفرت عليا ومعاوية ، ومن معها ، وزعمت أن أهل المعاصي مخلصون في النار ، والمعتزلة أتباع واصل بن عطاء ذهبوا مذهب المعتزلة ، في القول بتخليد أصحاب الكبائر في النار ، وتوقفوا في أمرهم في الدنيا .

(٢) التذكرة للقرطبي : ص ٢٤٩

(٣) سورة آل عمران : ١٩٢

(٤) سورة السجدة : ٢٠

يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها . قال : يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم ، قال : فيدخلون نهرا من أنهار الجنة فيغتسلون فيه ، فيخرجون كأنهم القراطيس^(١) ، فرجعنا قلنا : ويحكم ، أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ ؟ فرجعنا . فلا والله ، ما خرج منا غير رجل واحد^(٢) .

والخوارج والمعتزلة تطرفوا في هذه المسألة إذ زعموا أن أهل الكبائر لا يخرجون من النار ، ولا تنفعهم شفاعة الشافعين ، كما أن المرجئة تطرفوا في الجانب المقابل حيث لم يقطعوا بدخول أحد من أهل الكبائر النار ، ويزعمون أن أهل الكبائر جميعا في الجنة من غير عذاب ، وكلا الفريقين مخالف للسنّة المتواترة الثابتة عن الرسول ﷺ ، وهم مخالفون لإجماع سلف الأمة وأئمتها ، وقد هدى الله أهل السنّة والجماعة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، حيث ذهبوا إلى أن أهل الكبائر تحت مشيئة الله ، إن شاء غفر لهم برحمته ، وإن شاء عذبهم بذنوبهم ، ثم أدخلهم الجنة برحمته ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾^(٣) وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾^(٤) فالشرك لا يغفره الله ، وما دونه تحت المشيئة ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له . وحجة الخوارج في نفي هذه الشفاعة الآيات الواردة في نفي الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك ، فأهل الشرك يعتقدون أن الشفاعة عند الله كالشفاعة في الدنيا ، يشفع الشافع عند غيره بدون إذن منه ، ويشفع الشافع عند غيره وإن لم يرض عن المشفوع له ، وهذا لا يكون عند الله تبارك وتعالى ، وقد جاءت النصوص بإبطال هذا النوع من الشفاعة ،

(١) القراطيس : الصحف التي يكتب فيها .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة ، (١/١٧٩) ، ورقمه : ١٩١

(٣) سورة النساء : ٤٨

(٤) سورة الزمر : ٥٣

كما قال تعالى : ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ (١) . وقال : ﴿ فَأَتَنفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفِيعِينَ ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (٣) ، وقد جاءت النصوص مبينة أن الشفاعة عند الله لا تكون إلا بإذنه ، ولا تكون إلا بعد أن يرضى عن الشافع والمشفوع له : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى ﴾ (٥) ، وقال : ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ (٦) ، وقال عن الملائكة أيضا : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ (٧) ، وقال : ﴿ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ (٨) .

فهذه النصوص تنفي تلك الشفاعة التي أثبتها المشركون للملائكة والأنبياء والصالحين وتبطلها ، وتثبت الشفاعة التي تكون بإذن الله ورضاه عن الشافع والمشفوع ، والله لا يرضى عن الكفرة المشركين ، أما عصاة أهل التوحيد ، فيشفع فيهم الشافعون ، ولا يشفعون لمشرك . روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قلت يا رسول الله ، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصا من قبل نفسه» (٩) .

(١) سورة البقرة : ٤٨

(٢) سورة المدثر : ٤٨

(٣) سورة غافر : ١٨

(٤) سورة البقرة : ٢٥٥

(٥) سورة الأنبياء : ٢٨

(٦) سورة النجم : ٢٦

(٧) سورة الأنبياء : ٢٨

(٨) سورة سبأ : ٢٣

(٩) رواه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، فتح الباري : (١١/٤١٨)

المبحث الثامن آخر من يدخل الجنة

حدثنا الرسول ﷺ قصة آخر رجل يخرج من النار ويدخل الجنة ، وما جرى من حوار بينه وبين ربه ، وما أعطاه الله من الكرامة العظيمة التي لم يُصدق أن الله أكرمه به لعظمها ، وقد جمع ابن الأثير روايات هذا الحديث في جامع الأصول ، ومنه نقلنا هذه الأحاديث (١) .

١ - عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها ، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة : رجل يخرج من النار حبوا ، فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة ؛ فيأتيها ، فيخيل إليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول : يارب ، وجدت ملأى ، فيقول الله عز وجل : اذهب فادخل الجنة ؛ فإن لك مثل الدنيا ، وعشرة أمثالها ؛ أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا ، فيقول : أتسخر بي - أو أتضحك بي - وأنت الملك ؟ قال : فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ، فكان يقال : ذلك أدنى أهل الجنة منزلة » أخرجه البخاري ومسلم .

ولمسلم قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار : رجل يخرج منها زحفاً ، فيقال له : انطلق فادخل الجنة ، قال : فيذهب فيدخل الجنة ، فيجد الناس قد أخذوا المنازل ، فيقال له :

(١) جامع الأصول : (١٠/٥٥٣) .

أتذكر الزمان الذي كنت فيه ؟ فيقول : نعم ، فيقال له : تمن ، فيتمنى فيقال له : لك الذي تمنيت ، وعشرة أضعاف الدنيا ، فيقول : أتسخر بي وأنت الملك ؟ قال : فلقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه « وفي رواية الترمذي مثل هذه التي لمسلم . (١) »

٢ — عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « آخر من يدخل الجنة رجل ، فهو يمشي مرة ، ويكبو مرة ، وتسفعه النار مرة ، فإذا ما جاوزها التفت إليها ، فقال : تبارك الذي نجاني منك ، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين ، فترفع له شجرة ، فيقول : يارب ، أدنني من هذه الشجرة فلا أستظل بظلها ، وأشرب من مائها ، فيقول الله عز وجل : يا ابن آدم لعلني إن أعطيتكها سألتني غيرها ؟ فيقول : لا ، يارب ، ويعاهده أن لا يسأله غيرها ، قال : وربّه عز وجل يعذره ، لأنه يرى مالا صبر له عليه ، فيدنيه منها ، فيستظل بظلها ، ويشرب من مائها ، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى ، فيقول : أي رب ، أدنني من هذه لأشرب من مائها ، وأستظل بظلها ، لا أسألك غيرها فيقول : يا ابن آدم ، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها ؟ فيقول : لعلني إن أدنيتك منها تسألني غيرها ؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها ، وربّه تعالى يعذره ، لأنه يرى مالا صبر له عليه ، فيدنيه منها ، فيستظل بظلها ، ويشرب من مائها ، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة ، وهي أحسن من الأوليين ، فيقول : أي رب أدنني من هذه لأستظل بظلها ، وأشرب من مائها ، لا أسألك غيرها ، فيقول : يا ابن آدم ، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها ؟ قال : بلى ، يارب لا أسألك غيرها - وربّه عز وجل

(١) رواه البخاري : (٣٨٦/١١) في الرقاق ، باب في صفة الجنة والنار ، وفي التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ، ومسلم رقم : ١٨٦ في الإيمان ، باب آخر أهل النار خروجاً ، والترمذي رقم : ٢٥٩٨ في صفحة جهنم ، باب رقم ١٠ .

يعذره ، لأنه يرى مالا صبر له عليه ، فيدنيه منها ، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة ، فيقول : أي رب أدخلنيها ، فيقول : يا ابن آدم ، ما يصبرني منك ، أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها ؟ قال : يارب ، أتستهزئ مني وأنت رب العالمين ؟ فضحك ابن مسعود ، فقال : ألا تسألوني مم أضحك ؟ فقالوا : مم تضحك ؟ قال : هكذا ضحك رسول الله ﷺ . فقالوا : مم تضحك يا رسول الله ؟ فقال : من ضحك رب العالمين ، حين قال : أتستهزئ مني وأنت رب العالمين ؟ فيقول : إني لا أستهزئ منك ، ولكني على ما أشاء قادر » أخرجه مسلم^(٢) .

وهذا الحديث هكذا أخرجه الحميدي وحده في أفراد مسلم ، والذي قبله في المتفق عليه ، وقال : إنما أفردناه للزيادة التي فيه .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن أدنى أهل الجنة منزلة : رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة ، ومثل له شجرة ذات ظل ، فقال ، أي رب ، قربني من هذه الشجرة لأكون في ظلها . . وساق الحديث بنحو حديث ابن مسعود ، ولم يذكر : فيقول : يا ابن آدم ، ما يصبرني منك ؟ . . إلى آخر الحديث » .

وزاد فيه : « ويذكره الله ، سل كذا وكذا ، فإذا انقطعت به الأمان ، قال الله : هولك وعشرة أمثاله ، قال : ثم يدخل بيته ، فتدخل عليه زوجته من الحور العين ، فيقولان : الحمد لله الذي أحياك لنا ، وأحيانا لك ، قال : « فيقول : ما اعطني أحد مثل ما أعطيت » أخرجه مسلم هكذا عقيب حديث ابن مسعود^(٣) .

(١) (ما يصبرني) أي ما الذي يرضيك ، ويقطع مسألتك ، وأصل التصرية : القطع والجمع ، ومنه

الشاة المصرة ، وهي التي جمع لبنها وقطع حلبه .

(٢) رقم ١٨٧ في الإيمان ، باب آخر أهل النار خروجا .

(٣) رواه مسلم رقم : ١٨٨ في الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

المبحث التاسع الذين دخلوا الجنة قبل يوم القيامة

أول من دخل الجنة من البشر هو أبو البشر آدم ﴿وَقُلْنَا يَتَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾^(١)، وقال: ﴿وَيَتَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢)، ولكن آدم عصى ربه بأكله من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها فأهبطه الله من الجنة إلى دار السقاء: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَلَمْ يُحِذْ لَهُ عَزْمًا﴾^(٣) وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ﴿فَقُلْنَا يَتَادَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾^(٤) إنَّكَ أَلا تَجُوعُ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾^(٥) فوسوس إليه الشيطانُ قَالَ يَتَادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ أَخْلَدُ وَمَلِكٌ لَا يَبُلَى ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لِمَا سَوَّاهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾^(٦) ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾^(٧).

وقد رأى الرسول ﷺ الجنة ففي صحيح البخاري عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: «اطلعت في الجنة فرأيت أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أهلها النساء»^(٨).

(١) سورة البقرة : ٣٥

(٢) سورة الأعراف : ١٩

(٣) سورة طه : ١١٥ - ١٢٣

(٤) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة ، فتح الباري : (٣١٨/٦)

ومن الذين يدخلون الجنة قبل يوم القيامة الشهداء ، ففي صحيح مسلم عن مسروق قال : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ ^(١) الآية ، قال : « إنا قد سألنا عن ذلك فقال : « أرواحهم في أجواف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى إلى تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة ، فقال : هل تشتهون شيئاً ؟ قالوا : أي شيء نشتهي ، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ، ففعل بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا : قالوا : يارب ، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا » ^(٢) .

ومن مات عرض عليه مقعده من الجنة والنار بالغداة والعشي ، ففي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة » ^(٣) .

(١) سورة آل عمران : ١٦٩

(٢) مشكاة المصابيح : (٣٥١/٢) ، ورقمه : ٣٨٠٤

(٣) رواه مسلم في صحيحه ، انظر مسلم بشرح النووي : (٣٠٠/١٧)

الفصل الثاني الجنة خالدة وأهلها خالدون

المبحث الأول النصوص الدالة على ذلك

الجنة خالدة لا تفتى ولا تبعد ، وأهلها فيها خالدون ، لا يرحلون عنها ولا يظعنون ، ولا يبیدون ولا يموتون ، ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ ^(١) ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ ^(٢)

وقد سقنا عند الحديث عن خلود النار - الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله ﷺ عن ذبح الموت بين الجنة والنار ، ثم يقال لأهل الجنة ولأهل النار : « يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت » .

إن مقتضى النصوص أن الجنة تخلق خلقا غير قابل للفناء ، وكذلك أهلها ،

(١) سورة الدخان : ٥٦

(٢) سورة الكهف : ١٠٧

ففي الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « من يدخل الجنة ينعم ، لا
يبأس ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه » (١) .

واستمع إلى النداء العلوي الرباني الذي ينادي به أهل الجنة بعد دخولهم
الجنة ، « إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا ،
وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا ، وإن لكم أن تنعموا ، فلا تبثسوا أبدا ،
فذلك قوله عز وجل (٢) ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة ، باب في دوام نعيم الجنة ، (٢١٨١/٤) ، ورقمه :
٢٨٣٦ .

(٢) سورة الأعراف : ٤٣ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب دوام نعيم الجنة : (٢١٨٢/٤) ، ورقمه : ٢٨٣٧ .

المبحث الثاني القائلون بفناء الجنة

قال بفناء الجنة كما قال بفناء النار الجهم بن صفوان إمام المعطلة ، وليس له سلف قط ، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ، ولا من أئمة المسلمين ، ولا من أهل السنة ، وأنكره عليه عامة أهل السنة . وأبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة قال بفناء حركات أهل الجنة والنار، بحيث يصيرون إلى سكون دائم ، لا يقدر أحد منهم على حركة^(١) ، وكل هذا باطل ، قال شارح الطحاوية : « فأما أبدية الجنة ، وأنها لا تفنى ولا تبعد ، فهذا مما يعلم بالضرورة أن الرسول ﷺ أخبر به ، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَيَا أَبْنَاءَ السَّعَادَةِ لَا تَرْجُوا لِلْأَرْضِ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُورٍ ﴾^(٢) ، أي غير مقطوع ، ولا ينافي ذلك قوله : ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾^(٣) »^(٤) وقد ذكر شارح الطحاوية اختلاف السلف في هذا الاستثناء فقال : « واختلف السلف في هذا الاستثناء : فقليل : معناه إلا مدة مكثهم في النار ، وهذا يكون لمن دخل منهم إلى النار ثم أخرج منها ، لا لكلهم . وقيل : إلا مدة مقامهم في الموقف . وقيل : إلا مدة مقامهم في القبور والموقف . وقيل : هو استثناء الرب ولا يفعله ، كما تقول : والله لأضربنك إلا أن

(١) راجع شرح الطحاوية : ص ٤٨٠ .

(٢) سورة هود : ١٠٨ .

(٣) سورة هود : ١٠٨ .

(٤) شرح الطحاوية : ٤٨١ .

أرى غير ذلك ، وأنت لا تراه ، بل تجزم بضربه . وقيل : « إلا » بمعنى الواو ، وهذا على قول بعض النحاة ، وهو ضعيف . وسيبويه يجعل إلا بمعنى لكن ، فيكون الاستثناء منقطعاً ، ورجحه ابن جرير وقال : إن الله تعالى لا خلف لوعده ، وقد وصل الاستثناء بقوله : ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾^(١) . قالوا : ونظيره أن تقول : أسكنتك داري حولاً إلا ما شئت ، أي سوى ما شئت ، ولكن ما شئت من الزيادة عليه . وقيل : الاستثناء لإعلامهم بأنهم - مع خلودهم - في مشيئة الله ، لأنهم لا يخرجون عن مشيئته ، ولا ينافي ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود ، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عِلْمًا وَقِيلَ﴾^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿فَإِنْ يَسْأَلِ اللَّهُ يَجْعَلْ عَلَى قَلْبِكَ﴾^(٣) ، وقوله : ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبْتُكُمْ بِهِ﴾^(٤) - ونظائره كثيرة ، يخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

وقيل : إن « ما » بمعنى « من » أي : إلا من شاء الله دخوله النار بذنوبه من السعداء . وقيل غير ذلك .

وعلى كل تقدير ، فهذا الاستثناء من التشابه ، وقوله : ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾^(٥) . وكذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾^(٦) . وقوله : ﴿أَكُلْهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾^(٧) . وقد أكد الله خلود أهل الجنة بالتأيد في عدة مواضع

(١) سورة هود : ١٠٨ .

(٢) سورة الإسراء : ٨٦ .

(٣) سورة الشورى : ٢٤ .

(٤) سورة يونس : ١٦ .

(٥) سورة هود : ١٠٨ .

(٦) سورة ص : ٥٤ .

(٧) سورة الرعد : ٣٥ .

من القرآن ، وأخبر أنهم : ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ (١) . وهذا الاستثناء منقطع ، وإذا ضممته إلى الاستثناء في قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ (٢) - تبين أن المراد من الآيتين استثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود ، كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت ، فهذه مودة تقدمت على حياتهم الأبدية ، وذلك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها (٣) .

(١) سورة الدخان : ٥٦ .

(٢) سورة هود : ١٠٨ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية : ٤٨١ .

الفصل الثالث

صفة الجنة

المبحث الأول الجنة لا مثل لها

نعيم الجنة يفوق الوصف ، ويقصر دونه الخيال ، ليس لنعيمها نظير فيما يعلمه أهل الدنيا ، ومهما ترقى الناس في دنياهم ، فسبقى ما يبلغونه أمراً هينا بالنسبة لنعيم الآخرة ، فالجنة كما ورد في بعض الآثار لا مثل لها ، « هي نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وفاكهة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، في مقام أبدا ، في حبرة ونضرة ، في دور عالية سليمة بهية »^(١) .

وقد سأل الصحابة الرسول ﷺ عن بناء الجنة ، فأسمعنا الرسول ﷺ في الإجابة وصفا عجبا ، يقول عليه السلام في صفة بنائها : « لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وملاطها المسك الأذفر »^(٢) ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وتربتها

(١) هذا نص حديث أورده ابن ماجه في سننه ، في كتاب الزهد ، باب صفة الجنة ، (١٤٤٨/٢) ، ورقمه : ٤٣٣٢ ، ولم ننسبه إلى الرسول ﷺ لأن في استاده مقالا ، وإن كان ابن حبان أورده في صحيحه ، ومعناه جميل تشهد له النصوص من الكتاب والسنة .

(٢) الملاط : المادة التي توضع بين اللبتين .

الزعران ، من يدخلها ينعم ولا يبأس ، ويخلد ولا يموت ، ولا يبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم»^(١) ، وصدق الله حيث يقول : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نِعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾^(٢) .

وما أخفاه الله عنا من نعيم الجنة شيء عظيم لا تدركه العقول ، ولا تصل إلى كنهه الأفكار ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣) وقد جاء في الصحيح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فاقروا إن شئتم : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾^(٤)»^(٥) ورواه مسلم من عدة طرق عن أبي هريرة وجاء في بعض طرقه : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا ، بله^(٦) ما أطلعكم الله عليه ، ثم قرأ : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾^(٧)»^(٨) ورواه مسلم عن سهل بن سعد الساعدي قال : شهدت من رسول الله ﷺ مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى ، ثم قال ﷺ في آخر حديثه :

(١) رواه أحمد والترمذي والدارمي ، انظر مشكاة المصابيح : (٨٩/٣) ، وهو صحيح بطرقه كما أشار إلى ذلك محقق المشكاة .

(٢) سورة الانسان : ٢٠ .

(٣) سورة السجدة : ١٧ .

(٤) سورة السجدة : ١٧ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة ، فتح الباري : (٣١٨/٦) .

(٦) بله : بفتح الباء وسكون اللام ، ومعناها : دع ما أطلعكم الله عليه ، فالذي لم يطلعكم عليه أعظم ، وكأنه أضرب عنه استقلالاً له في جنب ما لم يطلع عليه . أفاده النووي في شرحه على مسلم (١٦٦/١٧) .

(٧) سورة السجدة : ١٧ .

(٨) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيم أهلها : (٢١٧٤/٢) ، ورقم الحديث : ٢٨٢٤ .

« فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (١) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ (٢) » .

(١) سورة السجدة : ١٦ - ١٧ .

(٢) رواه مسلم ، حديث رقم : ٢٨٢٤ .

المبحث الثاني أبواب الجنة

للجنة أبواب يدخل منها المؤمنون كما يدخل منها الملائكة ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ مَّفْتَحَةٌ لَّمَّا الْأَبْوَابُ﴾^(١) ، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾^(٢) سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(٣) ، وأخبرنا الحق تبارك وتعالى أن هذه الأبواب تفتح عندما يصل المؤمنون إليها ، وتستقبلهم الملائكة بحية بسلامة الوصول : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لِمُكُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(٤) .

وعدد أبواب الجنة ثمانية ، وأحد هذه الأبواب يسمى الريان وهو خاص بالصائمين ففي الصحيحين عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال : « في الجنة ثمانية أبواب ، باب منها يسمى الريان ، لا يدخله إلا الصائمون ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل غيرهم »^(٥) .

وهناك باب للمكثرين من الصلاة ، وباب للمتصدقين ، وباب للمجاهدين ، بالإضافة إلى باب الصائمين المسمى بالريان ، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من أنفق زوجين في سبيل الله من ماله ، دعى من أبواب الجنة ، وللجنة ثمانية أبواب ، فمن كان من أهل

(١) سورة ص : ٥٠ .

(٢) سورة الرعد : ٢٣ .

(٣) سورة الزمر : ٧٣ .

(٤) النهاية لابن كثير : (٢١٤ / ٢) .

الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام .

فقال أبو بكر : والله ما على أحد من ضرر دعي من أيها دعي ، فهل يدعى منها كلها أحد يارسول الله ؟ قال : « نعم ، وأرجو أن تكون منهم »^(١) .

وسؤال أبي بكر يريد به شخصاً اجتمعت فيه خصال الخير ، من صلاة ، وصيام ، وصدقة ، وجهاد ، ونحو ذلك ، بحيث يدعى من جميع تلك الأبواب ، وقد أخبر الرسول ﷺ أن الذي ينفق زوجين في سبيل الله يدعى من أبواب الجنة الثمانية ، وأخبر الرسول ﷺ أن الذي يتوضأ فيحسن الوضوء ، ثم يرفع بصره إلى السماء ، فيقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله تفتح له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها يشاء .

فقد روى مسلم في صحيحه ، وأحمد في مسنده ، وأهل السنن عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : « من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم رفع بصره إلى السماء ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء »^(٢) .

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أنه خص الذين لا حساب عليهم بباب خاص بهم دون غيرهم وهو باب الجنة الأيمن ، وبقيتهم يشاركون بقية الأمم في الأبواب الأخرى ، ففي الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة في حديث الشفاعة « فيقول الله :

(١) النهاية لابن كثير : (٢١٤ / ٢) .

(٢) النهاية لابن كثير : (٢١٩ / ٢) .

ياحمد : أدخل من لا حساب عليه من أمتك من الباب الأيمن ، وهم شركاء الناس في الأبواب الآخر « ثم بين في هذا الحديث سعة أبواب الجنة ، وأن ما بين جانبي الباب كما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى ، ففي الحديث السابق المتفق عليه يقول الرسول ﷺ : « والذي نفس محمد بيده : إن بين المصراعين من مصاريع الجنة ، أو ما بين عضادتي الباب ، كما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى » (١) .

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أن أبواب الجنة تفتح في رمضان ، ففي الصحيحين ومسنند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء ، وفي رواية : « فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار » (٢) .

وورد في بعض الأحاديث أن ما بين المصراعين مسيرة أربعين سنة ، فقد روى أحمد في « مسنده » وأبو نعيم في « الحلية » عن حكيم بن معاوية عن أبيه معاوية أن رسول الله ﷺ قال : « إن ما بين المصراعين في الجنة مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم ، وإنه لكظيم » وإسناده صحيح .

ورواه مسلم وأحمد عن عتبة بن غزوان قال : « لقد ذكر لنا أن ما بين المصراعين في الجنة مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم ، وإنه لكظيم من الزحام » .

(١) النهاية لابن كثير : (٢٢١/٢) .

(٢) مشكاة المصابيح : (٦١٢/١) .

ورواه الطبراني في معجمه الكبير عن عبد الله بن سلام : « إن ما بين
المصراعين في الجنة مسيرة أربعين سنة ، يزاحم عليه كازدحام الإبل وردت لخمس
ظلمة » (١) .

(١) هذا التحقيق أخذناه بشيء من الاختصار من سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الدين
الالباني : (٢٧٣/٤) ، ورقم الحديث : ١٦٩٨ .

المبحث الثالث

درجات الجنة

المطلب الأول

الأدلة على أن الجنة درجات ، وأهلها فيها متفاوتون في الرفعة

الجنة درجات بعضها فوق بعض ، وأهلها متفاوتون فيها بحسب منازلهم فيها ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْأَعْلَىٰ ﴾ (١) .

ومن الذين وضحو هذه المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية ، قال : « والجنة درجات متفاوتة تفاضلاً عظيماً ، وأولياء الله المؤمنون المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم . قال تبارك وتعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا ۝ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ۝ كَلَّا ثَمُدُ هُنَّ الْأَوَّلُ وَالْأَوَّلُ الْأَخِرُ ۚ وَمَا كَانَتْ عَطَاءَ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ الْكِبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۝ ﴾ (٢) .

فبين الله سبحانه وتعالى أنه يمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه ، وأن عطائه ما كان محظوراً من بر ولا فاجر ، ثم قال تعالى : ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا

(١) سورة طه : ٧٥ .

(٢) سورة الإسراء : ١٨ - ٢١ .

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿١﴾ .
 فبين الله سبحانه أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا وأن درجات الآخرة أكبر من درجات الدنيا ،
 وتتفاضل أنبيائه عليهم السلام كتفاضل سائر عباده المؤمنين . فقال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ (٣) .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال :
 « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » . وفي الصحيحين عن أبي هريرة وعمر بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » . وقد قال الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ (٤)
 وقال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٥)
 دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾ (٥) . وقال

(١) سورة الإسراء : ٢١ .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٣ .

(٣) سورة الإسراء : ٥٥ .

(٤) سورة الحديد : ١٠ .

(٥) سورة النساء : ٩٥ - ٩٦ .

تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿ يَبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴾ (٢) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿ (١) وقال تعالى : ﴿ آمَنَ هُوَ قُنْتُ أَنَا وَاللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٣) ﴿ (٤)

وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال النبي ﷺ :
« من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، جاهد في سبيل الله ، أو جلس في أرضه التي ولد فيها ، فقالوا : يا رسول الله ، أفلا نبشر الناس ؟ قال : إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتهم الله ، فأسأله الفردوس ، فإنه أوسط الجنة ، وأعلى الجنة ، أراه قال : وفوقه عرش الرحمن - ومنه تفجر أنهار الجنة » (٥) وثبت في الصحيح أيضا عن أنس أن أم حارثة أتت رسول الله ﷺ وقد هلك حارثة يوم بدر ، أصابه سهم غرب ، فقالت : يا رسول الله ، قد علمت موقع حارثة من قلبي ، فإن كان في الجنة لم أبك عليه ، وإلا سوف ترى

(١) سورة التوبة : ١٩ .

(٢) سورة الزمر : ٩ .

(٣) سورة المجادلة : ١١ .

(٤) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : (١١ / ١٨٨) .

(٥) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب درجات المجاهدين في سبيل الله : فتح الباري :

(١١ / ٦) .

ما أصنع ، فقال لها : أجنة واحدة هي ؟ إنها جنان كثيرة ، وإنه في الفردوس الأعلى^(١) .

وقد بين الرسول ﷺ أن أهل الجنة متفاضلون في الجنة بحسب منازلهم فيها ، ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر^(٢) في الأفق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم . قالوا : يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : بلى والذي نفسي بيده ، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين^(٣) . وفي مسند أحمد وسنن الترمذي وسنن ابن ماجه وصحيح ابن حبان عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : « إن أهل الدرجات العلى يراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الطالع في أفق السماء ، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعم^(٤) . قال القرطبي : « اعلم أن هذه الغرف مختلفة في العلو والصفة بحسب اختلاف أصحابها في الأعمال ، فبعضها أعلى من بعض وأرفع وقوله : « والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » ولم يذكر عملا ، ولا شيئا سوى الإيمان والتصديق للمرسلين ، ذلك ليعلم أنه عنى الإيمان البالغ وتصديق المرسلين من غير سؤال آية ولا تلجلج ، وإلا فكيف تنال الغرفات بالإيمان والتصديق الذي للعامة ، ولو كان كذلك كان جميع الموحدين في أعالي الغرفات ، وأرفع الدرجات ، وهذا محال ، وقد قال الله تعالى :

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، فتح الباري : (٤١٨ / ١١) .
(٢) الغابر : الذاهب أو الباقي ، فإن غُيِّرَ من الأضداد ، يقال : غُيِّرَ إذا ذهب ، وغُيِّرَ إذا بقي ، ويعني به أن الكوكب حالة طلوعه وغروبه بعيد عن الأبصار فيظهر صغيرا لبعده .
(٣) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة الجنة والنار ، فتح الباري : (٢٢٠ / ٦) وصحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف ، (٢١٧٧ / ٤) ، ورقمه : ٢٨٣١ .
(٤) صحيح الجامع الصغير ، (١٨٧ / ٢) ، ورقمه : ٢٠٢٦ .

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾^(١) ، والصبر بذل النفس والثبات له وقوفاً بين

يديه بالقلوب عبودية وهذه صفة المقرين ، وقال في آية أخرى :

﴿وَلَا أَوْلَدُكُمْ بِأَلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْوَعْدِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ ءَامِنُونَ﴾^(٢) ، فذكر شأن الغرفة ، وأنها لا تنال بالأموال والأولاد ، وإنما تنال بالإيمان والعمل الصالح ، ثم بين أن لهم جزاء الضعف ، وأن محلهم الغرفات ، يعلمك أن هذا إيمان طمأنينة وتعلق قلب به ، مطمئناً به في كل ما نابه ، وبجميع أموره وأحكامه ، فإذا عمل عملاً صالحاً ، فلا يخلطه بضده ، وهو الفاسد ، فلا يكون العمل الصالح الذي لا يشوبه فساد إلا مع إيمان بالغ مطمئن صاحبه بمن آمن وبجميع أموره وأحكامه ، والمخلط ليس بإيمانه وعمله هكذا ، فلهذا كانت منزلته دون غيره^(٣) .

وأهل الدرجات العاليات يكونون في نعيم أرقى من الذين دونهم ، فقد ذكر الله أنه أعد للذين يخافونه جنتين ﴿وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾^(٤) ، ووصفهما ، ثم قال : ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٌ﴾^(٥) ، أي دون تلك الجنتين في المقام والمرتبة ، ومن تأمل صفات الجنتين اللتين ذكرهما الله آخرأ علم أنها دون الأولين في الفضل ، فالأوليان للمقرين ، والآخران لأصحاب اليمين ، كما قال ابن عباس وأبو موسى الأشعري^(٦) ، قال القرطبي : « لما وصف الجنتين أشار إلى الفرق بينهما ، فقال في الأولين : ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾^(٧) ، وقال في الآخرين : ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ

(١) سورة الفرقان : ٧٥ .

(٢) سورة سبأ : ٣٧ .

(٣) التذكرة للقرطبي : ص ٤٦٤ .

(٤) سورة الرحمن : ٤٦ .

(٥) سورة الرحمن : ٦٢ .

(٦) التذكرة للقرطبي : ٤٤٠ .

(٧) سورة الرحمن : ٥٠ .

نَضَاحَتَانِ ﴿١﴾ ، أي فوارتان بالماء ، ولكنها ليستا كالجاريتين ، لأن النضخ دون الجري ، وقال في الأولين : ﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ (٢) ، معروف وغريب ، رطب ويابس ، فعم ولم يخص ، وفي الآخرين : ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ (٣) ، ولم يقل من كل فاكهة زوجان ، وقال في الأولين : ﴿ مُتَكِعِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ (٤) ، وهو الديباج ، وفي الآخرين : ﴿ مُتَكِعِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرِيِّ حِسَانٍ ﴾ (٥) ، والعبقري الوشي ، ولا شك أن الديباج أعلى من الوشي ، والررفرف كسر الحبا ، ولا شك أن الفرش المعدة للاتكاء عليها أفضل من الحبا ، وقال في الأولين في صفة الحور العين : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ (٦) ، وفي الآخرين : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرٌ حِسَانٌ ﴾ (٧) ، وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان ، وقال في الأولين : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ (٨) ، وفي الآخرين : ﴿ مُدْهَامَتَانِ ﴾ (٩) ، أي خضراوان كأنهما من شدة خضرتهما سوداوان ، ووصف الأولين بكثرة الأغصان ، والآخرتين بالخضرة وحدها (١٠) .

وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « جنتان من فضة ، أنيتهما وما فيها ، وجنتان من ذهب أنيتهما

-
- (١) سورة الرحمن : ٦٦ .
 - (٢) سورة الرحمن : ٥٢ .
 - (٣) سورة الرحمن : ٦٨ .
 - (٤) سورة الرحمن : ٥٤ .
 - (٥) سورة الرحمن : ٧٦ .
 - (٦) سورة الرحمن : ٥٨ .
 - (٧) سورة الرحمن : ٧٠ .
 - (٨) سورة الرحمن : ٤٨ .
 - (٩) سورة الرحمن : ٦٤ .
 - (١٠) التذكرة ، للقرطبي : ص ٤٤٠ .

وما فيها ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ^(١) ، وفي رواية الترمذي : « إن في الجنة جنتين من فضة . » وذكر الحديث ^(٢) .

وذكر الحق تبارك وتعالى أن الأبرار يشربون كأساً ممزوجة بالكافور ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ ^(٣) ، وقال في موضع آخر : ﴿ وَيَسْقُونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴾ ^(٤) ، ويبدو أن هذا - والعلم عند الله - لأهل اليمين ، وقال في موضع آخر : ﴿ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴾ ^(٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ^(٥) ، فأهل اليمين يشربون شراباً ممزوجاً من تسنيم وهي عين في الجنة ، والمقربون يشربون من تسنيم صرفاً غير ممزوج .

المطلب الثاني

أعلى أهل الجنة وأدناهم منزلة

روى مسلم في صحيحه عن المغيرة بن شعبة أن الرسول ﷺ قال : « سأل موسى ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة . فيقول : أي رب ؛ وكيف ؟ وقد نزل الناس منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل مُلْك مَلِكٍ من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب ، فيقول : لك ذلك ومثله ، ومثله ،

(١) جامع الأصول : (٤٩٨ / ١٠) ، ورقمه : ٨٠٢٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) سورة الانسان : ٥ .

(٤) سورة الانسان : ١٧ .

(٥) سورة المطففين : ٢٧ .

ومثله ، ومثله . فقال في الخامسة : رضيت ، رب . فيقول : لك هذا وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتئت نفسك ، ولذت عينك . فيقول : رضيت رب .

قال : رب ، فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها ، فلم ترعين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر . قال : ومصادقه في كتاب الله عز وجل : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (١) .

المطلب الثالث المنزلة العليا في الجنة

أعلى منزلة في الجنة ينالها شخص واحد تسمى الوسيلة ، وسينالها - إن شاء الله - النبي المصطفى المختار خيرة الله من خلقه نبينا محمد ﷺ ، قال ابن كثير في النهاية : « ذكر أعلى منزلة في الجنة ، وهي الوسيلة ، فيها مقام رسول الله ﷺ » وساق في ذلك حديث جابر بن عبد الله عند البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ قال : « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته : حلت له الشفاعة يوم القيامة » .

وساق حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند مسلم في صحيحه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا عليّ فإن من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه عشرا ، ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة ، فإن من سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة » (٢)

(١) سورة السجدة : ١٧ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها : (١٧٦ / ١) ، ورقمه : ١٨٩ .

وقد سأل الصحابة الرسول ﷺ قائلين : « وما الوسيلة ؟ قال : أعلى درجة في الجنة ، لا ينالها إلا رجل واحد ، وأرجو أن أكون هو » رواه أحمد عن أبي هريرة ، وفي المسند عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « الوسيلة درجة عند الله ، ليس فوقها درجة ، فسلوا الله أن يوتيئي الوسيلة »^(١) .

المطلب الرابع الذين ينزلون الدرجات العاليات

من الذين يحلون الدرجات العاليات في الجنة الشهداء ، وأفضلهم الذين يقاتلون في الصفوف الأولى لا يلتفتون حتى يقتلوا ، ففي مسند أحمد ومعجم الطبراني عن نعيم بن همار^(٢) بإسناد صحيح عن النبي ﷺ قال : « أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول ، فلا يلتفتون وجوههم حتى يقتلوا ، أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة ، يضحك إليهم ربك ، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه »^(٣) .

والساعي على الأرملة والمسكين له منزلة المجاهد في سبيل الله ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « الساعي على الأرملة والمسكين ، كالمجاهد في سبيل الله - وأحسبه قال : وكالقائم لا يفتر ، وكالصائم لا يفطر »^(٤) .

(١) انظر هذه الأحاديث في « النهاية » لابن كثير : (٢٣٣٢/٢) .

(٢) قال ابن حجر في « تقريب التهذيب » : « نعيم بن همار ، بنشديد الميم ، أو هبار ، أو همار ، بالمعجمة أو المهملة ، الغطفاني ، صحابي ، ورجح الأكثر أن اسم أبيه همار .

(٣) مسند أحمد : (٢٨٧/٥) . صحيح الجامع الصغير : (٣٦٣/١) ، ورقمه : ١١١٨ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الزهد ، باب الاحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم : (٢٢٨٦/٢) ، ورقم الحديث : ٢٩٨٢ .

ومنزلة كافل اليتيم قريبة من منزلة الرسول ﷺ ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : « كافل اليتيم له أو لغيره ، أنا وهو كهاتين في الجنة » وأشار مالك بالسبابة والوسطى (١) .

ويرفع الله درجة الآباء ببركة دعاء الأبناء ، ففي مسند أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة ، فيقول : يارب ، أني لي هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك » . قال ابن كثير : وهذا إسناد صحيح ، ولم يخرجوه أحد من أصحاب الكتب الستة ، ولكن له شاهد في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » (٢) .

(١) المصدر السابق ، وقوله : (له أو لغيره) أي سواء أكفله من ماله ، أو من اليتيم بولاية شرعية .
(٢) النهاية لابن كثير : (٣٤٠ / ٢) .

المبحث الرابع

تربة الجنة

ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك عن أبي ذر في حديث المعراج قال : قال رسول الله ﷺ : « أدخلت الجنة ، فإذا فيها جنادل اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك » .

وفي صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي سعيد أن ابن صياد سأل الرسول ﷺ عن تربة الجنة ، فقال : « هي درمكة^(١) بيضاء مسك خالص » وفي مسند أحمد عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ في اليهود : « إني سائلهم عن تربة الجنة ، وهي درمكة بيضاء ، فسألهم ، فقالوا : هي خبزة يأبأ القاسم ، فقال رسول الله ﷺ : « الخبز من الدر »^(٢) وروى أحمد والترمذي والدارمي عن أبي هريرة ، قال : قلت : يا رسول الله ، مم خلق الخلق ؟ قال : « من ماء » . قلنا : الجنة ما بناؤها ؟ قال : « لبنه من ذهب ، ولبنه من فضة ، وملاطها المسك الأذفر ، وحصباؤها الدر والياقوت ، وتربتها الزعفران ، من يدخلها ينعم ولا يبأس ، ويخلد ولا يموت ، ولا يبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم »^(٣) .

(١) الدرمة : واحدة الدرمة ، وهو الدقيق الحواري الخالص البياض .

(٢) انظر هذه الأحاديث في النهاية لابن كثير : (٢٤٢/٢) .

(٣) مشكاة المصابيح : (٨٩/٣) ، ورقمه : ٥٦٣٠ ، وقال محقق المشكاة : وله طرق وشواهد ، وأورده في سلسلة الأحاديث الصحيحة .

المبحث الخامس

أنهار الجنة

أخبرنا الله تبارك وتعالى بأن الجنة تجري من تحتها الأنهار ، ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (١) ، وأحيانا يقول: تجري من تحتهم الأنهار ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (٢) .

وقد حدثنا الرسول ﷺ عن أنهار الجنة حديثا واضحا بينا ، ففي إسرائه صلوات الله وسلامه عليه : « رأى أربعة أنهار يخرج من أصلها (٣) نهران ظاهران ونهران باطنان ، فقلت : يا جبريل ، ما هذه الأنهار ؟ قال : أما النهران الباطنان فهزان في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات » (٤) .

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « رفعت لي السدرة ، فإذا أربعة أنهار : نهران ظاهران ، ونهران باطنان ، فأما الظاهران فالنيل والفرات ، وأما الباطنان : فهزان في الجنة » (٥) .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة » (٦) .

(١) سورة البقرة : ٢٥ .

(٢) سورة الكهف : ٣١ .

(٣) الضمير عائد إلى سدرة المنتهى ، كما دل على ذلك سياق بعض الأحاديث .

(٤) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الإسرائ ، (١٥٠ / ١) ، ورقم الحديث : ١٦٤ .

(٥) جامع الأصول : (٥٠٧ / ١٠) ، وقال المحقق : رواه البخاري تعليقا في الأشربة ، قال الحافظ في الفتح : وصله أبو عوانة والاسماعيلي والطبراني في « الصغير » من طريقه .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة ، (٢١٨٣ / ٤) ورقم الحديث : =

« ولعل المراد من كون هذه الأنهار من الجنة أن أصلها منها كما أن أصل الإنسان من الجنة ، فلا يتنافى الحديث ما هو معلوم مشاهد من أن هذه الأنهار تنبع من منابعها المعروفة في الأرض ، فإذا لم يكن هذا هو المعنى أو ما يشبهه ، فالحديث من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها ، والتسليم للمخبر عنها » (١) .

وقال القاري : « إنما جعل الأنهار الأربعة من أنهار الجنة ، لما فيها من العذوبة والهضم ، ولتضمنها البركة الإلهية ، وتشرفها بورود الأنبياء إليها وشربهم منها » (٢) .

ومن أنهار الجنة الكوثر الذي أعطاه الله لرسوله ﷺ ﴿إِنَّا أُعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (٣) وقد رآه الرسول ﷺ وحدثنا عنه ، ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : « بينما أنا أسير في الجنة ، إذ أنا بنهر حافته قباب الدر المجوف ، قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، فإذا طيبه - أو طينه - مسك أذفر » شك هُدبة (٤) .

وقد فسر ابن عباس : الكوثر بالخير الكثير الذي أعطاه الله لرسوله ﷺ ، فقال أبو بشر لسعيد بن جبيرة راوي هذا التفسير عن ابن عباس : إن أناسا يزعمون أنه نهر في الجنة ، فقال سعيد : النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه (٥) . وقد جمع الحافظ ابن كثير الأحاديث التي أخبر الرسول ﷺ فيها عن

= ٢٨٣٩ وعزه الشيخ ناصر في سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٦/١) إلى مسلم وأحمد والأجري والخطيب .

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٨/١) .

(٢) نقله عنه الشيخ ناصر في تعليقه على مشكاة المصابيح : (٨٠/٣) .

(٣) سورة الكوثر : ١ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب في الحوض ، فتح الباري : (٤٦٤/١١) ، وهُدبة أحد رواة الحديث .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب في الحوض ، فتح الباري : (٤٦٣/١١) .

الكوثر ، فمن هذه الأحاديث ما رواه مسلم في صحيحه عن أنس ، أن الرسول ﷺ حين أنزلت عليه ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾^(١) قال : « أتدرون ما الكوثر ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هو نهر وعدنيه الله عز وجل ، عليه خير كثير » .

وساق حديث أنس عند أحمد في مسنده عن الرسول ﷺ قال : « أعطيت الكوثر ، فإذا نهر يجري على ظهر الأرض ، حافته قباب اللؤلؤ ، ليس مسقوفا ، فضربت بيدي إلى تربته ، فإذا تربته مسك أذفر ، وحصباؤه اللؤلؤ » .

وفي رواية أخرى في المسند عن أنس يرفعه : « هو نهر أعطانيه الله في الجنة ، تراه مسك ، ماؤه أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ، ترده طيور أعناقها مثل أعناق الجزور » .

وقد ساق الحافظ ابن كثير روايات أخرى كثيرة في الموضوع فارجع إليه إن شئت المزيد^(٢) .

وأناهار الجنة ليست ماء فحسب ، بل منها الماء ، ومنها اللبن ، ومنها الخمر ، ومنها العسل المصفى .

قال تعالى : ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ نَحْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾^(٣) .

(١) سورة الكوثر : ١

(٢) النهاية لابن كثير : (٢ / ٢٤٦) .

(٣) سورة محمد : ١٥ .

وفي سنن الترمذي بإسناد صحيح عن حكيم بن معاوية (وهو جد بهز بن حكيم) أن رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة بحر العسل ، وبحر الخمر ، وبحر اللبن ، وبحر الماء ، ثم تنشق الأنهار بعد » (١) .

فأنهار الجنة تنشق من تلك البحار التي ذكرها الرسول ﷺ وأخبرنا الرسول ﷺ عن نهر يسمى بارق يكون على باب الجنة ، ويكون الشهداء في البرزخ عند هذا النهر ، ففي مسند أحمد ، ومعجم الطبراني ، ومستدرک الحاكم عن ابن عباس بإسناد حسن أن رسول الله ﷺ قال : « الشهداء على بارق نهر يباب الجنة ، في قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا » (٢) .

(١) جامع الأصول : (٥٠٧/١٠) ، وقال المحقق : رواه الترمذي في صفة أنهار الجنة ، ورواه أيضا الدارمي ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .
(٢) صحيح الجامع الصغير : (٢٣٥/٣) ، ورقعه : ٣٦٣٦ .

المبحث السادس

عيون الجنة

في الجنة عيون كثيرة مختلفة الطعوم والمشارب ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (١) ، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّلٍ وَعُيُونٍ﴾ (٢) ، وقال في وصف الجنتين اللتين أعدهما لمن خاف ربه ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ (٣) . وقال في وصف الجنتين اللتين دونهما ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ﴾ (٤) .

وفي الجنة عينان يشرب المقربون ماءهما صرفا غير مخلوط ، ويشرب منهما الأبرار الشراب مخلوطا ممزوجاً بغيره .

العين الأولى : عين الكافور قال تعالى : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ عينا يشرب بها عباد الله يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٥) . فقد أخبر أن الأبرار يشربون - شراهم ممزوجا من عين الكافور ، بينما عباد الله يشربونها خالصا .

العين الثانية : عين التسنيم ، قال تعالى : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَنِي نَعِيمٍ﴾ (٦) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٧) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٨) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ

(١) سورة الحجر : ٤٥ .

(٢) سورة المرسلات : ٤١ .

(٣) سورة الرحمن : ٥٠ .

(٤) سورة الرحمن : ٦٦ .

(٥) سورة الانسان : ٥ - ٦ .

مَحْتَرَمٌ ﴿٢٥﴾ خَتَمَهُ بِمِسْكِ وَفِي ذَلِكَ قَلِيلٌ مِّنَ الْمُتَنَفِّسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِرَاجُهُ مِّن
تَّنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ (١)

ومن عيون الجنة عين تسمى السلسيل ، قال تعالى : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا
كَانَ مِرَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴾ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿٢٨﴾ ولعل هذه هي العين
الأولى نفسها .

(١) سورة المطففين : ٢٢ - ٢٨ .

(٢) سورة الانسان : ١٧ - ١٨ .

المبحث السابع قصور الجنة وخيامها

يبنى الله لأهل الجنة في الجنة مساكن طيبة حسنة كما قال تعالى : ﴿ وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ ^(١) . وقد سمي الله في مواضع من كتابه هذه المساكن بالغرفات ، قال تعالى : ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمُنُونَ ﴾ ^(٢) ، وقال في جزاء عباد الرحمن : ﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا نَجَّةً وَسَلَامًا ﴾ ^(٣) ، وقال تعالى واصفا هذه الغرفات : ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾ ^(٤) ، قال ابن كثير : « أخبر عز وجل عن عباده السعداء أن لهم غرفا في الجنة وهي القصور أي الشاهقة ، ﴿ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾ ^(٥) طباق فوق طباق مبنيات محكمات مزخرفات عاليات . وقد وصف لنا الرسول ﷺ هذه القصور ، ففي الحديث الذي يرويه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه عن أبي مالك الأشعري والترمذي عن علي أن رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام ، وألان الكلام ، وتابع الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام » ^(٦) .

(١) سورة التوبة : ٧٢ .

(٢) سورة سبأ : ٣٧ .

(٣) سورة الفرقان : ٧٥ .

(٤) سورة الزمر : ٢٠ .

(٥) سورة الزمر : ٢٠ .

(٦) صحيح الجامع الصغير : (٢٢٠ / ٢) ، ورقمه : ٢١١٩ .

وقد أخبرنا الحق تبارك وتعالى أن في الجنة خياما ، قال تعالى : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾^(١) .

وهذه الخيام خيام عجيبة ، فهي من لؤلؤ ، بل هي من لؤلؤة واحدة مجوفة ، طولها في السماء ستون ميلا ، وفي بعض الروايات عرضها ستون ميلا ، ففي صحيح البخاري عن عبدالله بن قيس قال : قال رسول الله ﷺ : « الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلا ، في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون » ، قال أبو عبد الصمد والحارث عن أبي عمران : « ستون ميلا »^(٢) .

ورواه مسلم عن عبدالله بن قيس عن النبي ﷺ قال : « إن للمؤمن في الجنة الخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة ، طولها ستون ميلا ، للمؤمن فيها أهلون ، يطوف عليهم المؤمن ، فلا يرى بعضهم بعضا » .

وفي رواية عند مسلم : « في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ، ما يرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمن »^(٣) .

وقد أخبرنا الرسول ﷺ عن صفات قصور بعض أزواجه وبعض أصحابه ، ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، قال : أتى جبريل النبي ﷺ فقال : « يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام وطعام ، فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب »^(٤) .

(١) سورة الرحمن : ٧٢ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة الجنة ، فتح الباري : (٣١٨/٦) .

(٣) رواه مسلم كتاب الجنة ، باب في صفة خيام الجنة : (٢١٨٢/٤) ؛ ورقمه ٢٨٣٨ .

(٤) مشكاة المصابيح : (٢٦٦/٣) .

وفي صحيح البخاري ومسلم عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ :
« دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشقة ، فقلت : من هذا ؟ فقال : هذا بلال ، ورأيت قصرا بفنائها جارية ، فقلت : لمن هذا ؟ فقالوا : لعمر بن الخطاب ، فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك » ، فقال عمر : بأبي أنت وأمي يارسول الله : أعليك أغار ؟ ^(١) .

وقد أخبرنا الرسول بالطريق الذي يحصل به المؤمن على مزيد من البيوت في الجنة ، فالذي يبني لله مسجدا يبني الله له بيتا في الجنة ، ففي مسند أحمد عن ابن عباس بإسناد صحيح أن الرسول ﷺ قال : « من بنى لله مسجدا ، ولو كمفحص قطاة لبيضها بنى الله له بيتا في الجنة » ^(٢) .

وفي مسند أحمد وصحيح البخاري ومسلم وسنن الترمذي وسنن ابن ماجه ، عن عثمان أن رسول الله ﷺ قال : « من بنى مسجدا ، يبتغي به وجه الله ، بنى الله له مثله في الجنة » ^(٣) .

وفي صحيح مسلم ومسند أحمد وسنن أبي داود ، وسنن النسائي وسنن ابن ماجه عن أم حبيبة أن رسول الله ﷺ قال : « من صلى في اليوم والليلة اثنتي عشرة ركعة تطوعا ، بنى الله له بيتا في الجنة » ^(٤) .

(١) مشكاة المصابيح : (٢٢٦/٣) .

(٢) صحيح الجامع الصغير : (٢٦٥/٥) ، ورقم الحديث : ٦٠٠٥ .

(٣) المصدر السابق ، ورقمه : ٦٠٠٧ .

(٤) صحيح الجامع : (٣١٦/٥) ، ورقمه : ٦٢٣٤ .

المبحث الثامن

سورة البقرة

قال القرطبي : « قال العلماء : ليس في الجنة ليل ونهار ، وإنما هم في نور دائم أبدا ، وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب ، ذكره أبو الفرج بن الجوزي »^(١) .

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۚ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۝ ﴾^(٢) : « أي في مثل وقت البكرات ووقت العشيات ، لا أن هناك ليلا ونهارا ، ولكنهم في أوقات تتعاقب يعرفون مضيتها بأضواء وأنوار »^(٣) .

ويقول ابن تيمية في هذا الموضوع : « والجنة ليس فيها شمس ولا قمر ، ولا ليل ولا نهار ، لكن تعرف البكرة والعشية بنور يظهر من قبل العرش »^(٤) .

(١) التذكرة للقرطبي : ص ٥٠٤ .

(٢) سورة مريم : ٦٢ - ٦٣ .

(٣) تفسير ابن كثير : (٤٧١ / ٤) .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : (٣١٢ / ٤) .

المبحث التاسع ريح الجنة

للجنة رائحة عبقة زكية تملأ جنباتها ، وهذه الرائحة يجدها المؤمنون من مسافات شاسعة ، ففي مسند أحمد وسنن النسائي وسنن ابن ماجه ومستدرک الحاكم بإسناد صحيح أن الرسول ﷺ قال : « من قتل رجلا من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاما »^(١) .

وفي صحيح البخاري ومسند أحمد ، وسنن النسائي ، وسنن ابن ماجه عن عبدالله بن عمرو أن الرسول ﷺ قال : « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما »^(٢) .

(١) صحيح الجامع الصغير : (٣٣٥/٥) ، ورقم الحديث : ٦٣٢٤ .

(٢) صحيح الجامع : (٣٣٧/٥) ، ورقم الحديث : ٦٣٢٣ .

المَبَحَث العَاشِرُ أَشْجَارُ الْجَنَّةِ وَثَمَارُهَا

المطلب الأول

أشجارها وثمارها كثيرة متنوعة دائمة

أشجار الجنة كثيرة طيبة متنوعة ، وقد أخبرنا الحق أن في الجنة أشجار العنب والنخل والرمان ، كما فيها أشجار السدر والطلح ، ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۖ حَدَاقًا ۖ وَاعْتَبَاءً ۖ ^(١) ، ﴿ فِيهَا فَلَکُهُةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۖ ^(٢) ، ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۖ ^(٣) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۖ ^(٤) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ۖ ^(٥) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۖ ^(٦) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ۖ ^(٧) وَفَلَکُهُةٌ كَثِيرَةٌ ۖ ^(٨) ، والسدر هو شجر النبق الشائك ، ولكنه في الجنة مخضود شوكة أي منزوع. والطلح : شجر من شجر الحجاز من نوع العضاه فيه شوك ، ولكنه في الجنة منضود معد للتناول بلا كد ولا مشقة .

وهذا الذي ذكره القرآن من أشجار الجنان شيء قليل مما تحويه تلك الجنان ، ولذا قال الحق : ﴿ فِيهَا مِنْ كُلِّ فَلَکُهُةٍ زَوْجَانِ ۖ ^(٩) ، ولكثرتها فإن أهلها يَدْعُونَ منها بما يريدون ، ويتخيرون منها ما يشتهون ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِفَلَکُهُةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَّابٍ ۖ ^(١٠) ، ﴿ وَفَلَکُهُةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّوْنَ ۖ ^(١١) ، ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ

(١) سورة النبا : ٣١ - ٣٢ .

(٢) سورة الرحمن : ٦٩ .

(٣) سورة الواقعة : ٢٧ - ٣٢ .

(٤) سورة الرحمن : ٥٣ .

(٥) سورة ص : ٥ .

(٦) سورة الواقعة : ٢٠ .

وَعُيُونٌ وَقَوْكَهَ مِمَّا يَسْتَهْوُونَ ﴿١﴾ ، وبالجمله فإن في الجنة من أنواع الثمار والنعيم كل ما تشتهي النفوس وتلذه العيون ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا مِثْلُ النَّفْسِ وَالَّذِى أَلْعَنَ ﴿٢﴾﴾ .

وقد قال ابن كثير كلاماً لطيفاً دلل فيه على عظيم ثمار الجنة ، إذ استنتج أن الله نبه بالقليل على الكثير ، والحين على العظيم عندما ذكر السدر والطلح ، قال : « وإذا كان السدر الذي في الدنيا لا يشمر إلا ثمرة ضعيفة وهو النبق ، وشوكه كثير ، والطلح الذي لا يراد منه في الدنيا إلا الظل ، يكونان في الجنة في غاية من كثرة الثمار وحسنها ، حتى أن الثمرة الواحدة منها تتفتق عن سبعين نوعاً من الطعوم ، والألوان ، التي يشبه بعضها بعضاً ، فما ظنك بثمار الأشجار ، التي تكون في الدنيا حسنة الثمار ، كالنخيل ، والعنب ، وغير ذلك ؟ وما ظنك بأنواع الرياحين ، والأزهار ؟ وبالجمله فإن فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، نسأل الله منها من فضله » (٣) .

وأشجار الجنة دائمة العطاء ، فهي ليست كأشجار الدنيا تعطي في وقت دون وقت ، وفصل دون فصل ، بل هي دائمة الإثمار والظلال ﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴿٤﴾﴾ ، ﴿وَفِيهَا كَثِيرٌ لَّا مَقْطُوعٌ وَلَا مَمْنُوعٌ ﴿٥﴾﴾ ، أي دائمة مستمرة ، وهي مع دوامها لا يمنع عنها أهل الجنة . ومن لطائف ما يجده أهل الجنة عندما تأتيهم ثمارها أنهم يجدونها تشابه في

(١) سورة المرسلات : ٤١ - ٤٢ .

(٢) سورة الزخرف : ٧٢ .

(٣) النهاية لابن كثير : (٢٦٢/٢) .

(٤) سورة الرعد : ٣٥ .

(٥) سورة الواقعة : ٣٣ - ٣٤ .

المظهر ، ولكنها تختلف في المخبر ، ﴿ كَلَّمَآ رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ نَمْرَةٍ رَزَقَا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا ﴾ (١) .

وأشجار الجنة ذات فروع وأغصان باسقة نامية ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ فَيَأْتِيْءُهَا رِيحٌ مِّنْ جَنَّةٍ تَكْذِبَانِ ، ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ (٢) ، وهي شديدة الخضرة : ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ فَيَأْتِيْءُهَا رِيحٌ مِّنْ جَنَّةٍ مَّدَامَتَانِ ﴾ (٣) ، ولا توصف الجنة بأنها مدهامة إلا إذا كانت أشجارها مائلة إلى السواد من شدة خضرتها ، واشتباك أشجارها .

أما ثمار تلك الأشجار فإنها قريبة دانية مدللة ينالها أهل الجنة بيسر وسهولة ، ﴿ مُتَكِيْنٍ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ (٤) ، ﴿ وَذَلَّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ (٥) .

أما ظلها فكما قال تعالى : ﴿ وَتَدْخُلُهُمْ ظِلَالٌ ظَلِيلًا ﴾ (٦) ، ﴿ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴾ (٧) ، ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَصِيُون ﴾ (٨) .

(١) سورة البقرة : ٢٥ .

(٢) سورة الرحمن : ٤٧ - ٤٩ .

(٣) سورة الرحمن : ٦٣ - ٦٥ .

(٤) سورة الرحمن : ٥٥ .

(٥) سورة الإنسان : ١٤ .

(٦) سورة النساء : ٥٦ .

(٧) سورة الواقعة : ٣٠ .

(٨) سورة المرسلات : ٤١ .

المطلب الثاني وصف بعض شجر الجنة

حدثنا الرسول ﷺ عن بعض شجر الجنة حديثا عجبا ينبئك عن خلق بديع هائل يسبح الخيال في تقديره والتعرف عليه طويلا ، ونحن نسوق لك بعض ما حدثنا الرسول ﷺ به .

١ - الشجرة التي يسير الراكب في ظلها مائة عام :

هذه شجرة هائلة لا يقدر قدرها إلا الذي خلقها ، وقد بين الرسول ﷺ عظم هذه الشجرة بأن أخبر أن الراكب لفرس من الخيل التي تعد للسباق يحتاج إلى مائة عام حتى يقطعها إذا سار بأقصى ما يمكنه ، ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « إن في الجنة لشجرة^(١) يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام وما يقطعها »^(٢) .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة ، واقرؤوا إن شئتم : ﴿ وَظِلِّ تَمْدُودٍ ﴾^(٣) »^(٤) .

ورواه مسلم عن أبي هريرة وسهل بن سعد عن رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها »^(٥) .

(١) في صحيح مسلم : شجرة .

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة ، فتح الباري : (٤١٦/١١) ورواه مسلم في كتاب الجنة ؛ باب إن في الجنة شجرة : (٢١٧٦/٢) ، ورقم الحديث : ٢٨٢٨ .

(٣) سورة الواقعة : ٣٠ .

(٤) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة ، فتح الباري : (٣١٩/٦) .

(٥) رواه مسلم في كتاب الجنة ، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام (٢١٧٥/٢) ، ورقم الحديث : ٢٨٢٦ ، ٢٨٢٧ .

٢ - سدرۃ المنتهى :

وهذه الشجرة ذكرها الحق في محكم التنزيل ، وأخبر الحق أن رسولنا محمدا ﷺ رأى جبريل على صورته التي خلقه الله عليها عندها ، وأن هذه الشجرة عند جنة المأوى ، كما أعلمنا أنه قد غشيها ما غشيها مما لا يعلمه إلا الله عندما رآها الرسول ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۚ ﴾ (١) . وقد أخبرنا الرسول ﷺ عن هذه الشجرة بشيء مما رآه ، « ثم رفعت لي سدرۃ المنتهى ، فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة . قال : (أي جبريل) هذه سدرۃ المنتهى ، وإذا أربعة أنهار ، نهران باطنان ، ونهران ظاهران ، قلت : ما هذان يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات » . رواه البخاري ومسلم (٢) .

وفي الصحيحين أيضا : « ثم انطلق بي حتى انتهى إلى سدرۃ المنتهى ، ونبقها مثل قلال هجر ، وورقها مثل آذان الفيلة ، تكاد الورقة تغطي هذه الأمة . فغشيها ألوان لا أدري ما هي ، ثم أدخلت الجنة ، فإذا فيها جانبذ اللؤلؤ ، وإذا تراجها المسك » (٣) .

٣ - شجرة طوبى :

وهذه شجرة عظيمة كبيرة تصنع ثياب أهل الجنة ، ففي مسند أحمد ، وتفسير ابن جرير ، وصحيح ابن حبان عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ

(١) سورة النجم : ١٤ - ١٧ .

(٢) صحيح الجامع : (١٨/٣) ، ورقمه : ٢٨٦١ ، وعزاه إلى البخاري ومسلم وأحمد والترمذي .

(٣) صحيح الجامع الصغير : (٨٢/٤) ، وعزاه إلى البخاري ومسلم . ورقمه : ٤٠٧٥ .

قال : « طوى شجرة في الجنة ، مسيرة مائة عام ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها »^(١) .

وقد دل على أن ثياب أهل الجنة تشقق عنها ثمار الجنة - الحديث الذي يرويه أحمد في مسنده عن عبدالله بن عمرو قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال : يارسول الله ، أخبرنا عن ثياب أهل الجنة خلقا تخلق ، أم نسجا تنسج ؟ فضحك بعض القوم ، فقال رسول الله ﷺ : « ومم تضحكون ، من جاهل سأل علما ؟ ثم أكب رسول الله ﷺ ، ثم قال : أين السائل ؟ قال : هوذا أنا يارسول الله ، قال : « لا ، بل تشقق عنها ثمر الجنة ، ثلاث مرات »^(٢) .

المطلب الثالث

سيد ريحان الجنة

أخبرنا الله أن في الجنة ريحانا ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴾^(٣) ، وأخبرنا الرسول ﷺ أن سيد ريحان أهل الجنة الحناء ، ففي معجم الطبراني الكبير بإسناد صحيح على شرط الشيخين عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : « سيد ريحان الجنة الحناء »^(٤) .

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٦٣٩/٤) ، ورقم الحديث : ١٩٨٥ ، والحديث إسناده حسن .

(٢) المصدر السابق : (٦٤٠/٤) .

(٣) الواقعة : ٨٩ .

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٤٠٧/٣) ، ورقمه : ١٤٢٠ .

المطلب الرابع سيقان أشجار الجنة من ذهب

ومن عجيب ما أخبرنا به الرسول ﷺ أن سيقان أشجار الجنة من الذهب ،
ففي سنن الترمذي ، وصحيح ابن حبان ، وسنن البيهقي ، بإسناد صحيح ، عن
أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب » (١) .

المطلب الخامس كيف يكثر المؤمن حظه من أشجار الجنة ؟

طلب خليل الرحمن أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام من نبينا محمد ﷺ في
ليلة الإسراء أن يبلغ أمته السلام وأن يخبرهم بالطريقة التي يستطيعون بها تكثير
حظهم من أشجار الجنة ، فقد روى الترمذي بإسناد حسن عن ابن مسعود قال :
قال رسول الله ﷺ : « لقيت إبراهيم ليلة أسري بي ، فقال : يا محمد ، أقرئ
أمتك أن الجنة أرض طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان
الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » (٢) .

(١) صحيح الجامع الصغير : (١٥٠/٥) ، قال ابن كثير في النهاية : (٢٥٤/٢) ، رواه الترمذي :
وقال : حسن صحيح .

(٢) صحيح الجامع الصغير : (٣٤/٥) . ورقم الحديث : ٥٠٢٨ .

المبحث الحادي عشر دَوَابُّ الْجَنَّةِ وَطُيُورُهَا

في الجنة من الطيور والدواب ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، قال تعالى فيها يناله أهل الجنة من النعيم ﴿ وَلَحِمٌ طَيْرٍ مِّمَّا يَسْتَنُونَ وَحُورٌ عِينٌ ﴾^(١) ، وفي سنن الترمذي عن أنس قال : سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر ؟ قال : « ذاك نهر أعطانيه الله - يعني في الجنة - أشدُّ بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر^(٢) » . قال عمر إن هذه لَنَاعِمَةٌ ، قال رسول الله ﷺ : « أَكَلْتُهَا أَنَعَمَ مِنْهَا »^(٣) .

وأخرج أبو نعيم في الحلية ، والحاكم في مستدركه عن ابن مسعود قال : « جاء رجل بناقة مخطومة ، فقال : يا رسول الله ، هذه الناقة في سبيل الله . فقال : « لك بها سبعمائة ناقة مخطومة^(٤) » في الجنة » . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، ووافقهما الشيخ ناصر الدين الألباني^(٥) . ورواه مسلم في صحيحه عن أبي مسعود الأنصاري ، قال : جاء رجل بناقة مخطومة ، فقال : هذه في سبيل الله ، فقال رسول الله ﷺ : « لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة » رواه مسلم^(٦) .

(١) سورة الواقعة : ٢١ - ٢٢ .

(٢) الجزر : الجمال .

(٣) مشكاة المصابيح : (٩١/٢) ، قال المحقق : رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب ، قلت : (الشيخ ناصر) : سنده حسن .

(٤) مخطومة : فيها خطوم وهو قريب من الزمام .

(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٢٢٨/٢) ، ورقم الحديث : ٦٣٤ .

(٦) مشكاة المصابيح : (٣٥٠/٢) ، ورقمه : ٣٧٩٩ .

الفصل الرابع

أصحاب الجنة

المبحث الأول

الأعمال التي استحقوا بها الجنة

أصحاب الجنة هم المؤمنون الموحدون، فكل من أشرك بالله أو كفر به، أو كذب بأصل من أصول الإيمان فإنه يحرم من الجنان، ويكون في النيران .

والقرآن يذكر كثيراً أن أصحاب الجنة هم المؤمنون الذين يعملون الصالحات ، وفي بعض الأحيان يفصل الأعمال الصالحة التي يستحق بها صاحبها الجنة .

ومن المواضع التي نص القرآن على استحقاق أهل الجنة الجنة بالإيمان والأعمال الصالحة قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ^(١) . وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا

(١) سورة البقرة : ٢٥

أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَتُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿١﴾ . وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿٢﴾ . وقوله : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿٣﴾ . وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِعْتَمَادِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ ﴿٤﴾ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَنَجِّئْتَهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَنحَرْدَعَوْنَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾ .
 وقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسَنَتْ مَرْتَفَعًا ﴾ ﴿٥﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْأَعْلَى ﴾ ﴿٦﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٦﴾ . وفي بعض الأحيان يذكر أنهم استحقوا الجنة لتحقيقهم أمراً من أمور الإيمان أو عملاً صالحاً، وقد يُفصل في الأعمال الصالحة، ويُطيل في ذلك .

ففي بعض الأحيان يذكر أنهم استحقوا الجنة بالإيمان والإسلام ﴿ يَنْعِبَادُوا لَا خَوْفٌ عَلَيْكَ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ ﴿٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٧﴾ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧﴾ .

(١) سورة النساء : ٥٦

(٢) سورة الأعراف : ٤١

(٣) سورة التوبة : ٩

(٤) سورة يونس : ٩ - ١٠

(٥) سورة الكهف : ٣٠ - ٣١

(٦) سورة طه : ٧٥ - ٧٦

(٧) سورة الزخرف : ٦٨ - ٧٠ .

وأحيانا يذكر أنهم استحقوها لأنهم اخلصوا دينهم لله ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (١) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٢﴾ فَوَكِّرْهُمْ مَكْرُومٌ ﴿٣﴾ فِي جَنَّتٍ النَّعِيمِ ﴿٤﴾ (١).

وأحيانا يذكر استحقاقهم لها لقوة ارتباطهم بالله ورغبتهم إليه وعبادتهم له ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٥) تَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ (٢).

ومن الأعمال الصبر والتوكل : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ﴾ (٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩﴾ (٣).

ومنها الاستقامة على الإيمان : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا أَفْلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١٠) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ (٤). ومنها الإخبارات إلى الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١٢) (٥). ومن ذلك الخوف من الله ﴿ وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴾ (٦). ومن ذلك بغض الكفرة المشركين، وعدم موادتهم ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ

(١) سورة الصافات : ٤٠

(٢) سورة السجدة : ١٥ - ١٨

(٣) سورة العنكبوت : ٥٨ - ٥٩

(٤) سورة الأحقاف : ١٣

(٥) سورة هود : ٢٣

(٦) سورة الرحمن : ٤٧

اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴿١﴾ .

وفي بعض الأحيان تفصل الآيات في ذكر الأعمال الصالحة التي يستحق بها أصحابها الجنة تفصيلاً كثيراً، فذكر في سورة الرعد أنهم استحقوها باعتقادهم أن ما أنزل على الرسول ﷺ هو الحق، ويوفائهم بالعهود، وعدم نقضهم الميثاق، ووصلهم ما أمر الله بوصله، وخشيتهم الله، وخوفهم من سوء الحساب، وصبرهم لله، وإقام الصلاة، والانفاق سرّاً وعلانية، ودرتهم بالحسنة السيئة ﴿١﴾ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقَّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَتَّقُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ ﴿٥﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٦﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٧﴾ .

وفي مطلع سورة المؤمنين حكم أن الفلاح إنما هو للمؤمنين، ثم بين الأعمال التي تؤهلهم للفلاح، وأعلمنا أن فلاحهم إنما يكون بإدخالهم الفردوس خالدين فيها أبداً . ﴿١﴾ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٦﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٧﴾ فَمَنْ أَتَّبَعَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَسَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٩﴾

(١) سورة المجادلة : ٢٢

(٢) سورة الرعد : ٢١ - ٢٦

وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٢﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٣﴾ .

وقد حدثنا الرسول ﷺ عن ثلاثة أعمال عظيمة يستحق بها أصحابها الجنة،
فقد روى مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال
ذات يوم في خطبته : « . . . وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق،
ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال » (١) .

(١) سورة المؤمنون : ١ - ١١ .

(٢) رواه مسلم ، انظر شرح النووي على مسلم : (١٧/١٩٨) .

المبحث الثاني طريق الجنة شاق

الجنة درجة عالية، والصعود إلى العلياء يحتاج إلى جهد كبير، وطريق الجنة فيه مخالفة لأهواء النفوس ومحوباتها، وهذا يحتاج إلى عزيمة ماضية، وإرادة قوية، ففي الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره» ولمسلم حفت بدل حجبت^(١) .

وفي سنن النسائي والترمذي وأبي داود عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «لما خلق الله الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فحفها بالمكاره ، فقال : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، ثم جاء فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد»^(٢) .

وقد علق النووي في «شرحه على مسلم» على الحديث الأول قائلاً : «هذا من بديع الكلام وفصيحه وجوامعه التي أوتيها ﷺ من التمثيل الحسن، ومعناه لا يوصل الجنة إلا بارتكاب المكاره، والنار بالشهوات، وكذلك هما محجوبتان بهما ، فمن هتك الحجاب وصل المحجوب، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات، فأما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادة،

(١) جامع الأصول : (٥٢١/١٠) ورقمه : ٨٠٦٩
(٢) جامع الأصول : (٥٢٠/١٠) ورقمه : ٨٠٦٨ ، وقال الترمذي فيه : حديث حسن صحيح غريب .

والمواظبة عليها، والصبر على مشاقها، وكظم الغيظ، والعفو، والحلم، والصدقة،
والإحسان إلى المسيء، والصبر عن الشهوات، ونحو ذلك» (١).

(١) شرح النووي على مسلم : (١٧/١٦٥)

المبحث الثالث

أهل الجنة يرثون نصيب أهل النار في الجنة

جعل الله لكل واحد من بني آدم منزلين : منزلاً في الجنة، ومنزلاً في النار، ثم إن من كتب له الشقاوة من أهل الكفر والشرك يرثون منازل أهل الجنة التي كانت لهم في النار، والذين كتب لهم السعادة من أهل الجنة يرثون منازل أهل النار التي كانت لهم في الجنة، قال تعالى في حق المؤمنين المفلحين بعد أن ذكر أعمالهم التي تدخلهم الجنة : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ (١) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾ .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : « قال ابن أبي حاتم - وساق الإسناد إلى أبي هريرة رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : ما منكم من أحد إلا وله منزلان : منزل في الجنة، ومنزل في النار، فأما المؤمن فينبى بيته الذي في الجنة، ويهدم بيته الذي في النار» وروى عن سعيد بن جبيرة نحو ذلك ، فالمؤمنون يرثون منازل الكفار، لأنهم خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له، فلما قام هؤلاء بما وجب عليهم من العبادة، وترك أولئك ما أمروا به مما خلقوا له ، أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عز وجل ، بل أبلغ من هذا أيضاً، وهو ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : «يجيء ناس يوم القيامة من المسلمين بذنوب أمثال الجبال، فيغفرها الله لهم، ويضعها على اليهود والنصارى» وفي لفظ له : قال رسول الله ﷺ : «إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل

(١) سورة المؤمنون : ١٠ - ١١

مسلم يهودياً أو نصرانياً، فيقال : هذا فكاك من النار . . . وهذا الحديث كقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾^(١). وقوله : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٢). فهم يرثون نصيب الكفار في الجنان^(٣).

(١) سورة مريم : ٦٣

(٢) سورة الزخرف : ٧٢

(٣) تفسير ابن كثير : (١٠/٥)

المبحث الرابع إضعفاء أكثر أهل الجنة

أكثر من يدخل الجنة الضعفاء الذين لا يأبه الناس لهم ، ولكنهم عند الله عظماء ، لاختباتهم لربهم ، وتذللهم له ، وقيامهم بحق العبودية لله ، روى البخاري ومسلم عن حارثة بن وهب قال : قال رسول الله ﷺ : «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ قالوا: بلى، قال: كل ضعيف متضعف ، لو أقسم على الله لأبره»^(١) .

قال النووي في شرحه للحديث : «ومعناه يستضعفه الناس ، ويحتقرونه ، ويتجبرون عليه ، لضعف حاله في الدنيا ، والمراد أن أغلب أهل الجنة هؤلاء . . . وليس المراد الاستيعاب»^(٢) .

وفي الصحيحين ومسنند أحمد عن أسامة بن زيد، قال : قال رسول الله ﷺ : «قمت على باب الجنة، فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجذء محبوسون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء»^(٣) .

وفي الصحيحين عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «اطلعت في الجنة، فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء»^(٤) .

(١) جامع الأصول : (٥٣٥/١٠)

(٢) النووي على مسلم : (١٨٧/١٧)

(٣) مشكاة المصابيح (٦٦٣/٢)، ورقمه : ٥٢٣٣

(٤) مشكاة المصابيح : (٦٦٣/٢)، ورقمه : ٥٢٣٤

المبحث الخامس هل الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟

تخاصم الرجال والنساء في هذا والصحابة أحياء، ففي صحيح مسلم عن ابن سيرين قال: اختصم الرجال والنساء: أيهم أكثر في الجنة؟ وفي رواية: إماما تفاخروا، وإماما تذاكروا: الرجال في الجنة أكثر أم النساء؟ فسألوا أبا هريرة، فاحتج أبوهريرة على أن النساء في الجنة أكثر بقول الرسول ﷺ «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوأ كوكب درى في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب»^(١).

والحديث واضح الدلالة على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال، وقد احتج بعضهم على أن الرجال أكثر بحديث: «رأيتكن أكثر أهل النار». والجواب أنه لا يلزم من كونهن أكثر أهل النار أن يكن أقل ساكني الجنة كما يقول ابن حجر العسقلاني^(٢)، فيكون الجمع بين الحديثين أن النساء أكثر أهل النار وأكثر أهل الجنة، وبذلك يكن أكثر من الرجال وجوداً في الخلق. ويمكن أن يقال: إن حديث أبي هريرة يدل على أن نوع النساء في الجنة أكثر سوءاً كن من نساء الدنيا أو من الحور العين، والسؤال هو: أيهما أكثر في الجنة: رجال أهل الدنيا أم نساؤها؟ وقد وفق القرطبي بين النصين بأن النساء يكن أكثر أهل النار قبل الشفاعة وخروج

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب أول زمرة تدخل الجنة؛ (٤/٢١٧٩)، ورقم الحديث: ٢٨٣٤.

(٢) فتح الباري: (٦/٣٢٥).

عصاة الموحدين من النار، فإذا خرجوا منها بشفاعة الشافعين ورحمة أرحم الراحمين
كن أكثر أهل الجنة^(١) .

ويدل على قلة النساء في الجنة ما رواه أحمد وأبو يعلى عن عمرو بن العاص
قال : «بينما نحن مع رسول الله ﷺ في هذا الشعب إذ قال : انظروا هل ترون
شيئاً ؟ فقلنا : نرى غربانا فيها غراب أعصم ، أحر المنقار والرجلين ، فقال
رسول الله ﷺ : لا يدخل الجنة من النساء إلا من كان منهن مثل هذا الغراب في
الغربان»^(٢) .

(١) راجع التذكرة للقرطبي : ص ٤٧٥

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٤٦٦/٤) ، ورقمه : ١٨٥١ ، وصحح الشيخ اسناده .

المبحث السادس الذين توفوا قبل التكليف

المطلب الأول أطفال المؤمنين

أطفال المؤمنين الذين لم يبلغوا الحلم هم في الجنة إن شاء الله تعالى بفضل الله ورحمته . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۝ ﴾ (١) . واستدل علي بن أبي طالب بقوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ ﴾ (٢) . على أن أطفال المؤمنين في الجنة ، لأنهم لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم (٣) . وقد عقد البخاري في صحيحه باباً عنون له بقوله : «باب فضل من مات له ولد فاحتسب» . وساق فيه حديث أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «ما من الناس مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم» . وحديث أبي سعيد رضي الله عنه أن النساء قلن للنبي ﷺ اجعل لنا يوماً ، فوعظهن ، وقال : أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا لها حجاباً من النار . قالت امرأة : واثنان ؟ قال : واثنان (٤) .

(١) سورة الطور: ٢١

(٢) سورة المدثر: ٣٨

(٣) التذكرة للقرطبي ص: ٥١١ ، وعزاه إلى أبي عمرو في التمهيد والاستذكار وأبي عبد الله الترمذي في نوادر الأصول .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب فضل من مات له ولد فاحتسب ، فتح الباري : (١١٨/٣) .

وعقد باباً آخر عنوانه : باب ما قيل في أولاد المشركين» وساق فيه حديث أنس السابق ، وحديث أبي هريرة عن النبي ﷺ : «من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كان له حجاباً من النار أو دخل الجنة» . وحديث البراء رضي الله عنه قال : «لما توفي إبراهيم عليه السلام قال رسول الله ﷺ : «إن له مرضعاً في الجنة»^(١) .

وجه الدلالة في الأحاديث التي ساقها البخاري على أن أطفال المؤمنين في الجنة - كما يقول - ابن حجر - «أن من يكون سبباً في حجب النار عن أبويه أولى بأن يحجب هو . لأنه أصل الرحمة وسببها»^(٢) .

وقد جاءت نصوص صريحة في إدخال ذرية المؤمنين الجنة ، فمن ذلك حديث علي مرفوعاً عند عبدالله بن أحمد في زيادات المسند «إن المسلمين وأولادهم في الجنة»^(٣) .

وحديث أبي هريرة عند أحمد في مسنده مرفوعاً «ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهما الله وإياهم بفضل رحمته الجنة»^(٤) .

وروى مسلم في صحيحه ، وأحمد في مسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «صغارهم دعاميص»^(٥) الجنة ، يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه ،

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المسلمين ، فتح الباري : (٢٤٤/٣) وحديث أبي هريرة رواه معلقاً .

(٢) فتح الباري : (٢٤٤/٣) .

(٣) فتح الباري : (٢٤٥/٣) .

(٤) فتح الباري : (٢٤٥/٣) .

(٥) يراد بالدعاصيص هنا : الأذن على الملوك المتصرف بين أيديهم .

فياخذ بثوبه ، أو قال بيده ، كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا ، فلا يتناهى ، أو قال : فلا ينتهي حتى يدخله الله وإياه الجنة»^(١).

وروى الإمام أحمد ، وابن حبان ، والحاكم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «ذراري المسلمين في الجنة تكفلهم إبراهيم ﷺ»^(٢).

وروى أبو نعيم في أخبار أصبهان ، والديلمي ، وابن عساكر عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «أطفال المؤمنين في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة ، حتى يدفعوهم إلى آبائهم يوم القيامة»^(٣).

وقد نقل النووي إجماع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين في الجنة ، ونُقِلَ عنه أنه توقف بعضهم في ذلك^(٤).

وحكى القرطبي التوقف عن حماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وإسحاق بن راهوية^(٥).

قال النووي : «توقف فيه بعضهم لحديث عائشة ، يعني الذي أخرجه مسلم بلفظ : «توفى صبي من الأنصار ، فقلت : طوي له لم يعمل سوءاً ولم يدركه ، فقال النبي ﷺ : «أو غير ذلك يا عائشة ، إن الله خلق للجنة أهلاً...»

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة : (١٧٤/١) ، ورقم الحديث : ٤٣٢ .

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٥٦/٢) ، ورقم الحديث : ٦٠٣ ، وذكر المحقق أن الحاكم صحح إسناده ووافقه الذهبي ، إلا أن الشيخ ناصر قال : هو حسن فقط .

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٤٥١/٣) ، ورقمه : ١٤٦٧ .

(٤) فتح الباري : (٢٤٤/٣)

(٥) التذكرة للقرطبي : (ص ٥١١)

قال : والجواب عنه أنه لعله نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير دليل ،
أو قال ذلك قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة»^(١) .

أقول : لعل الصواب أن الحديث يشير إلى أنه لا يجوز أن نجزم لواحد بعينه
أنه من أهل الجنة ، وإن كنا نشهد لهم مطلقاً بالجنة . والأمر الثاني هو عدم
الهجوم على ذلك كي لا يتجرأ الناس على مثل هذا كما هو حاصل في زماننا ، إذ
يزعم نعاة الموت أن ميتهم في الجنة ، وإن كان أفسق الناس .

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : « لا يشهد لكل معين من أطفال المؤمنين
بأنه في الجنة ، وإن شهد لهم مطلقاً »^(٢) .

المطلب الثاني أطفال المشركين

بَوَّب البخاري في صحيحه باباً بعنوان «باب ما قيل في أولاد المشركين»
وأورد فيه حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : «سئل رسول الله ﷺ عن أولاد
المشركين ، فقال : الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين» .

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : «سئل النبي ﷺ عن ذراري
المشركين ، فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين» .

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : كل مولود يولد

(١) فتح الباري : (٣/٢٤٤)

(٢) مجموعة فتاوي شيخ الإسلام : (٤/٢٨١)

على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جدعاء»^(١) .

والبخاري رحمه الله تعالى - كما يقول ابن حجر - أشعر بهذه الترجمة أنه كان متوقفاً في أولاد المشركين ، وقد جزم بعد هذا في تفسير سورة الروم من صحيحه بما يدل على اختيار القول الصائر إلى أنهم في الجنة ، وقد رتب أيضاً أحاديث هذا الباب ترتيباً يشير إلى المذهب المختار ، فإنه صدره بالحديث الدال على التوقف ، ثم ثنى بالحديث المرجح لكونهم في الجنة ، ثم ثلث بالحديث المصرح بذلك في قوله في سياقه «وأما الصبيان حوله فأولاد الناس» قد أخرجه البخاري في التعبير بلفظ: «وأما الولدان الذين حوله فكل مولود يولد على الفطرة ، فقال بعض المسلمين : وأولاد المشركين ؟ فقال : وأولاد المشركين»^(٢).

قال ابن حجر : «ويؤيده ما رواه أبو يعلى من حديث أنس مرفوعاً» سألت ربي اللاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فأعطانيهم «إسناده حسن ، ووَرَدَ تفسير «اللاهين» بأنهم الأطفال من حديث ابن عباس مرفوعاً أخرجه البزار . وأخرج أحمد من طريق خنساء بنت معاوية بن صريم عن عمته قالت : «قلت : يا رسول الله ، مَنْ في الجنة ؟ قال : النبي في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والمولود في الجنة» . وإسناده حسن^(٣) .

واحتجوا أيضاً بقوله ﷺ : « أطفال المشركين خدم أهل الجنة » رواه ابن منده في المعرفة ، وأبو نعيم في الحلية ، وأبو يعلى في مسنده ، وحكم عليه الشيخ ناصر الدين الألباني بالصحة بمجموع طرقه^(٤) .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين ، فتح الباري : (٢٤٦/٣)

(٢) فتح الباري : (٢٤٦/٣)

(٣) فتح الباري : (٢٤٦/٣)

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٤٥٢/٣) ، ورقمه : ١٤٦٨

والقول بأنهم في الجنة هو قول جمع من أهل العلم ، وهو اختيار أبي الفرج بن الجوزي^(١) ، وقال النووي في هذا المذهب : «وهو المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾^(٢) ، واحتج بالأدلة التي ساقها البخاري وغيره^(٣) .

أقول : وهذا القول هو الذي رجحه القرطبي أيضاً ، وقد وفق القرطبي بين النصوص التي يظهر منها التعارض في هذا الموضوع بأن الرسول ﷺ قال في أول الأمر هم مع آبائهم أي في النار ، ثم حصل منه توقف في ذلك ، فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين ، ثم أوحى إليه أنه لا يعذب أحد بذنب غيره ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾^(٤) فحكم بأنهم في الجنة^(٥) ، وذكر في ذلك حديثاً رواه عبدالرزاق ، ولكن الحديث ضعيف كما قال ابن حجر العسقلاني^(٦) .

ويشكل على هذا التوفيق الذي ذكره ابن حجر أن المسألة ليست من مسائل النظر والاجتهاد ، ولكنها مسألة غيبية لا يتكلم فيها إلا بوحى ، والله أعلم .

وقد يشكل على القول بأن أولاد المؤمنين والمشركين في الجنة ما ورد من نصوص دالة على أن الله علم أهل الجنة والنار أزلاً ، وأن الملك عندما يزور الرحم يكتب رزق الجنين وأجله وشقاءه وسعادته ، وقد يقال في الجواب : إن من مات صغيراً قبل الاكتساب فإنه يكون مكتوباً من السعداء وهو في بطن أمه ، والله أعلم بالصواب .

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : (٣٧٢/٢٤) ، (٣٠٣/٤)

(٢) سورة الإسراء : ١٥

(٣) فتح الباري : (٢٤٧/٣)

(٤) سورة الإسراء : ١٥

(٥) التذكرة للقرطبي : ص ٥١٥

(٦) فتح الباري : (٢٤٧/٣)

وقد ذهب جمع من أهل العلم إلى أنهم في مشيئة الله تعالى ، وهذا منقول عن حماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وابن المبارك ، وإسحاق ، ونقله البيهقي في «الاعتقاد» عن الشافعي في حق أولاد الكفار خاصة ، قال ابن عبد البر : وهو مقتضى صنيع مالك ، وليس عنده في هذا شيء منصوص ، إلا أن أصحابه صرحوا بأن أطفال المسلمين في الجنة وأطفال الكفار خاصة في المشيئة ، والحجة فيه حديث : «الله أعلم بما كانوا عاملين» (١) .

وهذا القول حكاه أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة (٢) ، وهو اختيار شيخ الإسلام ، فقد اختار أن أطفال المشركين في مشيئة الله ، وإنهم يمتحنون في يوم القيامة ، وعزا القول بذلك إلى أبي الحسن الأشعري والإمام أحمد ، قال شيخ الإسلام : «والصواب أن يقال فيهم : الله أعلم بما كانوا عاملين ، ولا يحكم لمعين منهم بجنة ولا نار ، وقد جاء في عدة أحاديث أنهم يوم القيامة يمتحنون في عرصات القيامة يؤمرون وينهون ، فمن أطاع دخل الجنة ، ومن عصى دخل النار ، وهذا هو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة» (٣) .

وقال في موضع آخر : «أطفال المشركين الذين لم يكلفوا في الدنيا يكلفون في الآخرة ، كما وردت بذلك أحاديث متعددة ، وهو القول الذي حكاه أبو الحسن الأشعري في أطفال المشركين ، كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه سئل عنهم فقال : «الله أعلم بما كانوا عاملين»» (٤) .

(١) فتح الباري : (٢٤٦/٣)

(٢) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : (٢٨١/٤ - ٤٠٤) ، (٣٧٢/٢٤)

(٣) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : (٣٧٢/٢٤) ، (٣٠٣/٤)

(٤) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : (٢٨١/٤)

وقد ذكر ابن حجر أنهم يمتحنون في الآخرة بأن ترفع لهم نار، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ، ومن أبى عذب ، أخرجه البزار من حديث أنس وأبي سعيد ، وأخرجه الطبراني من حديث معاذ بن جبل ، وقد صحت مسألة الامتحان في حق المجنون ، ومن في الفترة من طرق صحيحة ، وحكى البيهقي في «كتاب الاعتقاد» أنه المذهب الصحيح^(١) .

ويدل لصحة هذا القول ما ورد في محكم القرآن في قصة العبد الصالح الذي رَحَلَ نبيُّ الله موسى إلى لقائه في مجمع البحرين ، فإنه قال مبيناً السر في قتله الغلام : ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾^(٢) ، وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ في الغلام الذي قتله الخضر « طبع يوم طبع كافراً ، ولو ترك لأرهق أبويه طغياناً وكفراً » قال ابن تيمية معقّباً على الحديث : «يعني طبعه الله في أم الكتاب ، أي أثبتّه وكتبه كافراً ، أي انه إن عاش كفر بالفعل» .

وقد ضعف القرطبي هذا المذهب محتجاً بأن الآخرة دار جزاء لا ابتلاء ، ففي « التذكرة » قال المؤلف (يعني نفسه) : « ويضعفه (القول بامتحانهم في عرصات القيامة) من جهة المعنى أن الآخرة ليست بدار تكليف ، وإنما هي دار جزاء : ثواب وعقاب ، وقال الحلبي : وهذا الحديث ليس بثابت ، وهو يخالف لأصول المسلمين ، لأن الآخرة ليست بدار امتحان ، فإن المعرفة بالله تعالى فيها تكون ضرورة ، ولا محنة مع الضرورة »^(٣) .

وهذا الذي اعترض به من أن التكليف ينقطع بالموت غير صحيح ، وقد رد

(١) فتح الباري : (٢٤٦/٣)

(٢) سورة الكهف : ٨٠

(٣) التذكرة : ص ٥١٤

على هذا شيخ الإسلام ابن تيمية ، قال : «التكليف إنما ينقطع بدخول دار الجزاء وهي الجنة والنار ، وأما عرصات القيامة فيمتحنون فيها كما يمتحنون في البرزخ ، فيقال لأحدهم : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ وقال تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾^(١) ، وقد ثبت في الصحيح من غير وجه عن النبي ﷺ أنه قال : «يتجلى الله لعباده في الموقف ، إذا قيل ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون ، فيتبع المشركون آلهتهم ، ويبقى المؤمنون ، فيتجلى لهم الرب الحق في غير الصورة التي كانوا يعرفون ، فينكرونه ، ثم يتجلى لهم في الصورة التي يعرفون ، فيسجد له المؤمنون ، وتبقى ظهور المنافقين كقرون البقر ، فيريدون أن يسجدوا فلا يستطيعون ، وذلك قوله : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾^(٢)»^(٣).

فالمحنة لا تتوقف إلا بدخول الجنة والنار ، وما ذكره القرطبي من أن المعرفة بالله في ذلك اليوم ضرورية صحيح ، إلا أن المحنة تكون بالأمر والنهي كما ورد في بعض النصوص أن الله يكلفهم في ذلك اليوم بالدخول في النار ، فالذي يطيع يكون من أهل السعادة ، والذي يعصي يكون من أهل الشقاء .

(١) سورة القلم : ٤٢

(٢) سورة القلم : ٤٢

(٣) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : (٣٧٢/٢٤) ، وانظر : (٣٠٩/١٧)

المبحث السابع مقدار ما يدخل الجنة من هذه الأمة

يدخل من هذه الأمة الجنة جموع كثيرة الله أعلم بعددهم ، ففي صحيح البخاري عن سعيد بن جبير قال : حدثني ابن عباس ، قال : قال النبي ﷺ : « عرضت علي الأمم ، فأخذ النبي يمرُّ معه الأمة ، والنبي يمرُّ معه النفر ، والنبي يمرُّ معه العشرة ، والنبي يمرُّ معه الخمسة ، والنبي يمرُّ وحده ، فنظرت فإذا سواد كثير ، قلت : يا جبريل هؤلاء أمي ؟ قال : لا ، ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سواد كثير ، قال : هؤلاء أمتك ، وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب» (١) .

والسواد الأول الذي ظنه الرسول ﷺ أمته هم بنو إسرائيل ، كما في بعض الروايات في الصحيح « فرجوت أن تكون أمي فقيل هذا موسى وقومه» (٢) .

ولا شك أن أمة محمد ﷺ أكثر من بني إسرائيل ، ففي الحديث «إذا سواد كثير» قال ابن حجر «في رواية سعيد بن منصور «عظيم» وزاد «فقيل لي : انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سواد عظيم ، فقيل لي أنظر إلى الأفق الآخر مثله» ، وفي رواية ابن فضيل : «إذا سواد قد ملأ الأفق ، فقيل لي : انظرها هنا ، وها هنا في آفاق السماء» وفي حديث ابن مسعود : «إذا الأفق قد سدَّ بوجوه الرجال» ،

(١) رواه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً ، فتح الباري : (٤٠٦/١١)

(٢) فتح الباري : (٤٠٧/١١)

وفي لفظ لأحمد : « فرأيت أمتي قد ملؤوا السهل والجبل ، فأعجبني كثرتهم وهياتهم » ، فقيل : أرضيت يا محمد ؟ قلت : نعم يا رب » (١) .

وقد ورد في بعض الأحاديث أن مع كل ألف من السبعين ألفاً سبعين ألفاً ، وثلاث حثيات من حثيات الله ، ففي مسند أحمد ، وسنن الترمذي وابن ماجه عن أبي أمامة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ، ولا عذاب ، مع كل ألف سبعون ألفاً ، وثلاث حثيات من حثيات ربي » (٢) ، ولا شك أن الثلاث حثيات تدخل الجنة خلقاً كثيراً .

وقد كان رسولنا ﷺ يرجو أن تكون هذه الأمة نصف أهل الجنة ، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي سعيد الخدري عن الرسول ﷺ في ذكر بعث النار ، قال صلوات الله وسلامه عليه في آخره : « والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة » فكبرنا . فقال : « أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة » ، فكبرنا . فقال : « أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » فكبرنا . قال : « ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض ، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود » (٣) .

بل ورد في بعض الأحاديث أن هذه الأمة تبلغ ثلثي أهل الجنة ، ففي سنن الترمذي بإسناد حسن ، وسنن الدارمي ، و«البعث والنشور» للبيهقي عن بريدة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أهل الجنة عشرون ومائة صف ، ثمانون منها من هذه الأمة ، وأربعون من سائر الأمم » (٤) .

(١) فتح الباري : (٤٠٨/١١)

(٢) مشكاة المصابيح : (٦٤/٣) ، ورقمه : ٥٥٥٦ ، وقد حسنه الترمذي وصححه الشيخ ناصر إسناده .

(٣) مشكاة المصابيح : (٥٨/٣) ، ورقم الحديث : ٥٥٤١

(٤) مشكاة المصابيح : (٩٢/٣) ، ورقم الحديث : ٥٦٤٤

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أول شفيع في الجنة لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت ، وإن من الأنبياء نبياً ما صدقه من أمته إلا رجل واحد »^(١) .

والسر في كثرة من آمن من هذه الأمة أن معجزة الرسول ﷺ الكبرى كانت وحياً متلوّاً يخاطب العقول والقلوب ، وهي معجزة باقية محفوظة إلى قيام الساعة ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إليّ ، وأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة »^(٢) .

(١) مشكاة المصابيح : (١٢٤/٣) ، ورقم الحديث : ٥٧٤٤
(٢) مشكاة المصابيح : (١٢٤/٣) ، ورقم الحديث : ٥٧٤٦ .

المبحث الثامن سادة أهل الجنة

المطلب الأول سيدا كهول أهل الجنة

روى جمع من الصحابة منهم علي بن أبي طالب ، وأنس بن مالك ، وأبو جحيفة ، وجابر بن عبدالله ، وأبو سعيد الخدري أن الرسول ﷺ قال : « أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين » .

وقد ذكر الشيخ ناصر الدين الألباني طرقه في كتب السنة ، وقال في خاتمة تحريجه للحديث : « وجملته القول أن الحديث بمجموع طرقه صحيح بلا ريب ، لأن بعض طرقه حسن لذاته ، وبعضه يستشهد به .. »^(١) .

المطلب الثاني سيدا شباب أهل الجنة

أخبرنا الرسول ﷺ أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، ثبت ذلك من طرق كثيرة تبلغ درجة التواتر ، وقد جمع الشيخ ناصر الدين الألباني طرق الحديث في كتابه القيم « سلسلة الأحاديث الصحيحة » .

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٤٨٧/١٢) ، ورقمه : ٨٢٤ .

فقد رواه الترمذي والحاكم والطبراني وأحمد وغيرهم عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » .

ورواه الترمذي وابن حبان وأحمد والطبراني وغيرهم عن حذيفة رضي الله عنه قال أتيت النبي ﷺ ، فصليت معه المغرب ، ثم قام يصلي حتى العشاء ، ثم خرج ، فأتبعته ، فقال : « عرض لي ملك استأذن ربه أن يسلم عليّ ويبشرني في أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » .

وأخرجه الحاكم وابن عساكر عن عبدالله بن عمر أن الرسول ﷺ قال : « ابناي هذان سيدا شباب أهل الجنة »^(١) .

المطلب الثالث

سيدات نساء أهل الجنة

السيد الحق هو الذي يثني عليه ربه ويشهد له ، والسيدة الفاضلة هي التي يرضى عنها ربها ، ويتقبلها بقبول حسن ، وأفضل النساء هن اللواتي يُحْزَنُ جنات النعيم ، ونساء أهل الجنة يتفاضلن ، وسيدات نساء أهل الجنة : خديجة ، وفاطمة ، ومريم ، وآسية ، ففي مسند أحمد ، ومشكل الآثار للطحاوي ، ومستدرک الحاكم ، بإسناد صحيح عن ابن عباس قال : خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة أخطط ، ثم قال : « تدرون ما هذا ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم ابنة عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون »^(٢) .

(١) وإن أحببت أن تقف على روايته ، ومخرجه من كتب السنة ، فارجع إلى سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٤٣٨/٢) ، ورقم الحديث : ٧٩٧ .

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة : (١٣/٤) ، ورقم الحديث : ١٥٠٨ .

ومريم وخديجة أفضل الأربع ، ففي صحيح البخاري عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ قال : « خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة » (١) .

ومريم هي سيدة النساء الأولى وأفضل النساء على الإطلاق ، فقد روى الطبراني بإسناد صحيح على شرط مسلم عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « سيدات نساء أهل الجنة بعد مريم ابنة عمران : فاطمة ، وخديجة ، وآسية امرأة فرعون » (٢) . وكونها أفضل النساء على الإطلاق صرح به القرآن : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ ﴾ (٣) ، وكيف لا تكون كذلك وقد صرح الحق بأنه تقبلها ﴿ يَقْبُولُ حَسَنًا وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ (٤) .

وهؤلاء الأربع نماذج رائعة للنساء الكاملات الصالحات ، فمريم ابنة عمران أثنى عليها ربها في قوله ﴿ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ (٥) .

وخديجة الصديقة التي آمنت بالرسول ﷺ من غير تردد ، وثبتته ، وآسته بنفسها ومالها ، وقد بشرها ربها في حياتها بقصر في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب ، فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « أتى جبريل النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار ، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها ، فتح الباري : (١٣٣/٧) .

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٤١٠/٣) ، ورقم الحديث : ١٤٢٤ .

(٣) سورة آل عمران : ٤٢ .

(٤) سورة آل عمران : ٣٧ .

(٥) سورة التحريم : ١٢ .

طعام أو شراب ، فإذا هي أتنك فاقراً عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب » (١).

وآسية امرأة فرعون هان عليها ملك الدنيا ونعيمها ، فكفرت بفرعون وألوهيته ، فعذبها زوجها فصبرت حتى خرجت روحها إلى بارئها ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) .

وفاطمة الزهراء ابنة الرسول ﷺ الصابرة المحتسبة التقية الورعة فرع الشجرة الطاهرة ، وتربية معلم البشرية .

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب ، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها، فتح الباري : ١٣٣/٧ والحديث مروي في هذا الباب من طرق أخرى عن عائشة وعبدالله بن أبي أوفى .

(٢) سورة التحريم : ١١ .

المبحث التاسع العشرة المبشرون بالجنة

نصَّ الرسول ﷺ نصا صريحا على أن عشرة من أصحابه من أهل الجنة ،
ففي مسند أحمد عن سعيد بن زيد ، وسنن الترمذي عن عبدالرحمن بن عوف عن
النبي ﷺ قال : « أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في
الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة ،
وسعد بن أبي وقاص في الجنة ، وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في
الجنة » وإسناده صحيح^(١) .

وروى الحديث الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه والضياء في المختارة عن
سعيد بن زيد بلفظ فيه شيء من الاختلاف عن سابقه ، ولفظه : « عشرة في
الجنة : النبي في الجنة ، وأبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ،
وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير بن العوام في الجنة ، وسعد بن مالك في
الجنة ، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة ، وسعيد بن زيد في الجنة » وإسناده
صحيح^(٢) .

(١) صحيح الجامع الصغير : (٧٠/١) ، ورقمه : ٥٠ .
(٢) صحيح الجامع الصغير : (٣٤/٤) ، ورقمه : ٣٩٠٥ .

وتذكر لنا كتب السنة أن الرسول ﷺ كان يوما جالسا على بئر أريس وأبو موسى الأشعري بواب له ، فجاء أبو بكر الصديق فاستأذن ، فقال له الرسول ﷺ : « ائذن له وبشره بالجنة » ، ثم جاء عمر فقال : « ائذن له ، وبشره بالجنة » ثم جاء عثمان ، فقال : « ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه »^(١) .

وروى ابن عساكر بإسناد صحيح عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : « القائم بعدي في الجنة ، والذي يقوم بعده في الجنة ، والثالث والرابع في الجنة »^(٢) . ومراده بالقائم بعده : الذي يلي الحكم بعد موته ، وهؤلاء الأربعة هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم جميعا .

وروى الترمذي والحاكم بإسناد صحيح عن عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ قال لأبي بكر : « أنت عتيق من النار »^(٣) .

الْمَبَاحِثُ الْعَاشِرُ بَعْضُ مَنْ نَصَّ عَلَى أَنَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ غَيْرُ ذَكَرٍ

١ - ٢ - جعفر بن أبي طالب ، وحمة بن عبدالمطلب :

من الذين أخبر الرسول ﷺ أنهم في الجنة جعفر وحمة ، ففي سنن

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي ، جامع الأصول : (٥٦٢/٨) ، ورقمه : ٦٣٧٢ . والحديث طويل ، وقد اقتصرنا منه على موضع الشاهد فحسب .

(٢) صحيح الجامع الصغير : (١٤٩/٤) ، ورقمه : ٤٣١١ .

(٣) صحيح الجامع الصغير : (٢٤/٢) ، ورقمه : ١٤٩٤ .

(٤) قال الشيخ ناصر في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٢٦/٣) ، حديث رقم ١٢٢٦ : « حديث صحيح جاء من طرق عن أبي هريرة ، وابن عباس ، وعلي بن أبي طالب ، وأبي عامر والبراء » وقد ساق طرقه

الترمذي ، ومسند أبي يعلى ، ومستدرك الحاكم وغيرهم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « رأيت جعفر بن أبي طالب ملكا يطير في الجنة بجناحين » (١) .
 وروى الطبراني ، وابن عدي ، والحاكم عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال :
 « دخلت الجنة البارحة ، فنظرت فيها ، فإذا جعفر يطير مع الملائكة ، وإذا حمزة متكىء على سرير » . وإسناده صحيح (٢) .

وقد صح أن الرسول ﷺ قال : « سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب » (٣) .

٣ - عبدالله بن سلام :

روى أحمد والطبراني والحاكم بإسناد صحيح عن معاذ قال : قال رسول الله ﷺ « عبدالله بن سلام عاشر عشرة في الجنة » (٤) .

٤ - زيد بن حارثة :

روى الروياني والضياء عن بريده أن النبي ﷺ قال : « دخلت الجنة ، فاستقبلتني جارية شابة ، فقلت : لمن أنت ؟ قالت : لزيد بن حارثة » (٥) .

٥ - زيد بن عمرو بن نفيل :

روى ابن عساكر بإسناد حسن عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ :
 « دخلت الجنة ، فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل درجتين » (٦) .

(١) صحيح الجامع : (١٤٠/٣) ، ورقمه : ٣٣٥٨ .

(٢) صحيح الجامع : (٢١٩/٣) ، ورقمه : ٣٥٦٩ .

(٣) صحيح الجامع الصغير : (٢٥/٤) ، ورقمه : ٣٨٧٠ .

(٤) صحيح الجامع الصغير : (١٤١/٣) ، ورقمه : ٣٣٦١ .

(٥) صحيح الجامع الصغير : (١٤١/٣) ، ورقمه : ٣٣٦٢ .

وزيد هذا كان يدعو إلى التوحيد في الجاهلية ، وكان على الحنيفية ملة إبراهيم .

٦ - حارثة بن النعمان :

وروى الترمذي والحاكم عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « دخلت الجنة ، فسمعت فيها قراءة ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : حارثة بن النعمان ، كذلك البر ، كذلك البر »^(١) .

٧ - بلال ابن أبي رباح :

روى الطبراني وابن عدي بإسناد صحيح عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : « دخلت الجنة ، فسمعت خشفة بين يدي ، قلت : ما هذه الخشفة ؟ فقيل : هذا بلال يمشي أمامك »^(٢) .

وفي المسند بإسناد صحيح عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « دخلت الجنة ليلة أسري بي ، فسمعت من جانبها وجسا ، فقلت : يا جبريل ما هذا ؟ قال : بلال المؤذن »^(٣) .

٨ - أبو الدحداح :

روى مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي وأحمد عن جابر بن سمرة أن

(١) صحيح الجامع الصغير : (١٤٢/٣) ، ورقمه : ٣٣٦٦ .

(٢) صحيح الجامع الصغير : (١٤٢/٣) ، ورقمه : ٣٣٦٤ .

(٣) صحيح الجامع الصغير : (١٤٣/٣) ، ورقمه : ٣٣٦٧ .

رسول الله ﷺ قال : « كم من عذق معلق لابن الدحداح في الجنة »^(١) .

وأبو الدحداح هذا هو الذي تصدق ببستانه : بيرحاء ، أفضل بساتين المدينة عندما سمع الله يقول : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ »^(٢) .

٩ - ورقة بن نوفل :

روى الحاكم بإسناد صحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « لا تسبوا ورقة بن نوفل ، فإني قد رأيت له جنة أو جنتين »^(٣) .

وورقة آمن بالرسول ﷺ عندما جاءته خديجة بالرسول ﷺ في أول أمره ، وتمنى على الله أن يدرك ظهور أمر الرسول ﷺ لينصره .

(١) صحيح الجامع الصغير : (١٨٥/٤) ، ورقمه : ٤٤٥٠ .

(٢) سورة البقرة : ٢٤٥ .

(٣) صحيح الجامع الصغير : (١٥٣/٦) ، ورقمه : ٧١٩٧ .

المبحث الحادي عشر الجنة ليست ثمنًا للعمل

الجنة شيء عظيم ، لا يمكن أن يناله المرء بأعماله التي عملها ، وإنما تنال برحمة الله وفضله ، روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يدخل أحدًا منكم عمله الجنة » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة »^(١) .

وقد يشكل على هذا النصوص التي تشعر بأن الجنة ثمن للعمل ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ تِلْكَ أَلْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٣) .

ولا تعارض بين الآيات وما دلَّ عليه الحديث ، فإن الآيات تدل على أن الأعمال سبب لدخول الجنة ، وليست ثمنًا لها . والحديث نفى أن تكون الأعمال ثمنًا للجنة . وقد ضل في هذا فرقتان : الجبرية التي استدلت بالحديث على أن الجزاء غير مرتب على الأعمال ، لأنه لا صنع للعبد في عمله ، والقدرية استدلوا بالآيات ، وقالوا إنها تدل على أن الجنة ثمن للعمل ، وأن العبد مستحق دخول الجنة على ربه بعمله .

(١) صحيح مسلم (٤/٢١٧٠) . ورقم الحديث : ٢٨١٦ .

(٢) سورة السجدة : ١٧ .

(٣) سورة الأعراف : ٤٢ .

يقول شارح الطحاوية في هذه المسألة .

« وأما ترتب الجزاء على الأعمال ، فقد ضل فيه الجبرية والقدرية ، وهدى الله أهل السنة ، وله الحمد والمنة ، فإن الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات . فالمنفى في قوله ﷺ : « لن يدخل الجنة أحد بعمله » - باء العوض ، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة ، كما زعمت المعتزلة أن العامل مستحق دخول الجنة على ربه بعمله ، بل ذلك برحمة الله وفضله . والباء التي في قوله : ﴿ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(١) وغيرها باء السبب ، أي بسبب عملكم ، والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات ، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته » ^(٢) .

(١) سورة السجدة : ١٧ .

(٢) شرح الطحاوية : ٤٩٥ .

الفصل الخامس

صفة أهل الجنة ونعيمهم فيها

يدخل أهل الجنة الجنة على أكمل صورة وأجلها ، على صورة أبيهم آدم عليه السلام ، فلا أكمل ولا أتم من تلك الصورة والخلقة التي خلق الله عليها أبا البشر آدم ، فقد خلقه الله تعالى بيده فأتى خلقه ، وأحسن تصويره ، وكل من يدخل الجنة يكون على صورة آدم وخلقته ، وقد خلقه الله طوالا كالنخلة السحوق ، طوله في السماء ستون ذراعا ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « خلق الله عز وجل آدم على صورته ، طوله ستون ذراعا . . . فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، وطوله ستون ذراعا ، فلم يزال الخلق ينقص بعده » (١) .

وإذا كان خلقهم الظاهري متفق فكذلك خلقهم في باطنهم واحد ، نفوسهم صافية ، وأرواحهم طاهرة زاكية ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة في الحديث الذي يصف فيه الرسول ﷺ دخول أهل الجنة ومنهم الزمرة الذين يدخلون الجنة

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير ، (٤/٢١٨٣) ، ورقمه : ٢٨٤١ .

نورهم كالبدر قال : « أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء »^(١) .

ومن جمال صورتهم أنهم يكونون جرداً مرداً كأنهم مكحلون ، وكلهم يدخل الجنة في عمر القوة والفتوة والشباب أبناء ثلاث وثلاثين ، ففي مسند أحمد وسنن الترمذي عن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ قال : « يدخل أهل الجنة جرداً مرداً ، كأنهم مكحلون ، أبناء ثلاث وثلاثين »^(٢) .

وأهل الجنة - كما جاء في حديث أبي هريرة في الصحيحين - « لا يبصقون ، ولا يمتخطون ، ولا يتغوطون »^(٣) .

وأهل الجنة لا ينامون ، فقد جاء في حديث جابر بن عبد الله ، وعبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ قال : « النوم أخو الموت ولا ينام أهل الجنة »^(٤) .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب أول زمرة يدخلون الجنة : (٤/٢١٧٩) ، رقم الحديث ٢٨٣٤ .

(٢) صحيح الجامع : (٦/٣٣٧) ، ورقمه : ٧٩٢٨ ، وقال الشيخ ناصر فيه : صحيح .

(٣) هذا جزء من حديث طويل سقناه بكامله في « دخول الجنة » .

(٤) أورد الشيخ ناصر الدين الألباني هذا الحديث في « سلسلة الأحاديث الصحيحة » : (٣/٧٤) ورقمه : ١٠٨٧ ، وقد ذكر هناك أنه أخرجه كثير من كتب الحديث منها الكامل لابن عدي ، والحلية لأبي نعيم ، تاريخ أصبهان لأبي الشيخ ، وقد جمع الشيخ ناصر طرق الحديث ، وختم الكلام على الحديث قائلاً : « وبالجملة فالحديث صحيح من بعض طرقه عن جابر » .

الفصل السادس

نعيم أهل الجنة

المبحث الأول

فضل نعيم الجنة على متاع الدنيا

متاع الدنيا واقع مشهود ، ونعيم الجنة غيب موعود ، والناس يتأثرون بما يرون ويشاهدون ، ويثقل على قلوبهم ترك ما بين أيديهم إلى شيء ينالونه في الزمن الآتي ، فكيف إذا كان الموعود ينال غيب الموت ؟ من أجل ذلك قارن الحق تبارك وتعالى بين متاع الدنيا ونعيم الجنة ، وبين أن نعيم الجنة خير من الدنيا وأفضل ، وأطال في ذم الدنيا وبيان فضل الآخرة ، وما ذلك إلا ليجتهد العباد في طلب الآخرة ونيل نعيمها .

وتجدهم ذم الدنيا ومدح نعيم الآخرة ، وتفضيل ما عند الله على متاع الدنيا القريب العاجل في مواضع كثيرة ، كقوله تعالى : ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا زُلَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّالْبَرَارِ ۝ (١) . وقوله : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْتَهُمْ زُجُجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝ (٢) .

(١) سورة ال عمران : ١٩٨ .

(٢) سورة طه : ١٣١ .

وقال في موضع ثالث : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ
الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْبِ ذَلِكَ مَتْنَعُ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ (١) قُلْ أُوْنِيْكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ
آتَقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ
مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٢) .

ولو ذهبنا نبحت في سر أفضلية نعيم الآخرة على متاع الدنيا لوجدناه من
وجوه متعددة :

أولا : متاع الدنيا قليل ، قال تعالى : ﴿ قُلْ مَتْنَعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ
لِّمَنِ اتَّقَى ﴾ (٣) .

وقد صور لنا الرسول ﷺ قلة متاع الدنيا بالنسبة إلى نعيم الآخرة بمثال ضربه
فقال : « والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه - وأشار
بالسبابة - في اليم - فلينظر بيم ترجع » (٤) . ما الذي تأخذه الأصبع إذا غمست في
البحر الخضم ، إنها لا تأخذ منه قطرة . هذا هو نسبة الدنيا إلى الآخرة .

ولما كان متاع الدنيا قليلا ، فقد عاتب الله المؤثرين لمتاع الدنيا على نعيم
الآخرة ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمُ إِذَا قِيلَ لَكُمُ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْخُذْتُمُ إِلَى
الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ قَا مَتْنَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
قَلِيلٌ ﴾ (٥) .

(١) سورة آل عمران : ١٤ - ١٥ .

(٢) سورة النساء : ٧٧ .

(٣) صحيح مسلم : (٢١٩٣ / ٤) . ورقم الحديث : ٢٨٥٨ .

(٤) سورة التوبة : ٣٨ .

وقد ذكرنا في كتابنا هذا النصوص الدالة على كثرة نعيم الدنيا وعدم نفاذه وانقطاعه .

الثاني : هو أفضل من حيث النوع ، فثياب أهل الجنة وطعامهم وشرابهم وحليهم وقصورهم - أفضل مما في الدنيا ، بل لا وجه للمقارنة ، فإن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها »^(١) وفي الحديث الآخر الذي يرويه البخاري ومسلم أيضا عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير مما طلعت عليه الشمس »^(٢) . وقارن نساء أهل الجنة بنساء الدنيا لتعلم مافي الجنة على مافي الدنيا ، ففي صحيح البخاري عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت على الأرض لأضاءت ما بينها ، ولماأت ما بينهما ريحا ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها »^(٣) .

وإذا شئت أن تطلع على المزيد من النصوص المبينة لفضل نعيم الجنة على متاع الدنيا فاقرأ الفصل المخصص لنعيم الجنة في كتابنا هذا .

الثالث : الجنة خالية من شوائب الدنيا وكدرها ، فطعام أهل الدنيا وشرابهم يلزم منه الغائط والبول ، والروائح الكريهة ، وإذا شرب المرء خمر الدنيا فقد عقله ، ونساء الدنيا يحضن ويلدن ، والمحيض أذى ، والجنة خالية من ذلك كله ، فأهلها لا يبولون ولا يتغوطون ، ولا يبصقون ولا يتفلون ، وخر الجنة كما

(١) مشكاة المصابيح : (٨٥/٣) . ورقم الحديث : ٥٦١٣ .

(٢) مشكاة المصابيح : (٨٥/٣) . ورقم الحديث : ٥٦١٥ . والقدر : الموضع والمقدار .

(٣) مشكاة المصابيح : (٨٥/٣) . ورقم الحديث : ٥٦١٤ . والنصيف : الحمار .

وصفها خالقها ﴿بَيِّضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ (١) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿١﴾
وماء الجنة لا يأسن، ولبنها لا يتغير طعمه ﴿أَنْهَرُ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنٍ
لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ (٢)، ونساء أهل الجنة مطهرات من الحيض والنفاس وكل
قاذورات نساء الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ (٣) .

وقلوب أهل الجنة صافية ، وأقوالهم طيبة ، وأعمالهم صالحة ، فلا تسمع في
الجنة كلمة نابية تكدر الخاطر ، وتعكر المزاج ، وتستثير الأعصاب ، فالجنة خالية
من باطل الأقوال والأعمال ، ﴿لَا تَقُوفُ فِيهَا وَلَا تَأْتِمُّ﴾ (٤) ، ولا يطرق
المسامع إلا الكلمة الصادقة الطيبة السالمة من عيوب كلام أهل الدنيا ﴿لَا يَسْمَعُونَ
فِيهَا لَفْوَاً وَلَا كَذْباً﴾ (٥) ، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَفْوَاً إِلَّا سَلَاماً﴾ (٦) ، ﴿لَا تَسْمَعُ
فِيهَا لَغِيفَةً﴾ (٧) ، إنها دار الطهر والنقاء والصفاء الخالية من الأوشاب والأكدار ،
إنها دار السلام والتسليم ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَفْوَاً وَلَا تَأْتِمُّ﴾ (٨) ، ﴿إِلَّا قِيلاً سَلَاماً
سَلَاماً﴾ (٨) .

ولذلك فإن أهل الجنة إذا خلصوا من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة
والنار ، ثم يهذبون وينقون بأن يقتص لبعضهم من بعض ، فيدخلون الجنة وقد
صفت منهم القلوب ، وزال ما في نفوسهم من تباغض وحسد ونحو ذلك مما كان في

(١) سورة الصافات : ٤٦ .

(٢) سورة محمد : ١٥ .

(٣) سورة البقرة : ٢٥ .

(٤) سورة الطور : ٢٣ .

(٥) سورة النبأ : ٣٥ .

(٦) سورة مريم : ٦٢ .

(٧) سورة الغاشية : ١١ .

(٨) سورة الواقعة : ٢٥ .

الدنيا، وفي الصحيحين في صفة أهل الجنة عند دخول الجنة « لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب واحد ، يسبحون الله بكرة وعشياً »^(١) . وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَزَعَنَّا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾^(٢) .
والغل : الحقد ، وقد نقل عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب أن أهل الجنة عندما يدخلون الجنة يشربون من عين فيذهب الله ما في قلوبهم من غل ، ويشربون من عين أخرى فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم^(٣) ولعلمهم استفادوا هذا من قوله تعالى : ﴿ وَسَقَّيْنَاهُمْ مِنْ شَرَابٍ طَهُورًا ﴾^(٤) .

الرابع : نعيم الدنيا زائل ، ونعيم الآخرة باق دائم ، ولذلك سمي الحق تبارك وتعالى ما زين للناس من زهرة الدنيا متاعا ، لأنه يتمتع به ثم يزول ، أما نعيم الآخرة فهو باق ، ليس له نفاذ ، ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾^(٥) ﴿ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَالُهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾^(٦) ، ﴿ أَكَلْهَا دَائِمٌ وَظَلَّهَا ﴾^(٧) ، وقد ضرب الله الأمثال لسرعة زوال الدنيا وانقضائها ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾^(٨) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا^(٩) . فقد ضرب الله مثلا لسرعة زوال الدنيا وانقضائها

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة ، فتح الباري : (٣١٨/٦) .

(٢) سورة الحجر : ٤٧ .

(٣) التذكرة ، للقرطبي : ص ٤٩٩ .

(٤) سورة الإنسان : ٢١ .

(٥) سورة النحل : ٩٦ .

(٦) سورة ص : ٥٤ .

(٧) سورة الرعد : ١٣ .

(٨) سورة الكهف : ٤٥ - ٤٦ .

بالماء النازل من السماء الذي يخالط نبات الأرض فيخضر ويزهر ويثمر ، وماهي إلا فترة وجيزة حتى تزول بهجته ، فيذوى ويصفى ، ثم تعصف به الرياح في كل مكان ، وكذلك زينة الدنيا من الشباب والمال والأبناء والحرث والزرع . . . كلها تتلاشى وتنتفضي ، فالشباب يذوى ويذهب ، والصحة والعافية تبدل هرما ومرضا ، والأموال والأولاد قد يذهبون ، وقد ينتزع الإنسان من أهله وماله ، أما الآخرة فلا رحيل ، ولا فناء ، ولا زوال ﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿١﴾ .

الخامس : العمل لمناج الدنيا ونسيان الآخرة يعقبه الحسرة والندامة ودخول النيران ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ ﴿٢﴾ .

(١) سورة النحل : ٣٠ - ٣١ .

(٢) سورة آل عمران : ١٨٥ .

المَبَحْثُ الشَّافِي طَعَامُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَشَرَابُهُمْ

سبق أن تحدثنا عن أشجار الجنة وثمارها ، وقطوفها الدانية المذلة تذليلاً ، واختيار أهل الجنة من ثمارها ما يريدون ويشتهون ، وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس من المأكَل والمشارب ، ﴿ وَفَكَهْمَةٌ مَّا يَتَخَبَّرُونَ ﴾ ❶ وَلَحْمٌ طَيْرٍ مَّا يَسْتَهْوُونَ ❷ ❸ ﴿ وَفِيهَا مَّا نَسْتَبِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ❹ ❺ ﴾ ❶ ، وقد أباح الله لهم أن يتناولوا من خيراتها وألوان طعامها وشرابها ما يشتهون ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ ❷ .

وذكرنا أيضاً فيما سبق أن في الجنة بحر الماء ، وبحر الخمر ، وبحر اللبن ، وبحر العسل ، وأن أنهار الجنة تنشق من هذه البحار . وفي الجنة عيون كثيرة ، وأهل الجنة يشربون من تلك البحار والأنهار والعيون .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ❶ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ❷ ﴾ ❸ .

وقال : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ❶ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ❷ ﴾ ❸ . وقال : ﴿ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ❶ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ❷ ﴾ ❸ .

(٤) سورة الإنسان : ٥ .

(٥) سورة الإنسان : ١٧ .

(٦) سورة المطففين : ٢٦ .

(١) سورة الواقعة : ٢٠ .

(٢) سورة الزخرف : ٧١ .

(٣) سورة الحاقة : ٢٤ .

المطلب الأول خمر أهل الجنة

من الشراب الذي يتفضل الله به على أهل الجنة الخمر ، وخمر الجنة خالي من العيوب والآفات التي تتصف بها خمر الدنيا ، فخمر الدنيا تذهب العقول ، وتصدع الرؤوس ، وتوجع البطون ، وتمرض الأبدان ، وتجلب الأسقام وقد تكون معيبة في صنعها أو لونها أو غير ذلك ، أما خمر الجنة فإنها خالية من ذلك كله ، جميلة صافية رائقة ، ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ۖ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ۚ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ۚ ﴾ (١) . فقد وصف الله جمال لونها (بيضاء) ثم بين أنها تَلَذُّ شاربها من غير اغتيال لعقله ، كما قال : ﴿ وَأَنْهَرُ مِنْ نَحْرِ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ۚ ﴾ (٢) ، ثم إن شاربها لا يمل من شربها ﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ۚ ﴾ (٣) ، وقال في موضع آخر يصف خمر الجنة : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ ۚ ﴾ (٤)؛ قال ابن كثير في تفسير هذه الآيات : « لا تصدع رؤوسهم ، ولا تنزف عقولهم ، بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة ، وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال : في الخمر أربع خصال : السكر ، والصداع ، والقيء ، والبول ، فذكر الله خمر الجنة ، ونزهها عن هذه الخصال » (٥)

وقال الحق في موضع ثالث : ﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَمُهُ

(١) سورة الصافات : ٤٥ - ٤٧ .

(٢) سورة محمد : ١٨ .

(٣) سورة الصافات : ٤٧ .

(٤) سورة الواقعة : ١٧ - ١٩ .

(٥) تفسير ابن كثير : ٥١٤/٦ .

مَسْكٌ»^(١) ، والرحيق الخمر ، ووصف هذا الخمر بوصفين : الأول أنه مختوم أي موضوع عليه خاتم. الأمر الثاني : أنهم إذا شربوه وجدوا في ختام شربهم له رائحة المسك .

المطلب الثاني أول طعام أهل الجنة

أول طعام يتحف الله به أهل الجنة زيادة كبد الحوت ، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة ، يتكفوها الجبار بيده ، كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة » فأتى رجل من اليهود ، فقال : بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : « بلى » . قال : تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي ﷺ فنظر النبي ﷺ إلينا ، ثم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال : « ألا أخبرك بإدامهم ؟ بالام والنون . قالوا : وما هذا ؟ قال : ثور ونون ، يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفا »^(٢)

قال النووي في شرح الحديث ما ملخصه : « النزل : ما يعد للضيف عند نزوله ، ويتكفأها بيده : أي يميلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتستوي ، لأنها ليست منبسطة كالرقاقة ونحوها ، ومعنى الحديث : أن الله تعالى يجعل الأرض كالرغيف العظيم ، ويكون طعاما ونزلا لأهل الجنة ، والنون : الثور ، (وال بالام) : لفظة عبرانية ، معناها : ثور ، وزائدة كبد الحوت : هي القطعة المنفردة المتعلقة في الكبد ، وهي أطيبها »^(٣) .

(١) سورة المطففين : ٢٥ - ٢٦ .

(٢) مشكاة المصابيح : (٥٦/٣) .

(٣) شرح النووي على مسلم : (١٣٦/١٧) .

وفي صحيح البخاري أن عبدالله بن سلام سأل النبي ﷺ أول قدومه المدينة أسئلة منها : « ما أول شيء يأكله أهل الجنة ؟ فقال : زيادة كبد الحوت »^(١) .

وفي صحيح مسلم عن ثوبان أن يهوديا سأل الرسول ﷺ قال : « فما تحفهم حين يدخلون الجنة ؟ » قال : زيادة كبد الحوت » .

قال : « فما غذاؤهم على إثرها ؟ قال : ينحر لهم ثور الجنة الذي يأكل من أطرافها » .

قال : « فما شرابهم عليه ؟ » قال : « من عين تسمى سلسيلا » ، قال : صدقت^(٢) .

المطلب الثالث

طعام أهل الجنة وشرابهم لا دنس معه

قد يتبادر إلى الذهن أن الطعام والشراب في الجنة ينتج عنه ما ينتج عن طعام أهل الدنيا وشرابهم من البول والغائط والمخاط والبزاق ونحو ذلك ، والأمير ليس كذلك فالجنة دار خالصة من الأذى ، وأهلها مطهرون من أوشاب أهل الدنيا ، ففي الحديث الذي يرويه صاحبنا الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال نافيا هذا الظن : « أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون فيها ، ولا يمتخطون ، ولا ييزقون »^(٣) .

(١) النهاية لابن كثير : (٢/ ٢٧٠) .

(٢) النهاية لابن كثير : (٢/ ٢٧٠) .

(٣) رواه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة ، فتح الباري : (٦/ ٣١٧) ، ورواه مسلم في كتاب الجنة ، باب أول زمرة تدخل الجنة ، (٤/ ٢١٧٨) ، حديث رقم : ٢٨٣٤ .

وليس هذا خاص بأول زمرة تدخل الجنة ، وإنما هو عام في كل من يدخل الجنة ، ففي رواية عند مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أول زمرة تدخل الجنة من أمي على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد نجم في السماء إضاءة ، ثم هم بعد ذلك منازل ، لا يتغوطون ، ولا يتبولون ، ولا يمتخطون ، ولا ييزقون » (١) .

فالذي يتفاوت فيه أهل الجنة ممانص عليه في الحديث قوة نور كل منهم ، أما خلوصهم من الأذى فإنهم يشتركون فيه جميعا ، فهم لا يتغوطون ولا يتبولون ، ولا يتفلون ، ولا ييزقون ، ولا يمتخطون .

وقد يقال : فأين تذهب فضلات الطعام والشراب ، وقد وجه هذا السؤال إلى الرسول ﷺ من قبل أصحابه ، فأفاد أن بقايا الطعام والشراب تتحول إلى رشح كرشح المسك يفيض من أجسادهم ، كما يتحول بعض منه أيضا إلى جشاء ، ولكنه جشاء تنبعث منه روائح طيبة عبقرة عطرة ، ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ، ولا يتفلون ، ولا يتبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يمتخطون » ، قالوا : فما بال الطعام ؟ قال : جشاء كجشاء المسك » (٢) .

(١) رواه مسلم ، كتاب الجنة ، باب أول زمرة تدخل الجنة ، (٢١٨٨/٤) ، ورقم الحديث : ٢٨٣٤ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه : (٢١٨٠/٤) . ورقم الحديث : ٢٨٣٥ .

المطلب الرابع لماذا يأكل أهل الجنة ويشربون ويمتشطون

إذا كان أهل الجنة فيها خالدون ، وكانت خالية من الآلام والأوجاع والأمراض ، لا جوع فيها ولا عطش ، ولا قاذورات ولا أوساخ ، فلماذا يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ، ولماذا يمشطون ؟ .

أجاب القرطبي في التذكرة عن هذا السؤال قائلاً^(١) : « نعيم أهل الجنة وكسوتهم ليس عن دفع ألم اعتراهم ، فليس أكلهم عن جوع ، ولا شربهم عن ظمأ ، ولا تطيبهم عن نتن ، وإنما هي لذات متوالية ، ونعم متتابعة ، ألا ترى قوله تعالى لآدم : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴾ ⑪ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ⑫ . وحكمة ذلك أن الله تعالى عرفهم في الجنة بنوع ما كانوا يتمتعون به في الدنيا ، وزادهم على ذلك ما لا يعلمه إلا الله عز وجل » .

المطلب الخامس آنية طعام أهل الجنة وشرابهم

آنية طعام أهل الجنة ، التي يأكلون ويشربون بها من الذهب والفضة ، قال تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾^(٢) ، أي وأكواب من ذهب ، وقال : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِعَائِنَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ⑬ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾^(٣) ؛ أي اجتمع فيها صفاء القوارير وبياض الفضة .

(١) التذكرة للقرطبي : ص ٤٧٥ ، وانظر فتح الباري : (٦/٣٢٥) .

(٢) سورة الزخرف : ٧١ .

(٣) سورة الإنسان : ١٥ .

وقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة . . . وجنتان من فضة^(١) ، أنيتهما ومافيهما ، وجنتان من ذهب أنيتهما ومافيهما »^(٢) .

ومن الأنية التي يشربون بها الأكواب والأباريق والكؤوس ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾^(٣) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿^(٣) والكوب : مالا أذن له ولا عروة ولا خرطوم ، والأباريق : ذوات الأذان والعرا ، والكأس القدح الذي فيه الشراب .

(١) أي : وللمؤمن جنتان .
(٢) مشكاة المصابيح : (٨٦/٣) .
(٣) سورة الواقعة : ١٧ .

المبحث الثالث

لباس أهل الجنة وحلّهم ومبأخرهم

أهل الجنة يلبسون فيها الفاخر من اللباس ، ويتزينون فيها بأنواع الحلّ من الذهب والفضة واللؤلؤ ، فمن لباسهم الحرير ، ومن حلالهم أساور الذهب والفضة واللؤلؤ : قال تعالى : ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةٌ وَحَرِيرٌ ﴾ (١) ، ﴿ يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (٢) ، ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (٣) ، ﴿ وَحُلُوعُ أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمُ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (٤) ، وملابسهم ذات ألوان ، ومن ألوان الثياب التي يلبسون الخضضر من السندس والاستبرق ، ﴿ يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (٥) ، ﴿ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعُ أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ (٦) . ولباسهم أرقى من أي ثياب صنعها الإنسان ، فقد روى البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنها قال : « أتى الرسول ﷺ بثوب من حرير ، فجعلوا يعجبون من حسنه ولينه ، فقال رسول الله ﷺ : « لمناذيل سعد بن معاذ في الجنة أفضل من هذا » (٧) .

(١) سورة الإنشيان : ١٢ .

(٢) سورة الحج : ٢٣ .

(٣) سورة فاطر : ٣٣ .

(٤) سورة الإنسان : ٢١ .

(٥) سورة الكهف : ٣١ .

(٦) سورة الإنسان : ٢١ .

(٧) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة والنار ، فتح الباري

(٣١٩/٦) .

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أن لأهل الجنة أمشاطاً من الذهب والفضة ، وأنهم يتبخرون بعود الطيب ، مع أن روائح المسك تفوح من أبدانهم الزاكية ، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن الرسول ﷺ في صفة الذين يدخلون الجنة : « أنيتهم الذهب والفضة ، وأمشاطهم الذهب ، ووقود مجامرهم الألوة - قال أبو اليمان : عود الطيب - ورشحهم المسك »^(١) .

ومن حليهم التيجان ، ففي سنن الترمذي وابن ماجه عن المقدام بن معدى كرب عن رسول الله ﷺ في ذكر الخصال التي يُعطأها الشهيد : « ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها »^(٢) .

وثياب أهل الجنة وحليهم لا تبلى ولا تفنى ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « من يدخل الجنة ينعم لا يبأس ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه »^(٣) .

(١) المصدر السابق .

(٢) مشكاة المصابيح : (٣٥٨/٣) ، ورقمه : ٣٨٣٤ ، وصحح الشيخ ناصر إسناده .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب في دوام نعيم الجنة ، (٢١٨١/٤) ، ورقم الحديث : ٢٨٣٦ .

المبحث الرابع

فرش أهل الجنة

أعدت قصور الجنة ، وأماكن الجلوس في حدائقها وبساتينها بألوان فاخرة رائعة من الفرش للجلوس والاتكاء ونحو ذلك ، فالسرر كثيرة راقية والفرش عظيمة القدر بطائنها من الاستبرق ، فما بالك بظاهرها ، وهناك ترى النمارق مصفوفة على نحو يسر خاطر ، ويبهج النفس ، والزراي مبثوثة على شكل منسق متكامل ، قال تعالى : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۖ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ۚ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۖ وَزَرَائِبُ مَبْثُوثَةٌ ۖ ﴾ (١) ، ﴿ مُتَكِعِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۗ ﴾ (٢) ، ﴿ مُتَكِعِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ۗ ﴾ (٣) ، ﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ۖ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۚ ﴾ (٤) ، ﴿ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُوعَةٍ ۖ مُتَكِعِينَ عَلَيْهَا مُتَقَبِّلِينَ ۗ ﴾ (٥) ، واتكاؤهم عليها على هذا النحو نوع من النعيم الذي يتمتع به أهل الجنة حين يجتمعون كما أخبر الله تعالى : ﴿ وَزَعَنَّا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ۖ ﴾ (٦) ، وقال : ﴿ مُتَكِعِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ ۖ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ۖ ﴾ (٧) ، ﴿ مُتَكِعِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۖ ﴾ (٨) والمراد بالنمارق : المخاد والوسائد المساند ، والزراي : البسط والعبقري : البسط الجياد . والررفرف : رياض الجنة . وقيل نوع من الثياب ، والأرائك : السرر .

(١) سورة الغاشية : ١٣ - ١٦ .

(٢) سورة الرحمن : ٥٤ .

(٣) سورة الطور : ٢٠ .

(٤) سورة الواقعة : ١٣ - ١٦ .

(٥) سورة الحجر : ٤٧ .

(٦) سورة الرحمن : ٧٦ .

(٧) سورة الكهف : ٣١ .

المبحث الخامس

خدم أهل الجنة

يخدم أهل الجنة ولدان ينشئهم الله لخدمتهم ، يكونون في غاية الجمال والكمال ، كما قال تعالى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾^(١) ، وقال في موضع آخر : ﴿ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا ﴿٢﴾ ﴾ .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : « يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان أهل الجنة (مخلصون) أي على حالة واحدة مخلصون عليها ، لا يتغيرون عنها ، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن ، ومن فسرهم بأنهم مخرصون ، في آذانهم الأقرطة ، فإنما عبر عن المعنى ، لأن الصغير هو الذي يليق له ذلك دون الكبير . وقوله تعالى : ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا ﴾^(٣) ، أي إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم ، حسبتهم لؤلؤا منثورا ، ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا ، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن »^(٤) .

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن هؤلاء الولدان هم الذين يموتون صغارا

(١) سورة الواقعة : ١٧ - ١٨ .

(٢) سورة الإنسان : ١٩ .

(٣) سورة الإنسان : ١٩ .

(٤) تفسير ابن كثير : (١٨٤/٧) .

من أبناء المؤمنين أو المشركين ، وقد رد العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى هذا القول ، وبين أن الولدان المخلدون هم خلق من خلق الجنة قال : « والولدان الذين يطوفون على أهل الجنة : خلق من خلق الجنة ليسوا من أبناء الدنيا ، بل أبناء أهل الدنيا إذا دخلوا الجنة كمل خلقهم كأهل الجنة ، على صورة أبيهم آدم » (١) .

(١) مجموع الفتاوي : (٢٧٩/٤) ، وانظر (٣١١/٤) .

المبحث السادس شوق أهل الجنة

روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة لسوقا ، يأتونها كل جمعة ، فتهب ريح الشمال ، فتحثوا في وجوههم وثيابهم ، فيزدادون حسنا وجمالا ، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا ، فيقول لهم أهلهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا ، فيقولون : وأنتم ، والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا » (١) .

قال النووي في شرحه لهذا الحديث : « المراد بالسوق مجمع لهم يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق ، ومعنى يأتونها كل جمعة ، أي في مقدار كل جمعة ، أي أسبوع ، وليس هناك حقيقة أسبوع ، لفقد الشمس والليل والنهار ، ... وخص ريح الجنة بالشمال ، لأنها ريح المطر عند العرب ، كانت تهب من جهة الشام ، وبها يأتي سحب المطر ، وكانوا يرجون السحابة الشامية ، وجاءت في الحديث تسمية هذه الريح المثيرة ، أي المحركة ، لأنها تثير في وجوههم ما تثيره من مسك أرض الجنة وغيره من نعيمها » (٢) .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب في سوق الجنة ، (٢١٧٨/٤) ، ورقمه : ٢٨٢٣ .

(٢) النووي على مسلم : (١٧٠/١٧) .

. الْمَبَحَثُ السَّابِعُ . اجتماع أهل الجنة وأحاديثهم

أهل الجنة يزور بعضهم بعضا ، ويجتمعون في مجالس طيبة يتحدثون ، ويذكرون ما كان منهم في الدنيا ، وما من الله به عليهم من دخول الجنان ، قال تعالى في وصف اجتماع أهل الجنة : ﴿ وَزَعَنَّا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ (١) وأخبرنا الله بلون من ألوان الأحاديث التي يتحدثون بها في مجتمعاتهم ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (٢) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾ (٣) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٤) ، ومن ذلك تذكروهم أهل الشر الذين كانوا يشكون أهل الإيمان ، ويدعونهم إلى الكفران ، ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (٥) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿ يَقُولُ أَأُنْكَ لَمِنَ الْمُصْذِقِينَ ﴾ (٦) أَوْ ذَا مَنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْ نَا لَمَدِينُونَ ﴿ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴾ (٧) فَأُطْلِعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ (٨) أَفَأَنْخَنُ بَمَيِّتِينَ ﴿ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ لِيَمِثِلَ هَذَا فَاَلْعَمَلِ الْعَمَلُونَ ﴾ (٩) . (١٠)

(١) سورة الحجر : ٤٧ .

(٢) سورة الطور : ٢٥ .

(٣) سورة الصافات : ٥٠ - ٦١ .

المبحث الثامن أما نى أهل الجنة

يتمنى بعض أهل الجنة فيها أمانى تتحقق على نحو عجيب ، لا تشبه حال ما يحدث فى الدنيا ، وقد حدثنا الرسول ﷺ عن بعض هذه الأمانى وكيفية تحققها .

فهذا واحد من أهل الجنة يستأذن ربه فى الزرع ، فيأذن له ، فما يكاد يلقي البذر ، حتى يضرب بجذوره فى الأرض ، ثم ينمو ، ويكتمل ، وينضج فى نفس الوقت ، ففي صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يتحدث - وعنده رجل من أهل البادية - : « إن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه فى الزرع ، فقال له : أأست فيما شئت ^(١) ؟ قال : بلى ، ولكن أحب الزرع ، فبذر ، فبادر الطرف نباته ^(٢) واستواؤه ، واستحصاده ، فكان أمثال الجبال ، فيقول الله تعالى : دونك يا ابن آدم ، فإنه لا يشبعك شيء » فقال الأعرابي : « والله لا تجده إلا قرشيا أو أنصاريا ، فإنهم أصحاب زرع ، وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع ، فضحك رسول الله ﷺ » ^(٣) .

وهذا آخر يتمنى الولد ، فيحقق الله له أمنيته فى ساعة واحدة ، حيث تحمل وتضع فى ساعة واحدة .

(١) أي فيما شئت من أنواع النعيم واللوان الطعام والشرب .

(٢) سابق النظر .

(٣) مشكاة المصابيح : (٩٥/٣) ، ورقم الحديث : ٥٦٥٣ .

وروى الترمذي في سننه ، وأحمد في مسنده ، وابن حبان في صحيحه بإسناد
صحيح عن أبي سعيد ؛ أن النبي ﷺ قال : « المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة ،
كان حمله ووضعته وسنه في ساعة واحدة كما يشتهي »^(١) .

(١) صحيح الجامع (٥/٦) ، ورقم الحديث : ٦٥٢٥ .

المبحث التاسع نساء أهل الجنة

المطلب الأول

زوجة المؤمن في الدنيا وزوجته في الآخرة إذا كانت مؤمنة

إذا دخل المؤمن الجنة ، فإن كانت زوجته سالحة ، فإنها تكون زوجته في الجنة أيضا ﴿ جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾ (١) ، وهم في الجنات منعمون مع الأزواج ، يتكثرون في ظلال الجنة مسرورين فرحين ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِفُونَ ﴾ (٢) ، ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ (٣) .

المطلب الثاني

المرأة لآخر أزواجها

روى أبو علي الحارثي في « تاريخ الرقة » عن ميمون بن مهران قال : خطب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أم الدرداء ، فأبى أن تزوجه ، وقالت :

(١) سورة الرعد : ٢٣ .

(٢) سورة يس : ٥٦ .

(٣) سورة الزخرف : ٧٠ .

سمعت أن أبا الدرداء يقول : قال رسول الله ﷺ : « المرأة في آخر أزواجها ، أو قال : لآخر أزواجها » ورجال هذا الإسناد موثقون غير العباس بن صالح فليس له ترجمة ، ورواه أبو الشيخ في التاريخ بإسناد صحيح مقتصرًا منه على المرفوع ، ورواه الطبراني في معجمه الأوسط بإسناد ضعيف ، ولكنه بمجموع الطريقين قوي ، والمرفوع منه صحيح ، وله شاهدان موقوفان : الأول يرويه ابن عساكر عن عكرمة « أن أسماء بنت أبي بكر كانت تحت الزبير بن العوام ، وكان شديدًا عليها ، فأتت أباها ، فشكت ذلك إليه ، فقال : يا بنية اصبري ، فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح ، ثم مات عنها ، فلم تزوج بعده جمع بينهما في الجنة » .

ورجاله ثقات إلا أن فيه إرسالًا لأن عكرمة لم يدرك أبا بكر إلا أن يكون تلقاه عن أسماء .

والآخر أخرجه البيهقي في السنن أن حذيفة قال لزوجته : « إن شئت أن تكوني زوجتي في الجنة ، فلا تزوجي بعدي ، فإن المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا^(١) » ، فلذلك حرّم الله على أزواج النبي ﷺ أن ينكحن من بعده ، لأنهن أزواجه في الآخرة .

المطلب الثالث

الخور العين

يزوجهم الله في الجنة بزوجات جميلات غير زوجاتهم اللواتي في الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾^(٢) . والخور : جمع حوراء ، وهي

(١) هذا التحقيق أخذناه بشيء من الاختصار من « سلسلة الأحاديث الصحيحة » للشيخ ناصر :

(٢/٢٧٥) ورقم الحديث : ١٢٨١ .

(٢) سورة الدخان : ٥٤ .

التي يكون بياض عينها شديد البياض ، وسواده شديد السواد . والعين : جمع عيناء ، والعيناء هي واسعة العين .

وقد وصف القرآن الحور العين بأنهن كواغب أتراب ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَقَارًا ۖ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۖ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۖ ﴾^(١) . والكاعب : المرأة الجميلة التي برز ثدياها ، والأتراب المتقاربات في السن . والحور العين من خلق الله في الجنة ، أنشأهن الله إنشاءً فجعلهن أبكارا ، عربا أترابا ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنْسَاءً ۖ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ۖ ﴾^(٢) عربا أترابا ﴿ وَكُنْهْنَ أَبْكَارًا يَقْبُضِي أَنَّهُ لَمْ يَنْكِحْهُنَّ قَبْلَهُمْ أَحَدٌ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾^(٣) ، وهذا ينفي قول من قال : إن المراد بالزوجات اللواتي ينشئن الله في الجنة زوجاتهم في الدنيا إذ يعيدهن شبابا بعد الكهولة والهرم ، وهذا المعنى صحيح ، فالله سيدخل المؤمنات الجنة في سن الشباب ، ولكنهن لسن الحور العين اللواتي ينشئن الله إنشاءً . والمراد بالعُرب : الغنجات المتحبيبات لأزواجهن .

وقد حدثنا القرآن عن جمال نساء الجنة فقال : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۖ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوفِ ۖ أَلْمَسْكُونِ ۖ ﴾^(٤) والمراد بالمكنون : المخفى المصان ، الذي لم يغير صفاء لونه ضوء الشمس ، ولا عبث الأيدي ، وشبههن في موضع آخر بالياقوت والمرجان ﴿ فِيهِنَّ قَصَصَاتُ الطُّرَفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾^(٥) فَبَيَّءَ الْآوْرِبَ كَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ۖ ﴾^(٥) والياقوت والمرجان حجران كريمان فيهما جمال ، ولهما منظر حسن بديع ، وقد وصف الحور بأنهن قاصرات الطرف ، وهن

(١) سورة النبا : ٣١ - ٣٣ .

(٢) سورة الواقعة : ٣٥ - ٣٧ .

(٣) سورة الرحمن : ٥٦ .

(٤) سورة الواقعة : ٢٢ .

(٥) سورة الرحمن : ٥٦ - ٥٨ .

اللوحي قصرن بصرهن على أزواجهن ، فلم تطمح أنظارهن لغير أزواجهن ، وقد شهد الله لحوار الجنة بالحسن والجمال ، وحسبك أن الله شهد بهذا ليكون قد بلغ غاية الحسن والجمال ﴿ فِيمَنْ خَيْرٌ حَسَنٌ ﴾ (٧١) فَإِنِّي ءَالَاؤِ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ ﴿ (٧٢) حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْبِلَامِ ﴾ (٧٣)

ونساء الجنة لسن كنساء الدنيا ، فإنهن مطهرات من الحيض والنفاس ، والبصاق والمخاط والبول والغائط ، وهذا مقتضى قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٧٤) .

وقد حدثنا الرسول ﷺ عن جمال نساء أهل الجنة، ففي الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يصقون ، ولا يمتخطون ، ولا يتغوطون ، أنيتهم فيها الذهب ، أمشاطهم من الذهب والفضة ، ومجامرهم الألوه ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان ، يرى مع سوقهما من وراء اللحم من الحسن » (٧٥) .

وانظر إلى هذا الجمال الذي يحدث عنه الرسول ﷺ هل تجد له نظيرا مما تعرف ؟ « ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ، وللاأنة ريحا ، ولتنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » رواه البخاري (٧٦) .

(١) سورة الرحمن : ٧٠ - ٧١ .

(٢) سورة البقرة : ٢٥ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة ، فتح الباري : (٣١٨/٦) ، ورواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيم أهلها ، باب أول زمرة تدخل الجنة : (٢١٧٨/٤) ، ورقمه : ٢٨٣٤ .

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب وزوجناهم بحور عين ، فتح الباري (١٥/٦) ، والتنصيف : الخمار .

وتحديد عدد زوجات كل شخص في الجنة باثنين يبدو أنه أقل عدد ، وإلا فقد ورد أن الشهيد يزوج باثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ففي سنن الترمذي وسنن ابن ماجه . بإسناد صحيح عن المقدم بن معدى كرب قال : قال رسول الله ﷺ : « للشهيد عند الله ثلاث خصال : يغفر له في أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ، وزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقربائه » (١) .

غناء الحور العين

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أن الحور العين في الجنان يغنين بأصوات جميلة عذبة ، ففي معجم « الطبراني الأوسط » بإسناد صحيح عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : « إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط . إن مما يغنين : نحن الحيات الحسان ، أزواج قوم كرام ، ينظرون بقرة أعيان . وإن مما يغنين به : نحن الخالدات فلا يمتته ، نحن الأمانات فلا يخفنه ، نحن المقيمات فلا يظعننه » (٢) .

وروى سمويه في « فوائده » عن أنس ، عن رسول الله ﷺ : « إن الحور العين لتغنين في الجنة ، يقلن : نحن الحور الحسان ، خبئنا لأزواج كرام » (٣) .

(١) مشكاة المصابيح : (٣٥٨/٣) ، ورقمه : ٣٨٣٤ .

(٢) صحيح الجامع الصغير : (٤٨/٢) ، ورقم الحديث : ١٥٥٧ ، وعزه الشيخ ناصر أيضا إلى الطبراني في الأوسط ، وإلى أبي نعيم ، والضياء في صفة الجنة .

(٣) صحيح الجامع : (٥٨/٢) ، ورقمه : ١٥٩٨ .

غيرة الحور العين على أزواجهن في الدنيا

أخبرنا الرسول ﷺ أن الحور العين يغرن على أزواجهن في الدنيا إذا آذى الواحد زوجته في الدنيا ، ففي مسند أحمد ، وسنن الترمذي بإسناد صحيح عن معاذ عن رسول الله ﷺ قال : « لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا ، إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذي قاتلك الله ، فإنما هو دخيل عندك ، يوشك أن يفارقك إلينا »^(١) .

المطلب الرابع

يعطى المؤمن في الجنة قوة مائة رجل

عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : « يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع » . قيل : يا رسول الله ، أو يطيق ذلك ؟ قال : « يعطى قوة مائة رجل » رواه الترمذي^(٢) .

(١) صحيح الجامع الصغير : (١٢٥/٦) ، ورقم الحديث : ٧٠٦٩ .

(٢) مشكاة المصابيح : (٩٠/٣) ورقمه : ٥٦٣٦ ، وقال محقق المشكاة : « قال الترمذي : حديث صحيح غريب » قلت (المحقق) : وإسناده حسن ، بل هو صحيح ، لأن له شواهد منها عن زيد ابن أرقم عند الدارمي بسند صحيح » .

المبحث العاشر ضحك أهل الجنة من النار

بعد أن يدخل الله أهل الجنة الجنة ينادون خصومهم من الكفار أهل النار مبكتين ومؤنين ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١) ، لقد كان الكفار في الدنيا يخاصمون المؤمنين ، ويسخرون منهم ، وهزأون بهم ، وفي ذلك اليوم ينتصر المؤمنون ، فإذا بهم وهم في النعيم المقيم ، ينظرون إلى المجرمين فيسخرون منهم وهزأون بهم ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (٢) عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ (٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّحْتُومٍ (٥) خِثْمُهُمْ مَّسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٦) وَمِرَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ (٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٨) إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (١٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (١١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُونَ (١٢) وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ (١٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (١٤) عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ (١٥) هَلْ تُؤِيبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٢)

نعم ، والله لقد جوزي الكفار بمثل ما كانوا يفعلون ، والجزاء من جنس العمل ، ويتذكر المؤمن في جنات النعيم ذلك القرين أو الصديق الذي كان يزين له

(١) سورة الأعراف : ٤٤ .

(٢) سورة المطففين : ٢٢ - ٣٦ .

الكفر في الدنيا ، وكان يدعوه إلى تلك المبادئ الضالة التي تجعله في صف الكافرين أعداء الله ، فبيّحت أخوانه عن ذلك القرين ، ويدعوهم للنظر إليه في مقره الذي يعذب فيه ، فعندما يرى ما يعانيه من العذاب - يعلم مدى نعمة الله عليه ، وكيف خلّصه من حاله ، ثم يتوجه إليه باللوم والتأنيب ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ٥٦ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥٦﴾ يَقُولُ أَأُنْكَ لَمِنَ الْمُصْذِقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ ذَا مَنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْ نَا لَمَدِينُونَ ﴿٥٧﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٨﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٨﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٩﴾ أَفَأَنْتُمْ بِمِيتَتِنَا لَا إِلَهَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٦٠﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦١﴾ (١)

(١) سور الصافات : ٥٠ - ٦٠ .

المبحث الحادي عشر التسبيح والتكبير من نعم أهل الجنة

الجنة دار جزاء وإنعام ، لا دار تكليف واختبار ، وقد يشكل على هذا ما رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة عن الرسول ﷺ في صفة أول زمرة تدخل الجنة ، قال في آخره « يسبحون الله بكرة وعشياً »^(١) ، ولا اشكال في ذلك إن شاء الله تعالى ، لأن هذا ليس من باب التكليف ، قال ابن حجر في شرحه للحديث : « قال القرطبي : هذا التسبيح ليس عن تكليف وإلزام ! ، وقد فسر جابر في حديثه عند مسلم بقوله : « يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس » ، ووجه التشبيه أن تنفس الإنسان لا كلفة عليه فيه ، ولا بد منه ، فجعل تنفسهم تسبيحاً ، وسببه أن قلوبهم تنورت بمعرفة الرب سبحانه ، وامتألت بحبه ، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره »^(٢) .

وقد قرر شيخ الإسلام أن هذا التسبيح والتكبير لون من ألوان النعيم الذي يتمتع به أهل الجنة ، قال : « هذا ليس من عمل التكليف الذي يطلب له ثواب منفصل ، بل نفس هذا العمل من النعيم الذي تنتعم به الأنفس وتلذذ به »^(٣) .

(١) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة ، فتح الباري : (٣١٨/٦) .

(٢) فتح الباري : (٣٢٦/٦) .

(٣) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : (٣٣٠/٤) .

المبحث الثاني عشر

أَفْضَلُ مَا يُعْطَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ رِضْوَانُ اللَّهِ وَالنَّظَرُ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ

عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، والخير كله في يديك ، فيقول هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب ، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ؟ فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب ، وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً » ، متفق عليه^(١) . وأعظم النعيم النظر إلى وجه الله الكريم في جنات النعيم ، يقول ابن الأثير : « رؤية الله هي الغاية القصوى في نعيم الآخرة ، والدرجة العليا من عطايا الله الفاخرة ، بلغنا الله منها ما نرجو »^(٢) .

وقد صرح الحق تبارك وتعالى برؤية العباد لربهم في جنات النعيم ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾^(٣) ، والكفار والمشركون يحرمون من هذا النعيم العظيم ، والتكرمة الباهرة ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾^(٤) ، وقد روى مسلم في صحيحه والترمذي في سننه عن صهيب الرومي رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، يقول تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ، وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك

(١) مشكاة المصابيح : (٨٨/٣) .

(٢) جامع الأصول : (٥٥٧/١٠) .

(٣) سورة القيامة : ٢٣ .

(٤) سورة المطففين : ١٥ .

وتعالى ، زاد في رواية : « ثم تلا هذه الآية : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ ﴾ (١) ، (٢) .

وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن للمؤمن في الجنة لحيمة من لؤلؤة مجوفة ، عرضها - وفي رواية طولها - ستون ميلا ، في كل زاوية منها أهل ، ما يرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمن ، وجنتان من فضة أنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » (٣) .

والنظر إلى وجه الله تعالى من المزيّد الذي وعد الله به المحسنين ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (٤) ، ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ ﴾ (٥) ، وقد فسرت الحسنى بالجنة ، والزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم ، ويشير إلى هذا الحديث الذي رواه مسلم وذكرناه في صدر هذا الفصل .

ورؤية الله رؤية حقيقية ، لا كما تزعم بعض الفرق التي نفت رؤية الله تعالى بمقاييس عقلية باطلة ، وتحريفات لفظية جائرة ، وقد سئل الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة عن قوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٦) ، فقيل : إن قوما يقولون : إلى ثوابه . فقال مالك : كذبوا ، فأين هم عن قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ ﴾ (٧) ؟ قال مالك : الناس ينظرون إلى الله يوم القيامة

(١) سورة يونس : ٢٦ .

(٢) جامع الأصول : (١٠/٥٦٠) .

(٣) مشكاة المصابيح ، (١٠/٨٦) ، ورقمه : ٥٦١٦ .

(٤) سورة ق : ٣٥ .

(٥) سورة يونس : ٢٦ .

(٦) سورة القيامة : ٢٣ .

(٧) سورة المطففين : ١٥ .

بأعينهم ، وقال : لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة ، لم يعبر الله عن الكفار بالحجاب ، فقال : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾^(١) ، رواه في « شرح السنة »^(٢) .

ومن الذين نصوا على رؤية المؤمنين ربهم في الجنات الطحاوي في العقيدة المشهورة باسم « العقيدة الطحاوية » ، قال : « والرؤية حق لأهل الجنة ، بغير إحاطة ولا كيفية ، كما نطق به كتاب ربنا : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾^(٣) ، وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه ، وكل ما جاء في ذلك الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال ، ومعناه على ما أراد ، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا ، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم الله عز وجل ولرسوله ﷺ . ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه »^(٤) .

وقال شارح الطحاوية مبينا مذاهب الفرق الضالة في هذه المسألة ومذهب أهل الحق :

« المخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية . وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة . وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون ، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين ، وأهل الحديث ، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة » .

(١) سورة المطففين : ١٥ .

(٢) مشكاة المصابيح : (١٠٠/٣) ، ورقمه ٥٦٦٣ .

(٣) سورة القيامة ٢٢ - ٢٣ .

(٤) شرح الطحاوية : ٢٠٣ .

ثم بين أهمية هذه المسألة فقال :

« وهذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها ، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرّون ، وتنافس المتنافسون ، وحُرِّمَهَا الذين هم عن ربهم محجوبون ، وعن بابه مردودون » .

ثم بين أن قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾^(١) . من أظهر الأدلة على هذه المسألة ، وأمّا الذين أبوا إلا تحريفها بما يسمونه تأويلاً : فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والحساب ، أسهل من تأويلها على أرباب التأويل . ولا يشاء مبطل أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول هذه النصوص .

وبين خطورة التأويل : « وهذا الذي أفسد الدنيا والدين . وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل ، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم . وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم ، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية . فهل قُتِلَ عثمان رضي الله عنه إلا بالتأويل الفاسد ؟ وكذا ما جرى في يوم الجمل « و صفين » ، ومقتل الحسين ، والحرة ؟ وهل خرجت الخوارج ، واعتزلت المعتزلة ، ورفضت الروافض ، واقتربت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، إلا بالتأويل الفاسد ؟ !

ثم بين أن دلالة الآية على الرؤية من جانبيين : الأول فقه النص . والثاني : فقه علماء السلف لهذا النص . ففي الأول قال :

« وإضافة النظر إلى الوجه ، الذي هو محله ، في هذه الآية ، وتعديته بأداة

(١) سورة القيامة : ٢٢ .

«إلى» الصريحة في نظر العين ، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه - حقيقة موضوعة صريحة في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله .

فإن النظر له عدة استعمالات ، بحسب صلاته وتعديه بنفسه : فإن عدي بنفسه فمعناه : التوقف والانتظار : ﴿ أَنْظُرُونَا نَقْتَتِسَ مِنْ نُورِكُمْ ﴾ ^(١) . وإن عدي بـ «في» ، فمعناه : التفكير والاعتبار ، كقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(٢) . وإن عدي بـ «إلى» فمعناه : المعاينة بالأبصار ، كقوله تعالى : ﴿ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ ^(٣) . فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر ؟ وساق في الثاني عدة نصوص عن السلف تبين فقههم للآية ، فعن الحسن قال : نَظَرْتُ إِلَى رَبِّهَا فَضُرْتُ بَنُورِهِ ، وقال أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ ^(٤) . قال : تنظر إلى وجه ربها عز وجل . وقال عكرمة : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾ ^(٥) . قال : من النعيم ، ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ ^(٦) ، قال : تنظر إلى ربها نظراً ، ثم حكى عن ابن عباس مثله . وهذا قول المفسرين من أهل السنة والحديث . وقال تعالى : ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ ^(٧) . قال الطبري : قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك : هو النظر إلى وجه الله عز وجل .

(١) سورة الحديد : ١٣

(٢) سورة الأعراف : ١٨٥

(٣) سورة الأنعام : ٩٩

(٤) سورة القيامة : ٢٣

(٥) سورة القيامة : ٢٢

(٦) سورة القيامة : ٢٣

(٧) سورة ق : ٣٥

ثم ذكر معنى الزيادة في قوله تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (١) ، وأنها النظر إلى وجه الله الكريم وساق في ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن صهيب ، قال : قرأ رسول الله ﷺ : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (١) ، قال : «إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد : يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ما هو ؟ ألم يُثقل موازيننا ويبيّض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار ؟ فيكشف الحجاب ، فينظرون إليه ، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ، وهي الزيادة» . ورواه غيره بأسانيد متعددة والفاظ أخر ، معناها أن الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل . وكذلك فسرها الصحابة رضي الله عنهم . روى ابن جرير ذلك عن جماعة ، منهم : أبوبكر الصديق رضي الله عنه ، وحذيفة ، وأبوموسى الأشعري ، وابن عباس ، رضي الله عنهم .

ومن الأدلة على هذه المسألة قوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (٢) . وذكر المصنف أن الشافعي - رحمه الله - وغيره من الأئمة احتجوا بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة ، ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني عن الشافعي ، وقال الحاكم : حدثنا الأصم حدثنا الربيع بن سليمان قال : حضرت محمد بن إدريس الشافعي ، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها : ما تقول في قول الله عز وجل : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (٣) . فقال الشافعي : لما أن حُجب هؤلاء في السخط ، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى .

(١) سورة يونس : ٢٦

(٢) سورة المطففين : ١٥

(٣) سورة المطففين : ١٥

ثم تعرض لاستدلال المعتزلة بقوله تعالى : ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾^(١) . ويقوله تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^(٢) ، وذكر أن الآيتين دليل عليهم ، فالآية الأولى : تدل على ثبوت رؤيته من وجوه :

أحدها : أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل مالا يجوز عليه ، بل هو عندهم من أعظم المحال .

الثاني : أن الله لم ينكر عليه سؤاله ، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله ، وقال : ﴿إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٣) .

الثالث : أنه تعالى قال : ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ ، ولم يقل : إني لا أرى ، أو لا تجوز رؤيتي ، أو لست بمرئي . والفرق بين الجوابين ظاهر . ألا ترى أن من كان في كفه حجر فظنه رجل طعاماً صح أن يقال : إنك لن تأكله . وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي ، ولكن موسى لا تحمل قواه رؤيته في هذه الدار ، لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى .

الرابع : يوضح الوجه الثالث قوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي﴾^(٤) . فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار ، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف ؟

الخامس : أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقراً ، وذلك ممكن ، وقد علق به الرؤية ، ولو كانت محالاً لكان نظير أن يقول : إن استقر الجبل فسوف أكل وأشرب وأنام . والكل عندهم سواء .

(١) سورة الأعراف : ١٤٣ .

(٢) سورة الأنعام : ١٠٣ .

(٣) سورة هود : ٤٦ .

(٤) سورة الأعراف : ١٤٣ .

السادس : قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ (١)، فإذا جاز أن يتجلى للجبل ، الذي هو جمد لا ثواب له ولا عقاب ، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسوله وأوليائه في دار كرامته ؟ ولكن الله أعلم موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار ، فالبشر أضعف .

السابع : أن الله كلم موسى ، وناداه وناجاه ، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة ، فرويته أولى بالجواز . ولهذا لا يتم إنكار رؤيته الا بإنكار كلامه ، وقد جمعوا بينهما . ثم أجاب على دعواهم أن «لن» تفيد التأييد وتدل على نفس الرؤية في الآخرة ، وبين الشيخ أنها لو قيدت بالتأييد فلا تدل على دوام النفي في الآخرة ، فكيف إذا أطلقت ؟ ولهذا نظائر في القرآن ، قال تعالى : ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ (٢) ، مع قوله : ﴿ وَنَادَايَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ (٣) . ولأنها لو كانت للتأييد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها ، وقد جاء ذلك ، قال تعالى : ﴿ فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أُبْرَحَ ﴾ (٤) . فثبت أن «لن» لا تقتضي النفي المؤبد .

قال الشيخ جمال الدين بن مالك رحمه الله :

ومن رأى النفي بلسن مؤبدا فقله اردد وسواه فاعضدا

وأما الآية الثانية : فالاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف ،

وهو : أن الله تعالى إنما ذكرها في سياق التمدح ، ومعلوم أن المدح إنما يكون

(١) سورة الأعراف : ١٤٣

(٢) سورة البقرة : ٩٥

(٣) سورة الزخرف : ٧٧

(٤) سورة يوسف : ٨٠

بالصفات الثبوتية ، أما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح به ، وإنما يمدح الرب تعالى بالنفي إذا تضمن أمراً وجودياً ، كمدحه بنفي السنة والنوم ، المتضمن كمال القيومية ، وفي الموت المتضمن كمال الحياة ، ونفي اللغوب والاعياء ، المتضمن كمال القدرة ، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير ، المتضمن كمال صمديته وغناه ، ونفي الظلم ، المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه ، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه ، المتضمن كمال علمه وإحاطته ، ونفي المثل ، المتضمن لكمال ذاته وصفاته ، ولهذا لم يتمدح بعدم محض لم يتضمن أمراً ثبوتياً ، فإن المعدم يشارك الموصوف في ذلك العدم ، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه ، فإن المعنى : إنه يُرى ولا يُدرك ولا يحاط به ، فقله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ (١) يدل على كمال عظمته ، وأنه أكبر من كل شيء ، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به ، فإن (الإدراك) هو الإحاطة بالشيء ، وهو قدر زائد على الرؤية ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ (٢) قَالَ كَلَّا (٣) . فلم ينف موسى الرؤية ، وإنما نفى الإدراك ، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه ، فالرب تعالى يُرى ولا يُدرك ، كما يعلم ولا يحاط به علماً ، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية ، كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية . بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه .

ثم ذكر الشيخ أن الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه ، الدالة على الرؤية متواترة ، رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن . فمنها : حديث أبي هريرة : « أن ناساً قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول

(١) سورة الأنعام : ١٠٣

(٢) سورة الشعراء : ٦٢

الله ﷺ : هل تُضَارُونَ في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : هل تُضَارُونَ في الشمس ليس دونها سحب؟ قالوا : لا ، قال فإنكم ترونه كذلك ، الحديث ، أخرجاه في «الصحيحين» بطوله . وحديث أبي سعيد الخدري أيضاً في «الصحيحين» نظيره . وحديث جرير بن عبدالله البجلي ، قال : «كنا جلوساً مع النبي ﷺ ، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة ، فقال : انكم سترون ربكم عياناً ، كما ترون هذا ، لا تضامون في رؤيته» ، الحديث أخرجاه في «الصحيحين» . وحديث صهيب المتقدم ، رواه مسلم وغيره . وحديث أبي موسى عن النبي ﷺ ، قال : «وجنتان من فضة ، أنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب ، أنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن يروا ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» ، أخرجاه في «الصحيحين» . ومن حديث عدي بن حاتم : «وَلْيَلْقَيْنَ اللَّهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ ، وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ، فيقول : ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول : بلى يارب ، فيقول : ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول : بلى يارب»^(١) . أخرجه البخاري في «صحيحه» .

(١) راجع شرح الطحاوية : ص ٢٠٤ - ٢١٠

المبحث الثالث عشر

لفوز نعيم الجنة لا يتلزم ترك مثلع الدنيا

ظن الرهبان وكثير من عباد هذه الأمة أن نعيم الآخرة لا يمكن أن ينال إلا إذا رفض العبد طيبات الدنيا وملاذها ، ولذلك ترى هؤلاء يعذبون أجسادهم ، وَيَشْقُونَ على أنفسهم فيديمون الصيام والقيام ، وقد يحرم بعضهم الطيبات من الطعام والشراب واللباس ، وقد يتركون العمل والزواج وهذه فكرة خاطئة ، فإن الله خلق الطيبات للمؤمنين ، وذم من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ۖ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ (١) .

والدنيا تدم إذا كانت شاغلا عن الآخرة ، أما إذا جعلها العبد معبرا ومدخلا لنيل الآخرة فالأمر ليس كما يظن بعض الناس .

(١) سورة الأعراف : ٣٢ .

المبحث الرابع عشر

آخِرُ دَعَوَاهُمْ

يمر المؤمنون في الموقف العظيم بأهوال عظام ، ثم يمرون على الصراط فيشاهدون هولا ورعبا ، ثم يدخلهم الله جنات النعيم بعد أن أذهب عنهم الحزن ، فيرون ما أعد الله لهم فيها من خيرات عظام ، فترتفع ألسنتهم تسبح ربهم وتقده ، فقد أذهب عنهم الحزن ، وصدقهم وعده ، وأورثهم الجنة ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (١) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿ (٢) ﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿ (٣) ﴾ ، وآخر دعواهم في الجنات النعيم : الحمد لله رب العالمين ﴿ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَنَجِّتَهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَهَاجَرُوا دَعْوَتَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣) .

(١) سورة فاطر : ٣٣ - ٣٤

(٢) سورة الزمر : ٧٤

(٣) سورة يونس : ١٠

الفصل السابع

المحاجة بين الجنة والنار

أخبرنا رسولنا ﷺ أن الجنة والنار تحاجتا عند ربهما ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تحاجت الجنة والنار ، فقالت النار : أوثرت بالتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة : فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم ؟ - زاد في رواية : وغرثهم - فقال الله عز وجل للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي ، وقال للنار : إنما أنت عذابي ، أعذب بك من أشياء من عبادي ، ولكل واحدة منهما ملؤها ، فأما النار : فلا تمتلئ حتى يضع رجله - وفي رواية : حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله - فتقول : قط قط قط ، فهناك تمتلئ ، ويزوي بعضها إلى بعض ، ولا يظلم الله من خلقه أحدا ، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقا » أخرجه البخاري ومسلم .

وللبخاري قال : « اختصمت الجنة والنار (إلى ربهما) ، فقالت الجنة : يارب/ مالها لا يدخلها إلا ضعفاء الناس وسقطهم ؟ وقالت النار (١) فقال (الله)

(١) قال محقق جامع الأصول : كذا في الأصول المخطوطة . وفي النسخ المطبوعة : يعني : أوثرت بالتكبرين ، قال الحافظ في « الفتح » : كذا وقع هنا مختصرا ، قال ابن بطال : سقط قول النار هنا من جميع النسخ ، وهو محفوظ في الحديث وأنظر « الفتح » (٤٣٤/١٣) .

للجنة : أنت رحمتي ، وقال للنار : أنت عذابي أصيب بك من أشياء ، ولكل واحدة منها ملؤها ، فأما الجنة ، فإن الله لا يظلم من خلقه أحدا ، وإنه ينشيء للنار من يشاء ، فيلقون فيها ، فتقول : هل من مزيد ؟ ويلقون فيها ، فتقول هل من مزيد ، حتى يضع قدمه فيها ، فتمتلي ، ويزوي بعضها إلى بعض ، فتقول : قط قط قط .

وله في أخرى : - وكان كثيرا ما يقفه أبو سفيان الحميري ، أحد رواة ، قال : « يقال لجهنم ، هل امتلأت ؟ وتقول : هل من مزيد ؟ فيضع الرب قدمه عليها ، فتقول : قط قط . »

ولسلم بنحو الأولى ، وانتهى عند قوله : « ولكل واحدة منها ملؤها » . وقال في رواية : « فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم ^(٢) وغرهم ؟ » وفي آخره : « فأما النار ، فلا تمتلي حتى يضع قدمه عليها ، فهناك تمتلي ، ويزوي بعضها إلى بعض » وأخرجه الترمذي نحو الأولى ^(٣) . ^(٤)

(١) جزم غير واحد من أهل العلم أن هذا خطأ من بعض الرواة ، وصوابه ينشئ للجنة .

(٢) السُّقَط : المزدري به ، ومنه السُّقَط : لردى المتاع . وغرهم : الغر الذي لم يجرب الأمور ، فهو قليل الشر منقاد .

(٣) رواه البخاري (٤٥٨/٨) في تفسير سورة (ق) ، باب قوله تعالى : ﴿ وتقول هل من مزيد ﴾ ، وفي التوحيد ، باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ ، ومسلم رقم ٢٨٤٦ في الجنة باب النار ويدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ، والترمذي رقم ٢٥٦٤ في صفة الجنة ، باب ما جاء في إحتجاج الجنة والنار .

(٤) جامع الأصول : ٥٤٤/١٠ - ٥٤٧ .

المراجع

مرتبة على حروف المعجم

- ١ - التخويف من النار والتعريف بدار أهل البوار . للمحافظ أبي الفرج ابن الجوزي . المكتبة العلمية . بيروت .
- ٢ - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي . طبعة المكتبة السلفية . المدينة المنورة .
- ٣ - الترغيب والترهيب للمنزدي . طبعة المكتبة التجارية . القاهرة . الأولى .
- ٤ - تفسير ابن كثير . طبعة دار الأندلس - بيروت - الطبعة الأولى . ١٣٨٥ - ١٩٦٦ .
- ٥ - تفسير ابن جرير الطبري . الطبعة الثانية ١٩٧٣ - ١٩٥٤ . طبعة مصطفى البابي الحلبي .
- ٦ - تقريب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني . طبعة المكتبة العلمية . المدينة المنورة .
- ٧ - جامع الأصول في أحاديث الرسول ، لابن الأثير . تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط نشر مكتبة الحلواني ومكتبة الملاح . الطبعة الأولى ١٩٣٢ - ١٩٧٢ .
- ٨ - رفع الستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار . للصنعاني . تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني طبع المكتب الاسلامي . بيروت .
- ٩ - سنن ابن ماجه . طبعة دار إحياء الكتب العربية . القاهرة ١٣٧٢ - ١٩٥٢ .
- ١٠ - سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الدين الألباني ، نشر المكتب الإسلامي . بيروت الطبعة الأولى .
- ١١ - شرح العقيدة الطحاوية ، لمحمد بن محمد بن أبي العزاحنفي . نشر المكتب الاسلامي بيروت . الطبعة الرابعة . ١٣٩١ هـ .
- ١٢ - شرح النووي على مسلم للنووي . طبعة المكتبة العصرية . القاهرة .
- ١٣ - صحيح البخاري . اعتمدنا على متن فتح الباري . طبعة السلفية - القاهرة . الطبعة الأولى .
- ١٤ - صحيح الجامع الصغير . للسيوطي تحقيق محمد ناصر الدين الألباني . نشر المكتب الاسلامي . بيروت الطبعة الأولى ١٣٨٨ - ١٩٦٩ .

- ١٥ - صحيح مسلم . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . طبعة دار إحياء الكتب العربية . بيروت . الطبعة الثانية ١٩٧٢ .
- ١٦ - فتح الباري . لابن حجر العسقلاني . طبعة المكتبة السلفية . القاهرة . الطبعة الأولى .
- ١٧ - لوامع الأنوار البهية للسفاريني طبعة دولة قطر . الطبعة الأولى .
- ١٨ - مجموع فتاوي شيخ الاسلام ابن تيمية . جمع ابن قاسم . طبعة دولة المملكة العربية السعودية . الطبعة الأولى .
- ١٩ - مراتب الاجماع لابن حزم . طبعة المكتبة العلمية بيروت .
- ٢٠ - مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي طبعة المكتب الاسلامي دمشق الطبعة الأولى . ١٣٨١ - ١٩٦١
- ٢١ - نهاية البداية والنهاية لابن كثير . نشر مكتبة النهضة الحديثة . الرياض . الطبعة الأولى . ١٩٦٨ .
- ٢٢ - يقظة أولى الاعتبار مما ورد في ذكر الجنة والنار ، لصديق حسن خان . طبعة دار الأنصار . القاهرة . الطبعة الأولى . ١٣٩٨ هـ - ١٩٧١ م .
- ٢٣ - اليوم الآخر في ظلال القرآن جمع وإعداد أحمد فائز . طبعة مؤسسة الرسالة . دمشق . الطبعة السابعة . ١٤٠٥ - ١٩٨٤ .

الفهرس

١١	تمهيد: تعريف وبيان
١٣	الفصل الاول ابرقة والنار مخلوقان
١٧	شبهة من قال النار لم تخلق بعد
١٩	الفصل الثاني خزنة النار
٢١	الفصل الثالث صفة النار
٢١	المبحث الاول مكان النار
٢٢	المبحث الثاني سعة النار وبند قعرها
٢٥	المبحث الثالث دركات النار
٢٧	المبحث الرابع أبواب النار
٣٠	المبحث الخامس وقود النار
٣٢	المبحث السادس شدة حرها وعظم دخانها وشرارها
٣٥	المبحث السابع النار تتكلم وتبصر
٣٦	المبحث الثامن رؤيا ابن عسرة للنار
٣٧	المبحث التاسع هل يرى أحد النار قبل يوم القيامة معكافا
٣٩	المبحث العاشر تأثير النار على الدنيا وأهلها
٤١	الفصل الرابع النار خالدة لا تبس
٤٩	الفصل الخامس أهل النيران وجرائمهم
٤٩	المبحث الاول أهل الجنة قدون فيها

- المطلب الأول : التعريف بهم ٤٩
- المطلب الثاني : النار مسكن الكفرة والمشركين ٥٢
- المطلب الثالث : الدُّعَاءُ إلى النار ٥٢
- المطلب الرابع : أعظم جرائم الخالدين في النار ٥٣
- المطلب الخامس : جملة الجرائم التي تدخل النار ٥٧
- المطلب السادس : أشخاص بأعيانهم في النار ٥٩
- المطلب السابع : كفرة الجنِّ في النَّارِ ٦٠
- المَبْحَثُ الثَّانِي الذين لا يَخْلُدُونَ في النار ٦١
- المطلب الأول : التعريف بهم ٦١
- المطلب الثاني : الذُّنُوبُ الْمُتَوَعَّدُ عَلَيْهَا بالنار : ٦١
- ١ - الفرق المخالفة للسنة ٦١
- ٢ - الممتنعون من الهجرة ٦٤
- ٣ - الجائرون في الحكم ٦٤
- ٤ - الكذب على الرسول ﷺ ٦٥
- ٥ - الكبر ٦٦
- ٦ - قاتل النفس بغير حق ٦٦
- ٧ - أكلة الربا ٦٧
- ٨ - الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ٦٨
- ٩ - المصورون ٦٨
- ١٠ - الركون إلى الظالمين ٦٩
- ١١ - الكاسيات العاريات والذين يجلدون ظهور الناس ٧٠
- ١٢ - الذين يعذبون الحيوان ٧٠
- ١٣ - عدم الإخلاص في طلب العلم ٧١

١٤ - الذين يشربون في آنية الذهب والفضة	٧٢
١٥ - الذي يقطع الصدر الذي يظل الناس	٧٢
١٦ - جزاء الانتحار	٧٢
الفصل السادس من كثرة أهل النار	٧٥
المبحث الأول لنصوص الدالة على ذلك	٧٥
المبحث الثاني السرى كثرة أهل النار	٨٠
المبحث الثالث أكثر من يدخل النار النجس	٨٣
الفصل السابع عظم خلق أهل النار	٨٥
الفصل الثامن طعام أهل النار وشربهم ولباسهم	٨٧
الفصل التاسع عذاب أهل النار	٩٣
المبحث الأول شدة ما يكابده أهل النار من عذاب	٩٣
المبحث الثاني صور من عذابهم	٩٥
المطلب الأول : تفاوت عذاب أهل النار	٩٥
المطلب الثاني : انضاج الجلود	٩٧
المطلب الثالث : الصهر	٩٨
المطلب الرابع : اللفح	٩٨
المطلب الخامس : السحب	٩٩
المطلب السادس : تسويد الوجوه	١٠٠
المطلب السابع : إحاطة النار بالكفار	١٠٠
المطلب الثامن : إطلاع النار على الأفئدة	١٠٢
المطلب التاسع : اندلاق الأمعاء في النار	١٠٣
المطلب العاشر : قيود أهل النار وأغلالهم وسلاسلهم ومطارقهم	١٠٣
المطلب الحادي عشر : قرن معبوداتهم وشياطينهم بهم في النار	١٠٥

- المطلب الثالث عشر : حسرتهم وندمهم ودعاؤهم ١٠٦
 الفصل العاشر : كيف بقي الإنسان نارا لله ١١١

الباب الثاني : الجنة

- تمهيد : تعريف وبيان ١١٧
 الفصل الأول : دخول الجنة ١١٩
 المبحث الأول : الشفاعة في دخول الجنة ١٢٠
 المبحث الثاني : تهذيب المؤمنين وتغيبهم قبل الدخول ١٢١
 المبحث الثالث : الأوازل في دخول الجنة ١٢٢
 المبحث الرابع : الذين يدخلون الجنة بغير حساب ١٢٣
 المبحث الخامس : الفقراء يبقون الأغنياء إلى الجنة ١٢٦
 المبحث السادس : أول ثلاثة يدخلون الجنة ١٢٨
 المبحث السابع : دخول عصاة المؤمنين الجنة ١٢٩
 المطلب الأول : إخراجهم من النار وإدخالهم الجنة بالشفاعة ١٢٩
 المطلب الثاني : موقف الفرق من الشفاعة ١٣٢
 المبحث الثامن : آخر من يدخل الجنة ١٣٥
 المبحث التاسع : الذين دخلوا الجنة قبل يوم القيامة ١٣٨
 الفصل الثاني : الجنة خالدة وأهلها خالدون ١٤١
 المبحث الأول : الخصوص الدالة على ذلك ١٤١
 المبحث الثاني : القائلون بفناء الجنة ١٤٣
 الفصل الثالث : صفات الجنة ١٤٧
 المبحث الأول : الجنة لا مثل لها ١٤٧
 المبحث الثاني : أبواب الجنة ١٥٠

المبحث الثالث عشر درجات الجنة..... ١٥٤

المطلب الأول : الأدلة على أن الجنة درجات وأهلها فيها متفاوتون في الرفعة ١٥٤

المطلب الثاني : أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم ١٦٠

المطلب الثالث : المنزلة العليا في الجنة ١٦١

المطلب الرابع : الذين يتزلون الدرجات العاليات ١٦٢

المبحث الرابع ترربة الجنة ١٦٤

المبحث الخامس أنهار الجنة ١٦٥

المبحث السادس عيون الجنة ١٦٩

المبحث السابع قصور الجنة وخيامها ١٧١

المبحث الثامن سور الجنة ١٧٤

المبحث التاسع ريح الجنة ١٧٥

المبحث العاشر أشجار الجنة وثمارها ١٧٦

المطلب الأول : أشجارها وثمارها كثيرة متنوعة دائمة ١٧٦

المطلب الثاني : وصف بعض شجر الجنة ١٧٩

١ - الشجرة التي يسير الراكب في ظلها مائة عام ١٧٩

٢ - سدرة المنتهى ١٨٠

٣ - شجرة طوى ١٨٠

المطلب الثالث : سدر يمان الجنة ١٨١

المطلب الرابع : سيقان أشجار الجنة من ذهب ١٨٢

المطلب الخامس : كيف يُكْتَمَرُ المؤمن حظه من أشجار الجنة ١٨٢

المبحث الحادي عشر دَوَابُّ الجنة وظهورها ١٨٣

الفصل الرابع أصحَابُ الجنة ١٨٥

المبحث الأول الأعمال التي استحقوا بها الجنة ١٨٥

المَبْحَثُ الثَّانِي	طريق الجنة شاق	١٩٠
المَبْحَثُ الثَّالِثُ	أهل الجنة يرثون نصيب أهل النار في الجنة	١٩٢
المَبْحَثُ الرَّابِعُ	إضعفاء أكثر أهل الجنة	١٩٤
المَبْحَثُ الْخَامِسُ	هل الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟	١٩٥
المَبْحَثُ السَّادِسُ	الذين توفوا قبل التكليف	١٩٧
المطلب الأول :	أطفال المؤمنين	١٩٧
المطلب الثاني :	أطفال المشركين	٢٠٠
المَبْحَثُ السَّابِعُ	مقدار ما يدخل الجنة من هذه الأمة	٢٠٦
المَبْحَثُ الثَّامِنُ	سادة أهل الجنة	٢٠٩
المطلب الأول :	سيدا كهول أهل الجنة	٢٠٩
المطلب الثاني :	سيدا شباب أهل الجنة	٢٠٩
المطلب الثالث :	سيدات نساء أهل الجنة	٢١٠
المَبْحَثُ التَّاسِعُ	العشرة المبشرون بالجنة	٢١٣
المَبْحَثُ الْعَاشِرُ	بعض من نص على أنهم في الجنة غير ذكر	٢١٤
	٢ ، ١ - جعفر وحزمة	٢١٤
	٣ - عبد الله بن سلام	٢١٥
	٤ - زيد بن حارثة	٢١٥
	٥ - زيد بن عمرو بن نفيل	٢١٥
	٦ - حارثة بن النعمان	٢١٦
	٧ - بلال بن أبي رباح	٢١٦
	٨ - أبو الدحداح	٢١٦
	٩ - ورقة بن نوفل	٢١٧
المبحث الحادي عشر	الجنة ليست ثمنًا للعمل	٢١٨

٢٢١	الفصل الخامس، صفة أهل الجنة ونعيمهم فيها
٢٢٣	الفصل السادس، نعيم أهل الجنة
٢٢٣	المبحث الأول، فضل نعيم الجنة على متاع الدنيا
٢٢٩	المبحث الثاني، طعام أهل الجنة وشرابهم
٢٣٠	المطلب الأول : خمر أهل الجنة
٢٣١	المطلب الثاني : أول طعام أهل الجنة
٢٣٢	المطلب الثالث : طعام أهل الجنة وشرابهم لا دنس معه
٢٣٤	المطلب الرابع : لماذا يأكل أهل الجنة ويشربون ويمتشطون
٢٣٤	المطلب الخامس : آنية طعام أهل الجنة وشرابهم
٢٣٦	المبحث الثالث، لباس أهل الجنة وطلعتهم ومباخرهم
٢٣٨	المبحث الرابع، فرش أهل الجنة
٢٣٩	المبحث الخامس، خدم أهل الجنة
٢٤١	المبحث السادس، شوق أهل الجنة
٢٤٢	المبحث السابع، اجتماع أهل الجنة وأحاديثهم
٢٤٣	المبحث الثامن، مساكن أهل الجنة
٢٤٥	المبحث التاسع، نساء أهل الجنة
٢٤٥	المطلب الأول : زوجة المؤمن في الدنيا وزوجته في الآخرة إذا كانت مؤمنة
٢٤٥	المطلب الثاني : المرأة لآخر أزواجها
٢٤٦	المطلب الثالث : الحور العين
٢٥٠	المطلب الرابع : يعطى المؤمن في الجنة قوة مائة رجل
٢٥١	المبحث العاشر، ضحك أهل الجنة من النار
٢٥٣	المبحث الحادي عشر، التسبيح والتكبير من نعيم أهل الجنة
	المبحث الثاني عشر، أفضل ما يعطاه أهل الجنة
٢٥٤	رضوان الله والنظر إلى وجهه الكريم

المبحث الثالث عشر .	انفوز بنهم الجنة لا يتلزم ترك مثلع الدنيا	٢٦٤
المبحث الرابع عشر	آخذ دعواهم	٢٦٥
الفصل السابع	المحاجة بين الجنة والنار	٢٦٦

كتب مطبوعة للمؤلف

- | | |
|----------------|--|
| الطبعة الخامسة | ١ - العقيدة في الله |
| الطبعة الرابعة | ٢ - عالم الملائكة الأبرار |
| الطبعة الرابعة | ٣ - عالم الجن والشياطين |
| الطبعة الرابعة | ٤ - معالم الشخصية الإسلامية |
| الطبعة الرابعة | ٥ - الرسل والرسالات |
| الطبعة الثالثة | ٦ - المرأة بين دعاة الاسلام وأدعياء التقدم |
| الطبعة الثالثة | ٧ - الصوم في ضوء الكتاب والسنة |
| الطبعة الثالثة | ٨ - أصل الاعتقاد |
| الطبعة الثانية | ٩ - مواقف ذات عبر |
| الطبعة الأولى | ١٠ - مقاصد المكلفين « النيات في العبادات » |
| الطبعة الأولى | ١١ - القياس بين مؤيديه ومعارضيه |
| الطبعة الثالثة | ١٢ - ثلاث شعائر |
| الطبعة الأولى | ١٣ - جولة في رياض العلماء وأحداث الحياة |
| الطبعة الأولى | ١٤ - خصائص الشريعة الإسلامية |
| الطبعة الأولى | ١٥ - تاريخ الفقه الاسلامي |
| الطبعة الثانية | ١٦ - الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية |
| الطبعة الأولى | ١٧ - نحو ثقافة إسلامية أصيلة |
| الطبعة الأولى | ١٨ - سلسلة محاضرات إسلامية |
| الطبعة الأولى | ١٩ - القيامة الصغرى وأشراف القيامة الكبرى |
| الطبعة الأولى | ٢٠ - القيامة الكبرى |
| الطبعة الأولى | ٢١ - الجنة والنار |

رقم الإيداع بالمكتبة الوطنية - عمان

١٩٩٠/١٠/٧٠٢

يُطْلَبُ هَذَا الْكِتَابُ فِي
المملكة العربية السعودية
من
دار الهجرة للنشر والتوزيع

ص.ب. ٢٠٥٩٧ - الطقة ٣١٩٥٢ الخبر
تعمود قير: ٨٩٨٣٠٠٤ - تقويم الرياض: ١٧٩٢٠٥٥



هاتف: ٦٩٣٩٤٠ - فاكس: ٦٩٣٩٤١
ص.ب. ٢١١٥١١ عتبان ١١١٩١ - الاردن